

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس / سيدي بلعباس



كلية الآداب واللغات والفنون
قسم: اللغة العربية وآدابها

دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي
تخصص: علم الدلالة وتحليل الخطاب

إعداد الطالبة:

— برحمن فاطمة زهرة

إشراف الأستاذ:

— أ.د. بوخاتم مولاي علي

لجنة المناقشة

- | | | | |
|--------------|---------------------------|-----------------------|-----------------------|
| رئيسا | جامعة سيدي بلعباس | أستاذة التعليم العالي | أ.د. طيبي أمينة |
| مشرفا ومقررا | المركز الجامعي عين تموشنت | أستاذ التعليم العالي | أ.د. بوخاتم مولاي علي |
| عضوا مناقشا | جامعة سيدي بلعباس | أستاذة محاضرة—أ— | د.عزاز حسنية |
| عضوا مناقشا | جامعة سيدي بلعباس | أستاذة محاضرة—أ— | د. شعيب سليمة |
| عضوا مناقشا | ملحقة مغنية— جامعة تلمسان | أستاذ محاضر—أ— | د. لعشريس عباس |
| عضوا مناقشا | جامعة معسكر | أستاذ محاضر—أ— | د. حميدي بلعباس |

السنة الجامعية 2016-2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: 29].

كلمة شكر و عرفان

أحمد الله حمدا كثيرا وأشكره شكرا كبيرا إذ كرّمني بخدمة كتابه العزيز، وفقني لإتمام العمل المتواضع.

أما بعد فإني أتقدم بالشكر الجزيل :

✓ إلى أستاذي الفاضل المشرف "أ.د مولاي علي بوخاتم" الذي احتضن هذا العمل بصدر رحب، وسعى إلى أن يخرج هذا البحث إلى النور صافيا من الشوائب فصّح وعدّل وقوّم، وأنار لي طريق البحث بنصائحه القيمة، فله جزيل الشكر والعرفان.

✓ إلى رئيسة مشروع "علم الدلالة وتحليل الخطاب" أستاذتي الكريمة "أ.د. أمينة طيبي" التي غرست فينا حب البحث والعلم، وعرفّتنا بعلم الدلالة، وسمحت لنا بالفوص في هذا التخصص الرائع، فلها كل الامتنان.

✓ إلى أستاذي "محمد حراث" أستاذ محاضر بجامعة خميس مليانة الذي لم يدخر أدنى مجهود في سبيل مساعدتي على إنجاز هذا البحث المتواضع .

✓ ثم الشكر والثناء أجّله إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة هذا العمل.

✓ إلى كل أساتذتي الأعزاء الذين شحّنوا إرادتي وعزيمتي بنصائحهم وتشجيعاتهم لي طوال مشواري الدراسي.

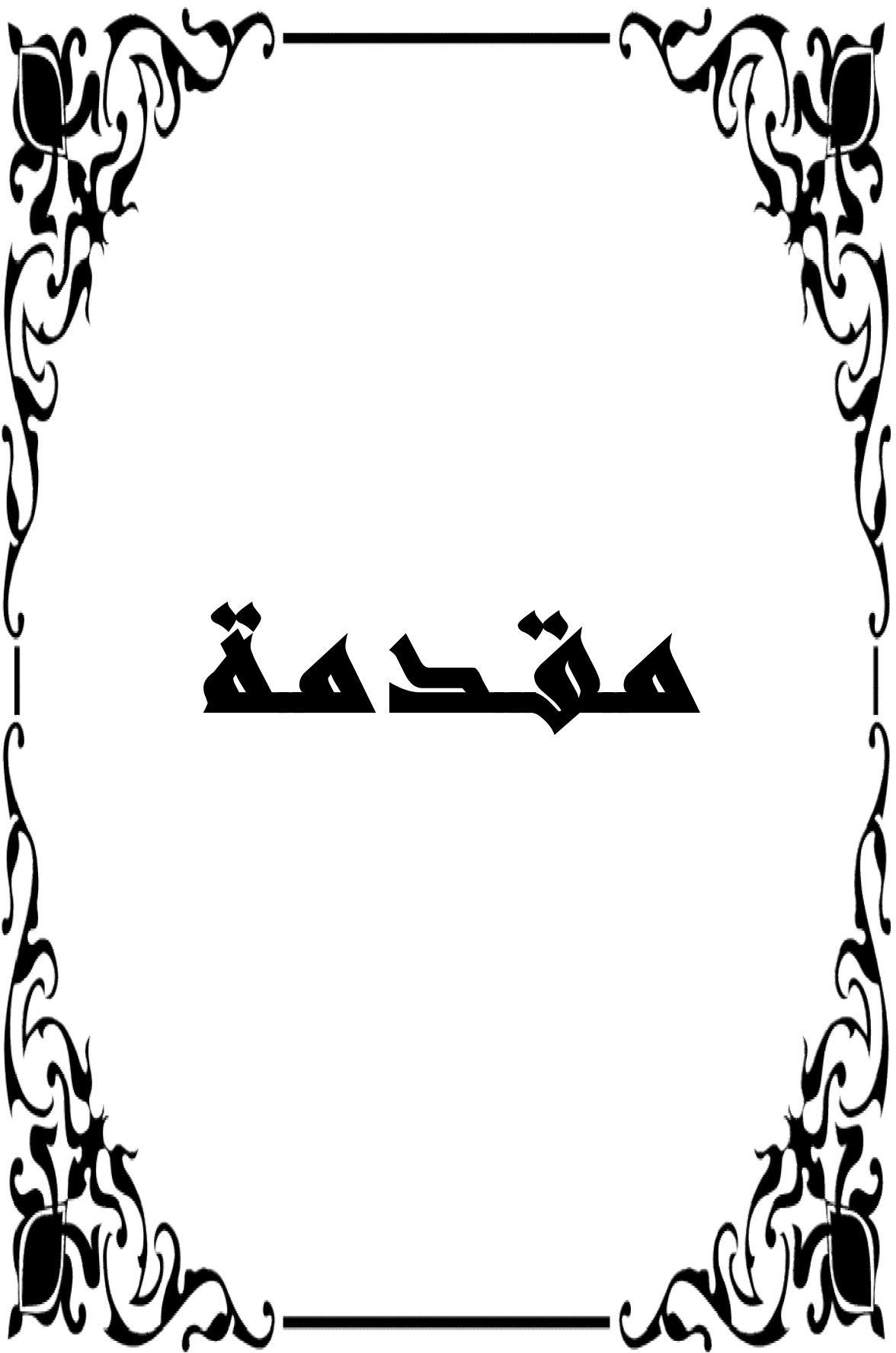
ر. فاطمة الزهراء

إهداء

أهدي ثمرة تعبى إلى:

- ✓ روح والدى رحمه الله الذى غرس فى قلبى حب لغة القرآن الكريم، والتفقه فى الذكر الحكيم وتدبره.
- ✓ والدى حفظها الله رمز الحنان والعطاء.
- ✓ إخوتى رمز العون والسند .
- ✓ معلمتى التى أنارت لى طريق العلم والمعرفة ، وعلمتني أن العلم هو نور العقل .
- ✓ إلى أخى و أستاذى "محمد حراث" الذى ساندني ودعمني، ووقف معي فى الضراء قبل السراء .
- ✓ إلى الدكتور "مبروكى" الذى كان بمثابة الأب والوالد، والذى شجعني كثيرا من أجل المضي قدما نحو تحقيق طموحاتي وأهدافي.
- ✓ إلى كل أحبتي.

ر. فاطمة الزهراء



مقدمة

مقدمة

أنزل الله عزَّ وجل كتابه الحكيم على رسوله الكريم هدى ورحمة للعالمين، متحدياً في ذلك أساطين العرب أسلوباً وبلاغة وبياناً، فأفرد لهم العبر والمواعظ في قصص الأقبام الغابرين، لعلمهم يعقلون ويؤمنون بالرسالة المحمدية، وتكررت هذه القصص موجزة ومفصلة في عدّة مواطن من سور القرآن الكريم، بصيغ مختلفة تارة ومتشابهة تارة أخرى.

ولعلَّ المتدبِّر في القرآن الكريم وقصصه ستتسرَّب إليه جملة من الأسئلة حول هذه القصص يمكن إجمالها فيما يلي:

- ما الحكمة الكامنة وراء تكرار بعض القصص في القرآن الكريم دون غيرها؟.
- ما هو السِّر في ورودها مجملَةً في بعض السور ومتفرقة في سورٍ أخرى؟.
- ما المقصود بالمتشابه اللفظي؟ وهل هناك إعجاز بلاغي ودلالي في التشابه والاختلاف في أساليب القصص القرآني؟.
- هل تختلف دلالة المتشابه اللفظي من مقطع لآخر أو من سياق لآخر؟.

وانطلاقاً من هذه الأسئلة تحمَّرت لدي فكرة التنقيب عن أسباب وقوع ذلك التشابه النسبي في الأساليب القرآنية خاصة ما تعلَّق بالقصص القرآني، والبحث عن سر تلك الفروق الدقيقة في التعبيرات القرآنية واختلافها من مقام لآخر، ومن سورة لأخرى، لعلني أتوصَّلُ إلى معرفة الأسرار الكامنة وراء وقوع الاختلاف النسبي في القصص القرآني.

وقد وقعت يدي على دراستين أكاديميتين، تناولت إحداها دراسة المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، من إعداد الباحث فهد بن عبد المغيث الشتوي، موسومة بـ«دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية» والثانية

درست المتشابه اللفظي في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، من إعداد الباحثة تهماني بن أحمد باحويراث، والمعنونة بـ «أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وصالح وهود وشعيب عليهم السلام».

وبعد بحث طويل وبمساعدة من الأستاذ المشرف «أ.د بوخاتم مولاي علي» -مشكوراً- وقع اختياري على دراسة المتشابه اللفظي ومحاولة اكتشاف دلالاته وفق تموضعه في السياقات القرآنية، بغية الرد على شكوك الملحددين وإبطال مزاعم المشككين والمتربصين بالإسلام حول قضية وقوع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتكرار القصص القرآني في سور مختلفة وبتركيب متنوعة، وبذلك وسمت بحثي بالعنوان الآتي: « دلالة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية » .

وقد اتخذت من قصص آدم وإبراهيم ولوط عليهم السلام في القرآن الكريم مجالاً للتطبيق، ومردُّ الأمر في ذلك عدم تناولها بالدراسة والتحليل أكاديمياً، واقتصر الباحثين في الدراسات القرآنية -قديماً وحديثاً- على توجيه بعض من مواضع المتشابه اللفظي الواقعة في هذه القصص، وإغفال عدة مواضع أخرى من ناحية التحليل والتوجيه، إذ عازمت على عدم الاكتفاء بما وجهه العلماء من المواطن التي وقع فيها المتشابه اللفظي- في القصص آنفة الذكر-، ومحاولة دراسة المواضع المغفلة توجيهها وتحليلها، وذلك بالتنقيب والتمحيص عن أسرار الدلالات الكامنة في تلك المواطن.

وبعد اطلاعي المكثف على مجموعة من الكتب القديمة منها والحديثة، ارتأيت أن تكون خطة البحث الأولية مكونة من مدخل وأربعة فصول وخاتمة:

أما المدخل الذي عنونته بـ «مفاهيم أساسية حول علم الدلالة» كان عرضاً للمفاهيم الأساسية للدلالة، والتي يهتم بدراستها - بالدرجة الأولى- علم الدلالة؛ ذلك أن البحث في لغة القرآن الكريم هو بحث في دلالة ألفاظه، والبحث في الدلالة هو بحث في علم الدلالة.

أما الفصل الأول -والذي كان فصلا نظريا- فعنوانه بـ «ماهية المتشابه اللفظي والسياق القرآني» افتتحته بتمهيد يشرح طبيعة هذه الدراسة النظرية، والتي تمثلت في عرض المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفظي (المتشابه والسياق) والعلاقة بينهما، علم متشابه القرآن، وتوجيه المتشابه اللفظي بين القدماء والمحدثين، والسياق لدى المفسرين، وماهية السياق القرآني وأنواعه، وختمت هذا الفصل بمجموعة من النتائج، وكان السبب في إيراد هذا الفصل هو عدم إمكانية الشروع في التحليل التطبيقي لمواضع المتشابه اللفظي في القصص القرآني، دون التعرّيج على المفاهيم الأساسية لعلم متشابه القرآن، والكتب التي تناولته جمعا وتوجيها، والأسس التي اعتمدها الدارسون لهذا المجال والتي من بينها السياق القرآني.

أما الفصل الثاني والذي عنوانه بـ «دلالة المتشابه اللفظي في قصة آدم عليه السلام»، فافتتحته بتمهيد يعرض أحداث هذه القصة والسور الواردة فيها، وعدد المقاطع التي وقع فيها المتشابه اللفظي، ثم قسمت هذه المقاطع إلى: "1- خلق آدم عليه السلام وسجود الملائكة له، 2- سكون آدم عليه السلام الجنة وهبوطه منها، 3- امتناع إبليس اللعين عن السجود، 4- خطاب الله عز وجل مع إبليس اللعين"، متناولة مواضع المتشابه اللفظي الواقعة في هذه المقاطع بالتحليل والتوجيه، بحثا عن الدلالات والأسرار وراء ورودها بتلك التعابير والصيغ، وختمت هذا الفصل بمجموعة من النتائج، وقد فصلت بين قصتي آدم عليه السلام وإبليس اللعين، بالرغم من تعالقهما مع بعضهما بعضا، لعلو مقام الأول (آدم عليه السلام)، وسفالة وحقارة المقام الثاني (إبليس اللعين).

أما الفصل الثالث فعنوانه بـ «دلالة المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام»، والذي افتتحته بتمهيد يعرض أحداث هذه القصة والسور الواردة فيها، وعدد المقاطع التي وقع فيها المتشابه اللفظي، ثم قسمت هذه المقاطع إلى: "1- دعوة إبراهيم عليه السلام، 2- نجات إبراهيم عليه

السلام من كيد من قومه، 3- وقوع البشري، 4- متفرقات"، متناولة كل هذه المواضع بالتحليل والتوجيه، وختمت هذا الفصل بمجموعة من النتائج.

وأما الفصل الرابع الذي وسمته بـ «دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام»، فابتدأته بتمهيد تطرقت فيه إلى أحداث هذه القصة بإيجاز والسور التي ذكرت فيها، وعدد المقاطع التي وقع فيها المتشابه اللفظي الخاص بهذه القصة، ثم قسمت هذه المقاطع حسب التسلسل السردى للقصة إلى: "1- دعوة لوط عليه السلام، 2- نزول الملائكة على لوط عليه السلام، 3- تنحية لوط عليه السلام، 4- وقوع العقاب على قوم لوط"، متناولة كل هذه المقاطع بالتحليل والبحث عن الأسرار الكامنة وراء وقوعها بهذه الصيغ، وختمت هذا الفصل بمجموعة من النتائج.

وذيلت بحثي بمجموعة من النتائج والتي استخلصتها انطلاقاً من إنجازي لهذا البحث المتواضع -تنظيراً وتطبيقاً-، وهي مدونة في الخاتمة .

وقد كان زادي ومزادي في إنجاز هذا البحث القرآن الكريم بوصفه العمدة والركيزة الأولى في إنجاز هذه الدراسة، إضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع، ومن بين المصادر التي استندت إليها في إنجاز هذا البحث كتاب "ملاك التأويل للغرناطي"، بوصفه أوسع الكتب وأوفرها مادة وأدقها وأعماقها تحليلاً وتوجيهاً لمواضع المتشابه اللفظي، ومن بين المراجع التي استعنت بها -أيضاً- مؤلفات فاضل صالح السامرائي، بوصفه أكثر الباحثين المحدثين الذين -على قلتهم- تفرغوا لتوجيه آيات المتشابه اللفظي، ومن بينها: "لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، من أسرار البيان القرآني"، إضافة إلى مجموعة أخرى من الكتب -قديمها وحديثها- مدونة في مكتبة البحث.

وقد فرض علي موضوع البحث الاستعانة بالمنهج الإحصائي التحليلي؛ ذلك أنني قمت بعملية إحصائية للمقاطع التي وردت فيها قصص آدم وإبراهيم ولوط عليهم السلام،

واستخراج مواضع المتشابه اللفظي من هذه المقاطع، ثم عمدت إلى تحليل تلك المواضع وتوجيهها، بحثا عن السر في وقوعها بتلك الصيغ المختلفة في مواطن متنوعة ومتعددة.

ومن بين الصعوبات التي واجهتني لدى إنجازي لهذا البحث، قلة خبرتي في مجال توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؛ إذ كان هذا البحث هو التجربة الأولى -لي- في هذا المجال، والخطوة الأولى نحو التعمق والتخصص في هذا النوع من الدراسات القرآنية، إضافة إلى ما يتطلبه علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من دقة الملاحظة وقوة البصيرة وبعد التأمل، مما جعل هذا العلم بالرغم من مكانته المرموقة في الدراسات القرآنية وفضله في بيان الإعجاز القرآني يتسم بندرة البحوث والدراسات فيه، وقلة العلماء المتخصصين فيه.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير لأستاذي المشرف "أ.د مولاي علي بوخاتم" الذي ساعدني كثيرا في إنجاز هذا البحث المتواضع، وإلى لجنة المناقشة التي تكّرت بتقييم وتقويم هذا العمل المتواضع .

الطالبة برحمن فاطمة الزهراء

يوم: 04 جانفي 2017.

مدخل

مفاهيم أساسية حول علم الدلالة

مدخل

مفاهيم أساسية حول علم الدلالة

1- الدلالة لغة واصطلاحاً.

2- مصطلح الدلالة لدى العرب والعرب.

3- ماهية علم الدلالة.

4- العلاقة بين الدلالة والسياق.

اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية يعتمدها الناس لتوصيل أفكارهم تسهيلا للعملية التواصلية، فيستعملون الألفاظ للتدليل على المعاني التي يرغبون في التعبير عنها أو إيصالها للطرف الآخر، وبذلك فإن دراسة اللغة تتطلب في المقام الأول دراسة دلالة ألفاظها، ومن أجل هذا نشأ علم الدلالة الذي يهتم بالدراسة الجوهرية للألفاظ وما ترميه من معانٍ ودلالات.

1- الدلالة لغة واصطلاحاً:

أ- لغة:

تعددت المفاهيم اللغوية للفظ "الدلالة" في المعاجم العربية، وإن كانت تسير في مسار واحد؛ إذ عنت في مجملها الإرشاد والهداية، فيشرح الزمخشري (ت528هـ) الدلالة فيقول: «أدلت الطريق: اهتديت إليه (...)» ومن المجاز: الدال على الخير كفاعله ودلّه على الصراط المستقيم وبي عليه على هذا دلائل، وتناصرت أدلة العقل وأدلة السمع واستدل به عليه¹، فتوسع مفهوم الدلالة لديه ليشمل ما هو مادي وغير مادي، إذ لم يجعل معنى الدلالة مقصوراً على الأمور المادية فحسب، وذلك حينما جاوز بمعناها إلى الاستعمال المجازي .

أما ابن منظور (ت711هـ) فيحصر الدلالة في المفهوم المادي فقط، فيقول: «الدليل ما يستدل به، والدليل وقد دله على الطريق ويدله دلالة بفتح الدال وكسرهما وضمّهما، والفتح أعلى (...)»، والدليل والدليلي الذي يدلّك².

¹ - الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص295 (مادة دلال).

² - ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، مج2، ج16، ص1414. (مادة دلال)

فجعل ابن منظور الدلالة والدلالة والدلالة كلها تصب في معنى واحد وهو الإرشاد والهدى، وإن كان يرى أن أفضل تعبير عن الإرشاد يكون بلفظ (الدلالة) - بفتح الدال-، فهي الأنسب للتعبير عن هذا المفهوم.

وغير بعيد عن ابن منظور يشير الفيروز أبادي (ت817هـ) إلى نفس المعنى في قوله: «... والدلالة ما يدل به على حميمك ودلّه عليه دلالة ودلولة فاندل سدّده الله، وقد دلت تدل والدال كالهدي»¹، فلم يجد معنى الدلالة لديه عما أتى به ابن منظور؛ إذ جعله متعلقاً بالإرشاد والهدى.

ولم يخرج المعنى اللغوي لكلمة دلالة في المعاجم العربية الحديثة عمّا ورد في المعاجم القديمة، إذ ذكر المعجم الوسيط أن معنى «الدلالة الإرشاد»، وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه وجمعه دلائل ودلالات»².

انطلاقاً من السرد السابق للمعاني اللغوية لكلمة الدلالة الواردة في المعاجم العربية -القديمة منها والحديثة- يمكن حصر المعنى المعجمي للدلالة في: الإرشاد والهدى.

ب- اصطلاحاً:

يعرف الشريف الجرجاني (ت816هـ) الدلالة اصطلاحاً قائلاً: «كون الشيء بحالة يلزم العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول»³، هذا يعني أن الدلالة تعين على كشف حقيقة ما، أو ماهية شيء ما عندما يكون خفياً أو مستوراً أو غير بيّن أو واضح؛ فهي تدل على معرفة ماهية الأشياء، وذلك عن طريق الانتقال من المعلوم إلى المجهول، أما الأوّل فهو الدال والثاني هو المدلول.

¹ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص 340 (مادة ددل)

² - جمال مراد حلمي وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص 294 (مادة ددل).

³ - الشريف الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، د. ت، ص 86 (مادة ددل).

فيفيد المعنى الاصطلاحي للدلالة الإبانة عن معنى أو قصد معين، وذلك عن طريق اللجوء إلى شيء معلوم للانتقال إلى شيء مجهول.

ج- العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

إن أصل الدلالة في اللغة هي الاستدلال على الطريق والإرشاد والهدي، وذلك عن طريق الدال أو الدليل لأجل الوصول إلى الغاية المطلوبة، ثم نُقل هذا المعنى إلى كيفية الاستدلال على المعنى باللفظ أو غيره فيكون اللفظ - مثلاً - هو الدليل إلى المدلول وهو المعنى المطلوب.

2- مصطلح الدلالة لدى الغرب والعرب:

أ- الغرب:

استعمل الغرب مصطلح الدلالة للتعبير عن العلم الذي يتناول دراسة المعنى وكيفية ارتباطه بالكلمة، وقد وردت كلمة **semantics** لديهم أوّل مرّة في « عبارة **semantics philosophy** بمعنى الكهانة إبان القرن السابع عشر»¹، فكان المعنى الأول الذي رمت إليه الدلالة لدى الغرب يتمثل في الكهانة، أي محاولة معرفة المجهول، وذلك انتقالاً من المعلوم للوصول إلى المجهول.

أما استخدام لفظ الدلالة في الدراسات اللغوية الغربية فلم يظهر إلا في « أواخر القرن التاسع عشر ضمن أحد البحوث المقدمة إلى الجمعية الأمريكية لعلماء فقه اللغة بعنوان **Rejected meaning a point in semantics** سنة 1984»².

¹ - حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، مكتبة أهواء الشرق، ط1، 2009، ص 11.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وتضاربت الآراء حول أول مستعمل لمصطلح **semantics**، وأخرجه للنور للتعبير عن البحث الذي يتناول اللغة، فهناك من يرى « أن كلمة **semantics** ظهرت لأول مرة في الإنجليزية في القرن السابع عشر في كتاب جون سبيتسر، ثم استعملها اللغوي الفرنسي ميشال يريال»¹، ولكن العالم اللغوي ليتش يؤكد على أن مصطلح **semantics** لم يستعمل في البحوث اللغوية إلا من طرف ميشال يريال، إذ ظهر مصطلح الدلالة « لأول مرة سنة 1900 في ترجمة **Breal**»².

واتفق مجموع الباحثين -عموما- على أن ميشال يريال هو أول من أدخل هذا المصطلح في الدراسات اللغوية، كونه أول من أسس علم الدلالة، وجعله علما قائما بذاته يهتم بدراسة معنى الكلمات وجوهرها.

ب- العرب:

اتفق الباحثون العرب على استعمال مصطلح الدلالة مرادفا ومقابلا للمصطلح الأجنبي **semantics**، للتدليل على العلم الذي يُعنى بدراسة المعنى، وتجنبوا استعمال مصطلح -المعنى- ترجمة لمصطلح **semantics**، تفاديا للبس الذي يقع بين علم المعنى الذي يهتم بالدراسة البلاغية للتراكيب، وعلم الدلالة الذي يهتم بالدراسة اللغوية الجوهرية للكلمات.

ويعود تفضيل لفظ الدلالة على لفظ المعنى في ترجمة مصطلح **semantics** إلى عدة أسباب منها:

- إن الدلالة « تنزع إلى دراسة الدلالات أو المدلولات انطلاقا من الكلمات»³؛ أي أن علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى أو المفهوم المحصل من الكلمات، في حين يهدف علم المعنى

¹ - أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص 89.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة-مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي-، دار الشروق، ط1، 2000، ص 41.

إلى «الدراسة الجمالية للألفاظ والتراكيب اللغوية»¹، وهو ما يخص علم المعاني في البلاغة العربية.

■ إن مصطلح الدلالة لفظ عام يرتبط « بالرموز اللغوية وغير اللغوية، أما مصطلح المعنى فلا يعني إلا اللفظ اللغوي»²، فالأول أعم وأشمل من الثاني، وذلك لإحاطته على مدلولات أعم مما يرمي إليه لفظ المعنى واختصاصه اللفظ دون غيره.

■ يعد المعنى فرعاً من فروع الدلالة التي هي « محصلة مجموع المعاني اللغوية التي يتضمنها اللفظ، وهي وسيلة الوصول إلى المعنى (...) »، أما المعنى فواحد من المفاهيم التي يشير إليها اللفظ»³، فالدلالة أوسع من المعنى وأشمل؛ إذ يعد المعنى جزءاً من الدراسة الدلالية، بل هو موضوع البحث الدلالي الذي يتقصى دراسة المعاني.

■ سهولة الاشتقاق من لفظ الدلالة؛ إذ يعين هذا الأخير على «اشتقاق فرعية مرنة تجدها في مادة الدلالة (الدال، المدلول، المدلولات، الدلالات، الدلالي..)»⁴، على عكس مصطلح المعنى الذي لا يرضخ إلى آلية الاشتقاق.

فنظراً لتمييز مصطلح الدلالة عن مصطلح المعنى شمولاً وعموماً واشتقاقاً، فضّله العرب المحدثون -استعمالاً- للإشارة إلى مصطلح **semantics**، عوضاً من مصطلح المعنى للبسّه وغموضه في الإشارة إلى المصطلح الأجنبي **semantics**.

1 - عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2010، ص 27.

2 - حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، ص 12.

3 - ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986، ص 14.

4 - محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط.، 2001، ص 35.

3- ماهية علم الدلالة:

أ- الغرب:

أطلق الباحثون الغرب علم الدلالة على «العلم الذي يهتم بدراسة المعنى»¹، ويعد هذا الأخير مرتكز وعمدة الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية، فيتقصى علم الدلالة دراسة المعنى أينما وجد، وبأي وسيلة عبر عنه (كلمات، جمل، إشارات..).

وعلى هذا الأساس يتسع مفهوم علم الدلالة أو يضيق، وذلك حسب نوعية الدال المؤدي للمعنى لفظاً أو إشارة، فبيير جيرو -مثلاً- يوسع دراسة المعنى فيجعله « القضية التي يتم من خلالها ربط الشيء والكائن والمفهوم والحدث بعلاقة قابلة لأن توحى بها، فالغمامة علامة المطر، وتقطيب الحاجب علامة الارتباك والغضب، ونباح الكلب علامة غضبه»²، فالدلالة بهذا المفهوم تهتم بدراسة كل ما له علاقة بالمعنى، وكل ما يؤدي إليه -لفظاً أو إشارة-.

أما جون سبن فيحصر مجال علم الدلالة في دراسة معاني الكلمات، وذلك في قوله معرفاً علم الدلالة: «إنه ذلك العلم الذي يبحث في معاني الكلمات وأجزاء الجمل والجمل»³، فلا يتعدى البحث الدلالي طبق هذا المنظور دراسة المعاني اللغوية، التي تؤديها الكلمات أو أجزاء الجمل أو التراكيب الجمالية.

ب- العرب:

لم يجد مفهوم علم الدلالة لدى الباحثين العرب عما ورد لدى غيرهم من الغرب، إذ تعرّفوا على هذا العلم عن طريق الترجمة، وذلك بانتقالهم للدراسة في المعاهد الغربية، أين فهموا وتلقفوا مبادئ علم الدلالة، ويعد أحمد مختار عمر أول من عرّف العالم العربي بماهية البحث الدلالي وذلك

¹ - جون لاينز، علم الدلالة (الفصلان التاسع والعاشر من كتاب: مقدمة في علم اللغة النظري)، تر/ مجيد عبد الحليم المشطة وآخرون، كلية الآداب، جامعة البصرة، د.ط، 1980، ص 9.

² - بيير جيرو، علم الدلالة، تر/ أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، د.ط، 1986، ص 15.

³ - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار، القاهرة، ط1، 1990، ص 36.

عن طريق مؤلفه "علم الدلالة"، ويعرّف علم الدلالة قائلاً: «بأنه دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى»¹، فجعل المعنى النقطة الأساسية التي يبحث فيها علم الدلالة، بل هو أساس وجود علم الدلالة.

4- العلاقة بين الدلالة والسياق:

احتفى علماء الدلالة بالسياق وجعلوه المعين والمحدد الأول لمعاني الكلمات، ولهذا قرنوا بين الدلالة والسياق، فلا وجود للأولى إلا باعتبار الثانية، إذ دعا بالمر - بوصفه أحد الباحثين في علم الدلالة- إلى دراسة اللغة من خلال سياق استعمالها، فيقول: «فاللغات الحية يجب ألا تعامل مثل اللغات الميتة مقطوعة من سياق حالها»²، فاللغة إذا ما عزلت عن سياق استعمالها تكون شبيهة بالجملة ميتة لا معنى لها ولا قيمة، وتستمد حيويتها من خلال استعمالها الاجتماعي الحي .

فدلالة السياق كفيلة بتحديد معاني الجمل -بسيطة كانت أو غامضة-، كما يساعد على التلاحم العضوي بين مكونات التركيب اللغوي، ولا تتوقف أهميته عند هذا الحد، وإنما يساهم في التحديد الدلالي للموروث اللغوي وإكساب اللغة طاقة متجددة.

ويقسم علماء الدلالة السياق إلى نوعين:

1. السياق اللغوي:

يقصد بالسياق اللغوي «النظام اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم»³، فهو يتمثل في موقع الكلمة في التركيب اللغوي، وعلاقتها بغيرها من الكلمات، ويتفرع هذا النوع من السياق إلى أنواع متعددة مختلفة، وذلك انطلاقاً من عدة زوايا:

أ. الوظائف اللغوية: ينقسم السياق اللغوي انطلاقاً من الوظائف اللغوية إلى أربعة أقسام:

1 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط5، 1998، ص 11.

2 - ف. بالمر، علم الدلالة، تر/ مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، د.ط، 1985، ص 61.

3 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر/ كمال بشر، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت، ص 57.

- **السياق الصوتي:** وهو الذي « يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه اللغوي»¹، وذلك لما للوظائف الصوتية من أهمية كبيرة في التأثير على المعنى العام للتركيب اللغوي عموماً، وللكلمة خصوصاً.
 - **السياق الصرفي:** وهو الذي يهتم بدراسة « المورفيمات أو الوحدات الصرفية حرة كانت أو مقيدة أو محايدة والتي لا قيمة لها، إلا إذا كانت ضمن سياق تركيب معين»²، فتكسب الصيغة الصرفية في تأديتها لوظيفتها في النظم الجمالية دلالة أخرى، ويمكن التمثيل -هنا- بصيغتي (فاعل) و(فعل)، فالثانية تؤكد وأبلغ وأشمل دلالة من الأولى، وهذه الدلالة تؤثر -بطبيعة الحال- على سياق ورودها في تركيب لغوي معين (الجملة).
 - **السياق النحوي:** يتمثل هذا النوع من السياق في « شبكة من العلاقات القواعدية التي تخدم بناء الوحدات اللغوية داخل النص»³، فتقوم كل علاقة من هذه العلاقات -الرابطة بين الوحدات اللغوية- بمهمتها الوظيفية المسندة إليها، من أجل بيان دلالة الجمل، وذلك من خلال القرائن النحوية.
 - **السياق المعجمي:** يقصد به « مجموعة العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين»⁴، ويساعد هذا النوع من السياق على إعطاء الدلالة الأولية -الوضعية- للكلمات، حتى تكون قادرة على التعبير وفق ما خصص لها في النظام اللغوي.
- ب. **السعة الحجمية للسياق:** ينقسم السياق اللغوي انطلاقاً من السعة الحجمية له إلى :

1 - فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، دار نينوى، دمشق، د.ط، 2011، ص 31.

2 - المرجع نفسه، ص 32.

3 - نفسه، الصفحة نفسها.

4 - نفسه.

- **السياق الأصغر:** وهو عبارة عن «مجموعة من المكونات اللغوية الغير محددة»¹، فيقصد بالسياق الأصغر الوحدات اللغوية وتأثيرها على بعضها بعضاً؛ فالكلمة تؤثر بدلالاتها، وتتفاعل مع سابقتها ولاحقتها.
- **السياق الأكبر:** ويتمثل في « الجزء من الخطاب الذي يسبق الأداة الأسلوبية وما يليها»²، فالجمل أو النصوص تؤثر في الكلمات المكونة لها، وتساعد على إجلاء الدلالة المبهمة عن الكلمة الواقعة في الجملة أو القطعة النصية.
- ج. **علاقة الجزء بالكل (الخاص بالعام):** ينقسم السياق انطلاقاً من العلاقة الجزء بالكل إلى
- **السياق الداخلي الخاص (سياق النص):** يقصد بهذا النوع من السياق « توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك»³، ويتسم هذا النوع من السياق بالمحدودية فهو محصور في حدود النص ولا يتجاوزه، ويمد التراكيب اللغوية بالدلالة، ويساعد على إجلاء الغموض الموجود في كلمة ما أو جملة ما.
- **السياق العام:** يتجاوز هذا النوع من السياق الحدود الداخلية للنص، ليشمل «النصوص التي تمثل المنظومة التي يندرج فيها النص، وذلك بأن يكون النص وغيره من النصوص في هذه المخطوطة تتشارك في بعض أوجه التشابه الأسلوبي»⁴، وهذا التشابه أو الاشتراك في موضوع واحد يعين على تحليل النصوص وبيان دلالاتها، وبهذا يكون النص جزءاً من نصوص أخرى، ولهذا يعتمد بشكل من الأشكال على الحيز العام الذي يحيط بالنص لتبيان دلالاته، ويحل هنا النص محل الجملة -الجزء-، والنصوص الأخرى هي (النص) والجمل هي الوحدات اللغوية (الكلمات).

¹ - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2008، ص120.

² - محمود محمد عيسى، السياق الأدبي (دراسة نقدية تطبيقية)، جامعة المنصورة، مصر، د.ط، 2004، ص 52.

³ - تمام حسّان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، ط1، 2006، ج2، ص 65.

⁴ - عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، 2007، ص 171.

د. العلاقات الأفقية والرأسية: ينقسم السياق اللغوي انطلاقاً من العلاقات الأفقية والرأسية

إلى:

■ **السياق الأفقي:** ويقصد به «العلاقات الداخلية بين العناصر اللغوية المكوّنة للجملة»¹، فيكون النظر إلى السياق -ضمن هذا المنظور- محصوراً في المستوى الأفقي للجمل، والعلاقات بين الوحدات اللغوية في إطار سياقها اللغوي الداخلي.

■ **السياق الرأسية:** يتمثل في « البحث عن تاريخ الكلمة (...) أو ما يسمى بتبيين ذاكرة العلامة»²، ويكون ذلك بالتنقيب عن جميع استعمالات المفردة، وتطور دلالة استعمالها عبر العصور، ونوعية استعمالها (وضعا أو مجازاً).

أ- **الوضعية التعبيرية للنص:** ينقسم السياق اللغوي انطلاقاً من الوضعية التعبيرية إلى:

■ **السياق الأسلوبي:** ويظهر هذا اللون من السياق في « النصوص الشعرية والنثرية، أكثر منه في اللغة العادية»³.

■ **السياق الأدبي:** ويقصد بهذا النوع من السياق « الطريقة التي يعبر بها المبدع عن القيمة التي هي محور التجربة»⁴، فيستدعي الشاعر أو الناثر المعاني الهامة ويوظفها في تشكيلات لغوية تتزين بتلوينات دلالية معينة

2. **السياق المقامي*:** وينقسم هو الآخر إلى عدة أقسام انطلاقاً من عدة أوجه:

أ. **المشاركون في الخطاب:** وينقسم السياق الاجتماعي من هذا المنظور إلى نوعين:

1 - عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)، المرجع السابق، ص 153.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - فاطمة الشبدي، المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، ص 33.

4 - محمود محمد عيسى، السياق الأدبي (دراسة نقدية تطبيقية)، ص 6.

* - استعمل بالمر مصلح السياق الاجتماعي للتعبير عن السياق المقامي، وهو بذلك حصر هذا الأخير في المحيط الاجتماعي فقط، والسياق المقامي أعم من السياق الاجتماعي الذي يعد جزءاً من أجزائه، لهذا يفضل استعمال المصطلح الأخير لأنه أشمل وأعم من السياق الاجتماعي الذي يتميز بخصوصية الدلالة.

■ **جمهور الخطاب بوصفه سياقاً:** إذ يمكن «لجمهور الخطاب أن يعمل أيضاً بوصفه سياقاً لتوضيح المعنى»¹، فالمشاركون في العملية التواصلية لهم دور كبير في تحديد دلالات الخطاب، وتوجيهها نحو المسار الصحيح.

■ **سياق التلقي:** والذي يتعلق « بثقافة المتلقي وموقفه الفكري والعقائدي ومذهبه السياسي والديني وانتماءاته الإيديولوجية، وتباينها عبر العصور»²، ويساهم الوقوف على هذا النوع من السياق في التأويل الصحيح والمحيد، وذلك بالأخذ بالمعتقدات الدينية والسياسية والفكرية للمتلقي.

ب. **المحيط الخارجي:** ينقسم السياق المقامي انطلاقاً من هذا المنظور إلى:

■ **السياق الاجتماعي:** ويتمثل في « المواقف التي يتم فيها استخدام كلمة ما، فتخرج من معنى ما إلى معنى آخر»³، فالكلمات تستوحي دلالتها الحية-السياقية- انطلاقاً من المحيط الاجتماعي الذي استخدمت فيه.

■ **السياق الثقافي:** ويشمل هذا النوع من السياق «المعتقدات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية والمعلومات التاريخية والأفكار والأعراف المشاعة بينهم»⁴، ويساهم اختلاف المرجعية الثقافية والعقائدية للأفراد في التأثير بشكل كبير على تشكيل النظم اللغوية، وبهذا يكون « استحضار السياقات الثقافية ضرورياً لكل شرح أو تفسير أو نقد يتوخى الدقة»⁵، فخطاب الشخص ذي المستوى الثقافي البسيط يختلف تماماً عن مخاطبة الشخص ذي المستوى الثقافي العالي، ومخاطبة المتعصب لعقيدة معينة يختلف تماماً عن مخاطبة المعتدل عقائدياً، وهكذا هلمّ جراً.

1 - يوجين أ. نايدا، دور السياق في الترجمة، تر/ محيي الدين حميدي، منشورات الهيئة السورية للكتاب، د.ط، 2009، ص 71.

2 - عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)، ص 132.

3 - فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، ص 42.

4 - محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007، ص 161.

5 - عبد الله إبراهيم، السياق الثقافي بين أرسطو وابن رشد، مجلة ثقافات، ع5، كلية الآداب، جامعة البحرين، شتاء 2003، ص 192.

ج. الحالة الشعورية للفرد: ينقسم السياق المقامي إطلاقاً من هذه الزاوية إلى :

■ **السياق العاطفي:** و هو السياق الذي « يتولى الكشف عن المعنى الوجداني، والذي يختلف من شخص إلى آخر»¹، ويساعد هذا النوع من السياق على التفريق بين الدلالات الوضعية للكلمة والعاطفية، كما يساعد على تحديد مدى قوة أو ضعف التعبير الانفعالي التي تدل عليه الكلمة؛ إذ تشترك كلمتا الحب والعشق -على سبيل المثال- في الدلالة الأصلية في عقول المتكلمين، لكنهما تختلفان في الدلالة العاطفية لكل منهما²، فكلمة الحب دلالتها أقل مما ترمي إليه دلالة كلمة العشق، وبذلك يساعد السياق العاطفي على جمع الدلالات المحتملة للكلمات المتشابهة في الأصل الدلالي، وتصنيفها إلى فروع دلالية معينة .

■ **السياق النفسي:** ويختص هذا السياق بـ « الدافع الذي يكون وراء كل ما ينطق به، والمنطلق الذي يجرّك الذات نحو القيام بالفعل اللغوي أو إرسال رسالة له»³، فوصف اللغة بأنها تعبير عن السلوك النفسي للفرد، يجعل الحالة النفسية لمستعملها (من فرح أو حزن أو غضب) المحدد الأساسي للكلمات المستعملة في الصياغة اللغوية.

ويلاحظ -مما سبق- التداخل الكبير بين أنواع السياقات، سواء كانت لغوية أو غير لغوية؛ ذلك لأن وظيفة كل واحد منها تتحقق بتفاعله مع غيره من السياقات.

وانطلاقاً من العرض السابق تبينّت العلاقة الوطيدة والترابط الوثيق بين الدلالة والسياق، فلا يتوضح معنى الأول إلا بإعمال الثاني، ولا يمكن اعتماد الثاني دون وجود الأول، فدلالة

¹ - محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1982، ص 84.

² - ينظر: حسام البهنساوي، علم الدلالة و النظريات الدلالية الحديثة، ص 71.

³ - فاطمة الشبدي، المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، المرجع السابق، ص 37.

الألفاظ -إذن- تتغير وتختلف باختلاف سياق استعمالها، والسياق هو الذي يوضح المعنى المراد والدلالة المقصودة من التراكيب الجملية.

ولكن هل يمكن إسقاط هذه النظرية على النص القرآني؟، وهل ساعد السياق المفسرين في تفسيرهم وشرحهم للنصوص القرآنية؟، وهل من شأن السياق توضيح ما أشكل في القرآن الكريم، وهل تختلف دلالة المتشابه اللفظي الوارد في القرآن الكريم باختلاف السياقات الوارد فيها والحال المصاحبة لنزول الآيات القرآنية؟، وهذا ما ستجيب عليه الفصول الموالية - نظرياً وتطبيقياً-.

الفصل الأول

ماهية المتشابه اللفظي والسياق القرآني

الفصل الأول

ماهية المتشابه اللفظي والسياق القرآني

تمهيد.

أولاً- مفهوم المتشابه والسياق والعلاقة بينهما.

ثانياً- علم متشابه القرآن.

ثالثاً- توجيه المتشابه اللفظي بين القدماء والمحدثين.

رابعاً- السياق لدى المفسرين.

خامساً- ماهية السياق القرآني وأنواعه.

خلاصة الفصل.

تمهيد:

لا جرم أن القرآن الكريم هو المعجزة الربانية التي أوحى بها الله عزّ وجلّ إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فنزل قرآنا عربيا بليغا وفصيحا بأساليبه البديعة ومعانيه السامية، إدحاضا للعرب، وإثباتا لصدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكون المتشابه اللفظي لونا من ألوان الإعجاز القرآني وصنفا من أصنافه، انكب العلماء والباحثون على دراسته، وذلك ضمن تناولهم للنصوص القرآنية المعجزة -والتي من بينها النصوص التي وقع فيها المتشابه اللفظي -تحليلا وشرحا وتفسيرا .

وللمفسرين سبق الشرف في تفسير القرآن الكريم، وشرح معانيه وفهم أساليبه ونصوصه، معتمدين في ذلك على السياق، والذي عوّلوا عليه في مدارسهم للخطاب القرآني عامة وللمتشابه اللفظي خاصة.

فما هو المقصود بالمتشابه اللفظي؟، وما هي الأسس التي اعتمدها المفسرون في فهمهم للنصوص القرآنية؟ نوهل أفرد الباحثون كتباً تهتم بتحليل وفهم هذا النوع من النصوص؟، وهذا ما سيتم الإجابة عليه فيما يلي.

أولاً- مفهوم المتشابه والسياق والعلاقة بينهما:

تستلزم الدراسة العلمية أو النظرية لأي علم من العلوم أو مفهوم من المفاهيم التفتيش عن معانيه المعجمية - اللغوية- والاصطلاحية؛ وذلك بوصفها الخطوة الأولى والأساسية نحو الفهم الصحيح لأي علم أو نظرية أو مفهوم.

أ- مفهوم المتشابه لغة واصطلاحاً:

أ1- المفهوم اللغوي:

اختلفت المعاني الوضعية لكلمة "المتشابه" في المعاجم اللغوية اختلافاً كبيراً، لحدّ التضارب والتناقض بين مفهوم لغوي وآخر، ويمكن حصر الدلالة المعجمية لهذه المفردة في النقاط الآتية:

1) المتشابه بمعنى المثل:

يحلل ابن فارس (ت395هـ) الأصل اللغوي لكلمة (المتشابه)، والمشتقة من الجذر اللغوي (شبه) قائلاً: « الشين والباء والهاء يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا وصفة»¹، فالشبه مأخوذ من مطابقة الشيء لنظيره (مثيله) من عدة أوجه (اللون، الصفة).

ويفصّل الراغب الأصفهاني (ت450هـ) ما ذهب إليه ابن فارس قائلاً: « الشبه والشبيه حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية، كاللون والطعم والعدالة والظلم، والشبهة هو أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر، لما بينهما من المتشابه عينا كان»²، فالمعنى الأولي للشبه هو التماثل والتضارع بين الشيئين من عدة أوجه (لون، ماهية، طعم)، ويتسبب هذا التماثل والتضارع بالشبهة بين الشيئين.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، د.ط، 1979، ج3، ص 243 (مادة شبه).

² - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، د.ت، ص 331 (مادة شبه).

أما ابن منظور فيضع للمتشابه عدة معان تتداخل معظمها فيما بينها، فيقول مفصلاً: «تشابه الشيعان أشبه كل واحد منهما صاحبه، والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات، وأمر مشتبه مشكلة يشبه بعضها بعضاً»¹، ففسر المتشابه من زاويتين:

أ- تشابه المتشابهات، بمعنى التماثل أي التوافق في نقاط معينة.

ب- مشتبه، المشتبهات: ما التبست بسبب أوجه التماثل والتطابق، حتى عسر التمييز والتفريق بينهما.

ويلاحظ مما سبق أن التغيير في حروف الزيادة في الصيغة الفعلية لكلمتي شبه وتشابه أدى إلى تغيير في المعنى.

أشبه ← تشابه

الالتباس التماثل

ويتابع الفيروز آبادي في كتابه (بصائر ذوي التمييز) شرحه للمثيل والشبيه قائلاً: «المثل والمثل والمثيل كالشبه والشبه والشبيه لفظاً ومعنى»²، فجعل المثل بمعنى الشبيه، عاكساً في ذلك المعادلة اللغوية التي طرحها سابقوه -الشبيه معنى المثل -، وجاء الشبه لديه بمعنى ما تماثل وتطابق لفظاً ومعنى، شكلاً ومضموناً. وهذا التماثل ينجم عنه اللبس؛ إذ يصعب التمييز بينهما لشدة تشابههما، فيكون المعنى الأول (التماثل) سبباً لوجود المعنى الثاني (الالتباس).

2) المتشابه بمعنى الالتباس:

اقتصرت الدلالة الوضعية لكلمة المتشابه لدى الزمخشري على معنى الالتباس، فيقول: «تشابه الشيعان واشتبهها، إذا اشبهت الأمور، وتشابهت التبست لاشتباه بعضها بعضاً»³، فيقع الالتباس من

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص ص 503-504 (مادة شبه).

² - الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط3، 1996، ج481 (مادة مثل).

³ - الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص 494 (مادة شبه).

تشابه الأمرين، وتوافقهما في جوانب معينة، ويكون التشابه - من هذه الزاوية - بمعنى الالتباس؛ أي عدم المقدرة على التمييز بين الشيئين لشدة تشابههما وتوافقهما.

وأما الجوهري (ت674هـ) فوردت المادة اللغوية (الشبهة) لديه بمعنى «الالتباس والمشتبهات من الأمور المشكالات»¹، والمشكالات من (أشكِل)؛ أي صَعِب على الإنسان التمييز بين الأمور وهو محور الالتباس.

ويذهب الفيومي (ت770هـ) إلى نفس المعنى، وذلك في شرحه لكلمة شبه، فيقول: «المشاهدة المشاركة في معنى من المعاني، والاشتباه الالتباس»²، ووقع هذا الالتباس بين الأمور وصعوبة التمييز بين الأشياء، يؤدي إلى غموض في المعنى أو الدلالة.

3) المتشابه بمعنى الغموض:

يوضح ابن قتيبة (ت267هـ) معنى المتشابه قائلاً: «يقال لكل ما غمض متشابه»³، فالغموض هو نتيجة محصلة عن نشوء الالتباس بين الأمور، وصعوبة التفريق بين المتشابهين.

ويستنتج مما سبق أن المعنى اللغوي للمتشابه يتأرجح بين ثلاث دلالات متداخلة فيما بينها، ومتعلقة مع بعضها بعضاً (التماثل، الالتباس، الغموض)، وهذه المعاني الثلاثة لا تنفصل عن بعضها؛ فالأولى مسببة للثانية، والثالثة حصيلة الثانية، لأن التشابه هو التماثل بين الشيئين في عدة جوانب، وهذا التماثل يؤدي إلى الالتباس ذو صعوبة التفريق بين الشيئين، نظراً لتطابقهما نسبياً، ولا ينتج الغموض إلا في حالة الالتباس، والعجز عن التمييز.

¹ - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط3، 1984، ج5، ص 1723 (مادة شبه).

² - الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، 1987، ص 115 (مادة شبه).

³ - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1954، ص 102.

*-معنى المتشابه في القواميس الفقهية المتخصصة:

اقتصرت دلالة المتشابه في القواميس الفقهية المتخصصة على المعنى المتعلق بالقرآن الكريم، فيعرف القاموس الفقهي « المتشابه في القرآن المتماثل، ومنه قوله تعالى ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾^{*}، متشابه في المنظر، غير متشابه في المطعم»¹، فشرح هذا القاموس كلمة المتشابه اعتماداً على ما دلّت عليه في الآية القرآنية الكريمة، وجعل المعنى اللغوي لهذه الكلمة يطلق على كل ما تماثل في صفات معينة، واختلف في أخرى.

*-المعنى اللغوي للمتشابه حديثاً:

لم يختلف المعنى المعجمي لكلمة المتشابه في العصر الحديث عما ورد ذكره في المعاجم العربية القديمة، ويشرح حسين نصار المادة اللغوية (الشبه) قائلاً: « إن الصيغة مأخوذة من الجذر (شبه)، ومعناه الأصلي المثل، ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يميز بين الأشياء المتشابهة (المتماثلة) إلا بعد إمعان رؤية إن كانت محسوسة، وإمعان رؤية وفكر إن كانت غير محسوسة، جاءت في اللغة الشبهة بمعاني الالتباس، فاشتبه الأمر بمعنى اختلط»²، فالغموض والالتباس يمسّان الأمور غير المحسوسة والمدركة بالعقل، أكثر من الأمور المحسوسة المبصرة بالعين، لخفاء أوجه التشابه في الأمور غير المحسوسة عن الإدراك البصري.

أ2-المفهوم الاصطلاحي:

تضاربت آراء العلماء حول وضع تعريف اصطلاحى واحد، وجامع لمفردة المتشابه، فنجد في الكتاب الواحد عدة تعريفات للمتشابه تتداخل بعضها مع بعض، نظراً لالتباس المعنى الذي ترمي إليه كلمة التشابه.

* - سورة الأنعام، الآية 141.

¹ - سعدي أبو حسين، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988، ص 190 (مادة شبه).

² - حسين نصار، المتشابه، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 2003، ص 7.

1- التماثل في اللفظ والمعنى:

يطلق الشريف الجرجاني المتشابه على معنى التماثل والتوافق، فيقول: « المتشابه في المأل أن تكون أجزاؤه متفقة الطباع»¹، فمعنى المتشابه - حسب رأيه- ما تماثلت واتفقت ألفاظه المكوّنة له، وهذا الاتفاق في البناء اللفظي يؤدي إلى صعوبة التمييز، والالتباس في إدراك المعنى، فيقول موضحاً ذلك: « وهو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلاً»².

وأطلق المتشابه - في هذا القسم- على ما اتفق لفظاً أو معنى:

- ما اتفق في اللفظ: ويمسّ الاشتباه الخاص بـ« اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني»³، ويختص هذا النوع بالمشارك اللفظي، لتشابه البناء اللغوي للفظ مع اختلاف معانيه، باختلاف السياقات الوارد فيها.

- ما تماثل في المعنى: ويمسّ ما « اشبه بعضه بعضاً في المعاني، وإن اختلفت ألفاظه»⁴، وهذا القسم أصعب من سابقه؛ لأن اللفظ مدرك بالبصر أو السمع، أمّا المعنى فهو غير محسوس، وإدراك المحسوس أيسر بكثير من إدراك غير المحسوس؛ لأن ما يرى بالعين أو يسمع بالأذن أسهل مما يدرك بالذهن (الفكر).

2- المتشابه بمعنى المحتمل:

يشرح العكبري (ت410هـ) معنى المتشابه على أنه ما احتمل معناه عدة أوجه، فيقول: «المتشابهات المحتملات لا يتضح مقصودها إلا بالفحص والنظر»⁵، ويكون التعرف على المعنى المقصود من هذا المتشابه بإعمال النظر، وإمعان الفكر والبصيرة.

¹ - الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 293 (مادة شبه).

² - المصدر نفسه، ص 210.

³ - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 102.

⁴ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001، ج6، ص 175.

⁵ - العكبري، النكت الاعتقادية، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1993، ص2، ص 26.

ويفصل السيد أحمد خليل هذه النقطة قائلاً: « أن يكون للفظ وجهان في المعاني أو أكثر، ولم يتعين أحدهما حتى تقوم قرينة تدل عليه»¹، فقد تحمل الكلمة معنيين - كالتضاد مثلاً-، ويستعصي إدراك المعنى المقصود منها، ولا يمكن معرفة المراد منها إلا بإعمال القرائن -لفظية كانت أو حالية-.

وورد نفس المعنى في كتاب "متشابه القرآن ومختلفه"²، فهو-المتشابه- « ما لا يعلم المراد منه بظاهره، حتى يقترن ما يدل على المراد منه»²، فالقرينة هي المعين على توجيه دلالة الكلمة إلى المعنى المقصود والصائب، وإلغاء الدلالات المحتملة أخرى.

(3)-المتشابه بمعنى المشكل:

يعرّف المناوي (ت1031هـ) المتشابه على أنه « المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل»³، والمشكل -هنا - هو الملتبس من المعاني، وهو-المشكل- الذي يصعب إدراكه لأول وهلة، إذ يحتاج إلى إعمال فكر وتأمل نظر، ودقة فحص.

(4)-المتشابه بمعنى الملتبس:

أطلق المتشابه على ما « التبس أمره من قول وفعل أو فعل ظاهره مريب، وإن كان يحتمل واقعه حقاً لأمر فيه، ومن ثمّ فإن أهل الزيغ يتبعون متشابهات الشريعة، لغرض تأويله إلى حيث مطامعهم الفاسدة»⁴، فالمتشابه بهذا المعنى هو المريب من الفعل أو القول، وذلك بسبب احتمال عدة دلالات وإمارات.

¹ - السيد أحمد خليل، دراسات في القرآن الكريم، دار المعارف، ط1، 1998، ص 141.

² - المازندراني، متشابه القرآن ومختلفه، دار البیدار للنشر، ط1، د.ت، ج1، ص 2.

³ - المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1990، ص 633.

⁴ - محمد هادي معرفة، التمهيد لعلوم القرآن، مؤسسة التمهيد، ط2، 2009، ج3، ص 29.

(5) - المتشابه بمعنى الغموض:

ورد في تفسير العياشي (ت 320هـ) المتشابه بمعنى الغموض، « المتشابه ما أشبه على جاهله»¹؛ أي ما غمض على الإنسان وصعب إدراكه، والوصول إلى حقيقته المقصودة أو المرادة.

(6) - المتشابه بمعنى الخفاء:

ورد المتشابه في "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون" بمعنى الخفاء، وهو: « اسم فاعل من المتشابه في اللغة، هو كون أحد المثليين مشابه للآخر، يعجز الذهن عن التمييز»²، فيصعب بذلك التعرف على المراد من اللفظ، ويعجز عن إدراك المعنى، أو بمعنى آخر « ما خُفي بنفس اللفظ ولا يرجى إدراكه أصلاً»³.

وهذا المعنى الأخير هو المشهور لدى الحنفية، إذ يعرفون المتشابه على « أنه ما انقطع رجاء معرفة المراد منه»⁴، فأمامه تبقى الأبواب مبهوتة عاجزة عن إدراكه، حتى وإن توافرت معالم وقرائن الإفهام.

ويشير ابن المنادي (ت 336هـ) أن المتشابه في كتب علوم القرآن أطلق على عدة أشياء «فمنها متشابه إعراب حروف القرآن، ومنها متشابه غريب القرآن ومعانيه، ومنها متشابه تأويل القرآن (...) ومنها متشابه خطوط المصاحف، وحروف كتبت في بعضها على خلاف ما كتبت في البعض الآخر»⁵.

¹ - العياشي، تفسير العياشي، تح: سيد هاشم محلاي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ج1، ص 85.

² - التهاوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، ج2، ص 143.

³ - السرخسي، أصول السرخسي، تح: أبو لوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، ج1، ص 169.

⁴ - ابن المنادي، متشابه القرآن العظيم، تح: عبد الله الغنيمان، الجامعة الإسلامية، ط1، 1987، ص 59.

⁵ - المصدر نفسه، ص 60.

وبالرغم من كثرة تعاريف المتشابه وتعدددها، إلا أن هذا المصطلح يطلق غالبا على المتشابه الذي يقابل المحكم*، والمتشابه اللفظي الذي هو مركز البحث.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المتشابه لا يقتصر إطلاقه على ما ورد في القرآن الكريم من المتشابه قرين المحكم أو المتشابه اللفظي، وإنما يطلق أيضا على ما يختص بأخبار الأدباء والشعراء المتشابهين في الأنساب والأسماء، ومثيل ذلك كتاب "المتشابه" لمؤلفه الثعالبي (ت429هـ)، والذي خصصه صاحبه لسرد أخبار الشعراء والأدباء، وأوجز في مقدمة كتابه الخطة التي سار عليها في تأليف كتابه، فيقول: « ثم إن هذا الكتاب مبني على ثلاثة أقسام، فالقسم الأول الذي يشبه التصحيف، والقسم الثاني في المتشابه من التجنيس الصحيح، والقسم الثالث في المتشابه خطأ ولفظا»¹.

وغير بعيد عن كتاب الثعالبي نجد "كتاب تلخيص المتشابه في الرسم" لمؤلفه الخطيب البغدادي (ت463هـ)، وهو كتاب اختص « بجمع المتشابه من الأسماء وضبطها»²، وأردفه صاحبه بكتاب تالي تلخيص المتشابه في ضبط أسماء الرجال لفظا والتمييز بينها، ومن جملة فصول هذا الكتاب فصل « الزيادة في الأبناء دون الأبناء»³، إذ سرد في هذا الباب أسماء اختلط بينها من جهة الأبناء بسبب زيادة في حرف اسم الأب، ولجأ للتمييز بين تلك الأسماء إلى سرد أسماء آبائهم.

* - اختلف فيه على أقوال: ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة أو خروج الدابة والدجال، ما لم يستقل العلم بنفسه بل يحتاج إلى بيان يرده إلى غيره، ما احتمال أكثر من وجه، ما كان غير واضح الدلالة يحتمل النسخ، المتشابه ما يرفع فيه إلى غيره. ينظر: أحمد عبده عوض، المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط1، 2012، ص 9.

¹ - الثعالبي، المتشابه، تح: إبراهيم السامرائي، مطبعة الحكومة، بغداد، د.ط، 1967، ص 11.

² - الخطيب البغدادي، تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم، تح: سكينه الشهابي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1985، ج1، ص 5.

³ - الخطيب البغدادي، تالي تلخيص المتشابه، تح: أبوحنيفة أحمد الشقيرات، دار الصميغي للنشر والتوزيع، ط1، 1997، مج2، ص357.

أ3-العلاقة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة (المتشابه):

تقاطع المعنيان اللغوي والاصطلاحي لكلمة المتشابه في نقطتي الالتباس والغموض؛ إذ اتسم المعنى اللغوي للمتشابه بالغموض والالتباس، وأسقطت هذه الميزة على المعنى الاصطلاحي لكلمة المتشابه، والتي عنت -اصطلاحاً- كل ما غمض معناه أو التبتت دلالاته من النصوص القرآنية. ويأتي السياق ليكشف عن الغموض والالتباس، الواقع فيما تشابه أو غمض من القرآن الكريم، فكيف عرف العرب السياق؟، وما هو المقصود به لغة واصطلاحاً؟.

ب- مفهوم السياق لغة واصطلاحاً:

ب1- المفهوم اللغوي:

أجمعت المعاجم العربية - قديماً وحديثاً- على أن المعنى اللغوي للسياق يتعلق بالتتابع والتساوق والتسلسل، فهاهو ابن فارس يشرح كلمة السياق انطلاقاً من تحليله الصوتي لهذه الكلمة، فيقول: « السين والواو والقاف أصل واحد، ومعناه حذو الشيء»¹، فدل معنى السياق لديه على التتابع والتسلسل.

وورد السياق لدى ابن الأثير (ت606هـ) معنى نزع الروح، فيقول: « دخل سعيد على عثمان وهو في السوق أي في النزع، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه، ويقال له السياق أيضاً»²، فأطلق السياق على نزع الروح لأنها تساق إتباعاً إلى بارئها عزّ وجلّ، بشكل جزئي متتابع دون انقطاع، كما تساق الإبل.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص 117، (مادة سوق).

² - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الضباعي، المكتبة الإسلامية، ط1، 1963، ج2، ص424.

كما أطلق العرب لفظ السياق على مهر المرأة، لأنهم إذا أرادوا خطبة المرأة ساقوا إليها الإبل والغنم لأنها كانت الغالبة على أموالهم¹، والإبل تساق أي تتابع وتتبع الواحدة منها الأخرى، فأسقطوا حالة المهر (الإبل) على المهر نفسه، وبذلك أسموه السياق.

أما **الزمنخشري** فقد جاوز استعمال كلمة السياق من معناها الحقيقي إلى معناها المجازي، وأكسبها دلالة أخرى تتمثل في سياق الكلام، فيقول: «ومن المجاز هو سوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث وهذا الكلام سياقه إلى كذا»²، وبذلك جعل **الزمنخشري** السياق متعلقاً بما نظم من الكلام عن طريق ترابط المفردات، وتتابعها في نظام جملي متسلسل، الغاية منه إيصال معنى معين وغرض مقصود.

ولم يخرج معنى السياق في المعاجم العربية الحديثة عما قدمته المعاجم العربية القديمة، ومن ذلك ما ورد في **المعجم الوسيط** لدى شرحه لكلمة السياق «ساق المريض سوقاً وسياقاً وسياقه ومساقاً شرع في نزع الروح، وقال: رأيت فلاناً يسوق، ويقال ساق المريض بنفسه فهو سائق وسواق (...)، ويقال ساق الله إليه خيراً ونحوه بعثه وأرسله، وساق الریح التراب والسحاب رفعته وطيرته، وساق الحديث سرده وسلسله، وإليك يساق الحديث، وساق المهر إلى المرأة أرسله وحمله إليها»³، فسرد **المعجم الوسيط** جميع المعاني اللغوية التي أوردتها المعاجم اللغوية القديمة للفظ السياق: من تتابع الإبل، ومهر المرأة، ونزع الروح، ونظم الكلام.

أما **معجم المصطلحات اللغوية** فاقصر المفهوم اللغوي للسياق على «ما سيق العنصر اللغوي ويليه في كلام أو نص، سواء كان صوتاً أو كلمة أو جملة»⁴، فأسقط معنى السياق على

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص، 166، (مادة سوق).

² - الزمنخشري، أساس البلاغة، ج1، ص 484، (مادة سوق).

³ - جمال مراد حلمي وآخرون، المعجم الوسيط، ص 464 (مادة سوق).

⁴ - رمزي منير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، ط1، 1990، ص 119.

التشكيل اللغوي للتراكيب الجمالية، وعلى توالي الكلام وتتابعه وتسلسله، والذي غايته الإفصاح عن معان معينة.

ب2- المفهوم الاصطلاحي:

لم تعرج معاجم الاصطلاح القديمة على تفسير اصطلاحى لمعنى السياق، إلا ما ورد في كتاب "الكليات"، إذ يعرف صاحبه السياق تعريفا موجزا، فيقول: «السَّباق بالموحدة: ما قبل الشيء، والسياق بالمشناة أعم»¹، فجعل معنى السَّباق والسياق في مسار واحد، وإن كان الأول أعم من الثاني.

ويعود سبب عدم ورود التعريفات الاصطلاحية للسياق في الكتب القديمة، إلى عدم تطرق العرب قديما إلى لفظ السياق وإنما تناولوه معنى، إذ ورد معنى السياق لديهم بلفظ المقام والحال والقرائن، كما اصطلحوا على السياق بكلمة القرائن، وهذا ما يسرده ابن دقيق (706هـ) قائلا: «السياق هو القرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم»²، فالسياق هو بمثابة المعين الذي يساعد المتلقي على معرفة قصد المتكلم ومراده من الكلام.

أما حديثا فنجد ردة الطلحي يعرف السياق بأنه «المحيط اللغوي التي تقع فيه الجملة اللغوية سواء كانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية وغير لغوية»³، فمفهوم السياق لديه مرتبط بالتركيب اللغوي الذي يحيط بالكلمة، وكذا الظروف المرافقة للحدث الكلامي، فيكون السياق بذلك متعلقا بما هو لغوي وغير لغوي من العوامل.

¹ - الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1998، ج3، ص28.

² - ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1994، ص278.

³ - ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ط1، 2003، ص51.

ب3- العلاقة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة السياق:

يتشارك المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة السياق في كونهما يرميان إلى التابع والتلاحق والتسلسل، إذ دلّ الأول على تتابع الماشية (الإبل) وتلاحقها، وأخذ الثاني هذا المعنى للتدليل والاصطلاح على سياق الكلام، والذي يعني بدوره التركيب التسلسلي للنظام الجملي، بغية التعبير عن معانٍ مقصودة ودلالات مرادة.

ج- العلاقة بين المتشابه والسياق:

يدل المتشابه - كما تقدم ذكره- على معنى الالتباس والغموض الذي يميز التراكيب اللغوية، ويدل السياق على معنى الوضوح والبسط في المعنى المراد من الكلام، ولهذا يستعين المتشابه بالسياق لإجلاء الغموض الواقع في تراكيبه الجمالية، والإفصاح والكشف عما التبس من معانيه، ولهذا السبب اهتم الدارسون بالمتشابه في ضوء السياق، وهذا ما سيتم التفصيل فيه فيما يلي.

ثانياً- علم متشابه القرآن:

كان علم متشابه القرآن في بداياته الأولى نوعاً من أنواع علوم القرآن وفرعاً من فروعها، إذ لم يكن في تلك الحقبة الزمنية علماً مستقلاً بذاته، ولهذا عدّه جمع من العلماء- قديماً- وجهاً من وجوه علوم القرآن، ومن بينهم الزركشي (ت794هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، الذي جعله صنفاً من أصناف علوم القرآن، فيقول: « الصنف الخامس علم المتشابه وقد صنف فيه جماعة»¹.

وفرق الزركشي بين هذا النوع وما يقابله من المتشابه والمحكم، فعّد هذا الأخير نوعاً مستقلاً عن علم متشابه القرآن، فيقول « النوع السادس والثلاثون معرفة المحكم والمتشابه»².

وأشار السيوطي (ت911هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" إلى علم متشابه القرآن في « النوع الثالث والستون في الآيات المتشابهات أفردته بالتصنيف خلف»³، ويقصد بقوله (التصنيف) جمع المتشابه اللفظي وتدوينه، لأن العلماء في تلك الفترة عزفوا عن دراسة المتشابه اللفظي وتوجيهه، واكتفوا بجمعه وتصنيفه.

كما عدّ -السيوطي- علم متشابه القرآن وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، وذلك في كتابه "معترك الأقران"، فيقول: « الوجه السادس من وجوه إعجازه متشابهات القرآن»⁴، مفرقاً في ذلك بينه وبين المحكم والمتشابه، والذي تحدث عنه في « الوجه التاسع من وجوه إعجازه وانقسامه إلى محكم ومتشابه»⁵.

¹ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط3، 1980، ج1، ص 112.

² - المصدر نفسه، ج2، ص 68.

³ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1995، ج3، ص 186.

⁴ - السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج1، ص 68.

⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص 102.

أ- تعريف المتشابه اللفظي:

اصطلح ابن تيمية (ت728هـ) علم متشابه القرآن على دراسة « ما اشتبهت الألفاظ به من قصص عند التكرير في السور»¹، فوقع المتشابه اللفظي مقتصر-لديه- على تكرار القصة القرآنية في سور معينة ومواطن مختلفة، بأساليب وصيغ مختلفة ومتنوعة.

وذهب السيوطي إلى نفس ما ذهب إليه ابن تيمية فجعل وقوع المتشابه اللفظي مقتصرًا على ما تعلق بورود القصة القرآنية، فيقول معرّفًا المتشابه اللفظي: «إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، بأن يأتي في موضع واحد مقدّمًا وفي آخر مؤخرًا، (...) وفي موضع معرّفًا وآخر منكرًا، أو مفردًا وفي آخر جمعا، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، ومدغما أو مفككا»²، فيختص علم متشابه القرآن -حسب رأي السيوطي- بدراسة الآيات المتشابهات في القصة القرآنية التي ترد في مواضع معينة من سور القرآن الكريم، وبأساليب متعددة وتراكيب متنوعة بين التقديم والتأخير، التعريف والتنكير، الإفراد والجمع، الحذف والذكر، إبدال حرف مكان حرف، والتنويع في هذه الصيغ يرد خدمة للمعنى المراد، وللهدف المقصود إيصاله.

ويجعل الكفوي (ت1093هـ) -هو الآخر- المتشابه مقتصرًا على ما ورد من قصص القرآن الكريم، فتكون هذه الأخيرة لديه لونا من ألوان المتشابه اللفظي، والذي يقصد به «إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة، في التقديم والتأخير والزيادة والترك، والتعريف والتنكير، والجمع والإفراد، والإدغام والفك، وإبدال حرف مكان حرف»³.

وقوله (سور شتى) جاء مخالفاً للتعريفات السابقة (صور شتى)، ويقصد بالأولى الآيات التي تذكر في مواضع مختلفة من سور القرآن الكريم، ويقصد بالثانية أنها ترد بصور شتى؛ أي تقع بأساليب

¹ - ابن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص 3.

² - السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1، ص 66

³ - الكفوي، الكليات، ص 405.

وصيغ متعددة ومختلفة، والتعريفان الأول والثاني (سور شتى، صور شتى) متعلقان ببعضهما بعضا ؛ ذلك أن الآيات ترد بصور شتى، وتتكرر في سور شتى.

أما ابن عقيلة (ت1150هـ) فيوسع مفهوم علم متشابه القرآن، إذ جعله متعلقا بالآيات المتشابهات والمتقاربات على ما وقع من المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فيقول موضحا ذلك: «... ما تشابه من الآيات وما قارب بعضها بعضا ويكون بزيادة أو نقصان يدركها أصل الفهم الثاقب»¹، وبذلك اصطلح بالمتشابه على كل ماتقارب أو تماثل من الآيات القرآنية تكرارا وصياغة وألفاظا وأسلوبا.

ولم تختلف التعريفات الحديثة للمتشابه اللفظي عما ذكرت في الكتب القديمة، فنجد محمد علي الصامل -مثلاً- في كتابه "من بلاغة المتشابه اللفظي" يطلق علم متشابه القرآن على « تلك الآيات التي وردت بألفاظ مثقفة ومتقاربة، وقع في بعضها زيادة في موضع ونقص في موضع آخر، أو تقديم وتأخير، وتعريف أو تنكير، وجمع أو أفراد، أو إبدال حرف مكان حرف، وكلمة مكان كلمة»²، فالمتشابه اللفظي لديه يتعلق بكل ما تقارب من الآيات، أو تشابه في التركيب اللفظي، أو في صياغة الجمل (الآيات القرآنية).

أما جبران خليل صالح فيرى أن المتشابه اللفظي مقصور على الاختلاف اللفظي دون المعنوي، فيقول -معرفا علم متشابه القرآن-: «ورود آيات متكررة في موضوع واحد لكنها وردت في صيغ متعددة وأساليب بيانية متنوعة وكل ذلك لغرض بديع وحكمة بالغة يكشف عنها التأمل والتدبر»³، وقوله (آيات متكررة في موضوع واحد) جعل موضوع الآيات المتشابهات واحدا، وهذا

¹ - ابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 2006، ج6، ص 336.

² - محمد علي الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص 11.

³ - محمد جبران صالح، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم- دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي-، دار فاروق للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2010، ص 17.

ينافي الهدف والغرض من تعداد واختلاف الأساليب، لأن المعنى أو الموضوع المقصود يتجدد ويتنوع بتنوع الصيغ الأسلوبية؛ فقد يحسن استخدام الإيجاز في هذا المقام خدمة لمعنى معين، ولا يحسن في مقام آخر، والمعنى والغرض هما اللذان يتحكمان في التلوينات الأسلوبية والصيغ التركيبية.

ب- أنواع المتشابه اللفظي:

يتضح مما سرد من تعريفات المتشابه اللفظي -آنفة الذكر-، أن هذا الأخير ينقسم إلى عدة

أنواع، وهي:

1. التقديم والتأخير.
2. التعريف والتنكير.
3. الإفراد والجمع.
4. الحذف والذكر.
5. الإدغام والفك.
6. الزيادة والنقصان.
7. إبدال حرف مكان حرف.
8. إبدال كلمة مكان كلمة.
9. إبدال جملة مكان جملة.

ج- أهمية علم متشابه القرآن:

تعود أهمية هذا العلم إلى الموضوع الذي يتناوله، إذ يدرس هذا العلم متشابهات القرآن، كما يعدّ ضرباً من ضروب التفسير « لذلك أهميته من أهمية علم التفسير»¹، لأن تفسير المتشابه اللفظي

¹ - تهاني بن أحمد باحويرات، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، إشراف عبد العزيز عزت، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2007، ص 33.

هو تفسير للقرآن الكريم، كون المتشابه اللفظي لونا من ألوان القرآن الكريم، وصنفا من أصناف علومه.

1- كما تمثل أهمية علم متشابه القرآن في صعوبة مأخذه وتحليل آياته، وبيان ذلك أن النظر في «المتشابه وآياته يختص بتطبيق قواعد العلم، لأن المتشابه يحتم على دارسه النظر في الشيء وعكسه في المعاني المتفقة لا المتضادة، وهنا مكمن الصعوبة»¹، فلا يتصدى لهذا العلم إلا من كان متمكنا من علوم اللغة والتفسير، ومن كان ذا نظر ثاقب وفحص دقيق.

2- تكمن أهمية علم متشابه القرآن في دراسته للقرآن الكريم، فأهمية دراسته من أهمية دراسة القرآن الكريم، ويتوضح ذلك فيما يلي:

أ- **المفردة القرآنية:** يتناول المتشابه اللفظي دراسة المفردة القرآنية وملاءمتها لموقعها، «فيدرس ملاءمة المفردات ووضع الكلمات موضعها، وينظر في اختيارها وفي أحوالها في الجمع والإفراد، ويدرس في صميم مطابقة الكلمة لما يقتضيه المقام»²، وهذا النوع من الدراسة ما هو إلا إثبات وبيان أن هذا القرآن وحي من الله عز وجل، وذلك بالتدليل على ملاءمة كل كلمة لموضعها، فلا خلل في النظم ولا شذوذ في المعنى.

ب- **اختلاف دلالة التركيب اللغوي للآية القرآنية:** يبحث علم المتشابه اللفظي في اختلاف صيغ الجمل وتعدد التراكيب، والصيغ اللغوية مع تعدد المعاني، ويبين الخطابي (ت388هـ) ذلك في رسالته "إعجاز القرآن" شارحاً: «إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم، وإذا تأملت القرآن

¹ - فهد بن عبد المغيث الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام (دراسة نظرية تطبيقية)، إشراف محمد بن عمر بازمول، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005، ص 134.

² - محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 129.

وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة»¹، فلا يجد المتمعن في القرآن الكريم أفصح وأجزل وأحسن تأليفا وألحم نظما منه.

3 - يساهم علم متشابه القرآن في إثبات إعجاز القرآن الكريم وترسيخه في الأذهان، فالوقوف على تفسير المتشابه اللفظي يملأ النفس إيمانا ويقينا أن هذا القرآن من وحي الله عز وجل لا من كلام البشر، ويؤكد الباقلاني (ت402هـ) أن سبب ورود التكرار القصص القرآني غايته إعجاز العرب وتحديدهم، فلم تستطع « العرب أن تأتي بمثل هذا المكرر صحيح المعنى الذي ليس له اعتراض»²، فورود المتشابه اللفظي في القرآن الكريم أدحض حجج العرب بأن هذا القرآن كلام بشر، وأبطل ادعاءهم بقدرتهم على المحييء بمثله، فوقفوا مبهورين مبهورين بتناسق ألفاظه، وترابط نظمه وأجزائه وانسجام معانيه.

4- يساعد ورود المتشابه اللفظي في القرآن -خاصة ما يتعلق بالقصص القرآني -على الاعتبار والاستدلال من ذلك التكرار الجزئي للقصص القرآنية، ويوضح ابن تيمية ذلك قائلاً: « وذكر الله هذه القصة - أي قصة موسى عليه السلام- في عدة مواضع من القرآن الكريم، يبيّن في كل موضع الاستدلال والاعتبار نوعاً غير الآخر»³، فيذكر القصة بالقدر الذي يقتضيه المقام، فتجدد العبر بتجدد ذكر تلك القصص في القرآن الكريم، ويختلف الاستدلال منها باختلاف المواضع والمواطن التي وردت فيها.

5- تساهم دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم في الرد على المشكّكين، الذين «يطعنون في القرآن الكريم من خلال متشابه أو مماثل، أو ما تكرر من ألفاظ القرآن وآياته، مدعين أن ما به

¹ - الخطابي، رسالة في الإعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن (الرماني، الخطابي، الجرجاني)، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976، ص 27.

² - الباقلاني، الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، ط1، 2001، مج1، ص 803.

³ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دار الأوقاف، السعودية، د.ط، 2004، ج17، ص 167.

من المتشابه اللفظي غير المفهوم، أو ما تكرر من ألفاظ القرآن وآياته هو تكرر لأهداف معينة¹، فعلم متشابه القرآن يبيّن أن وجود المتشابهات في القرآن الكريم وورودها لأسباب معينة، وأهداف مرادة أو أغراض مقصودة، فكل صيغة من تلك الصيغ ترمي إلى معنى معين، يتجدد بتحدد المواضع الواردة فيها.

6- تعين دراسة علم متشابه القرآن على « تحصيل العلوم الكثيرة؛ ذلك لأن المتشابه يوجب فهمه التعمق في معرفة النحو وعلم المعاني²، والوقوف على أساليب العرب والعلوم الأخرى، فلا يتصدى لهذا العلم (علم متشابه القرآن) إلا من كان عارفاً بعلوم اللغة، وضروب كلام العرب وبيانه وبلاغته.

د- المؤلفات التي جمعت المتشابه اللفظي:

تفطن العلماء - قديماً وحديثاً - إلى أهمية دراسة علم متشابه القرآن، وما يفيد من إثبات لإعجاز القرآن واستنباط العبر والمواعظ منه، فسحّروا له مؤلفاتهم جمعاً للمتشابه اللفظي، وضبطاً وتصنيفاً لما ورد من المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

1- قديماً:

يذكر ابن النديم (ت380هـ) أن البدايات الأولى لتقعيد علم المتشابه اللفظي جمعاً وتدويناً، كانت مع مؤلف « متشابه القرآن بن سليمان الأردني البلخي (150هـ) »³، لكن البداية الفعلية لجمع المتشابه اللفظي كانت مع كتاب "متشابه القرآن" للكسائي (ت189هـ)، وكان هدف هذا الأخير من تأليفه لكتابه - متشابه القرآن - تسهيل عملية الحفظ على القراء، إذ يصرّح بذلك في

¹ - منصور محمد أحمد يوسف، علم متشابه القرآن الكريم وجهود العلماء القدامى في خدمته، بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس 2)، مركز بحوث القرآن، جامعة ملايا، كوالامبور، ماليزيا، 23/22-02-2012، ص 9.

² - صابر أبو سليمان، مورد الظمان، الدار السلفية، ط1، 1984، ص 26.

³ - ابن النديم، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1997، ص 36.

مقدمة كتابه قائلا: «...ليكون كتابنا هذا عوناً للقارئ على قراءته وتدوينه، وعلى حفظ متشابه القرآن»¹، فكان الهدف المنشود من تأليف هذا الكتاب إعانة القارئ والحافظ على حفظ القرآن الكريم، وقد أفرد الأبواب حسب ما تكرر في الآيات مما ورد مرتين جعل له باباً، وما جاء ثلاثاً أفرد له باباً، وهكذا دواليك.

وورد في كتاب "طبقات المفسرين" مؤلف بعنوان «الرد على الملحدين في متشابه القرآن لمحمد بن الحسين المعروف بقطرب»²، والواضح من عنوان الكتاب أن الهدف من تأليفه هو الرد على الملحدين، وإبطال مزاعم المشككين، فيما ورد من متشابه اللفظ في القرآن الكريم.

ويسرد الذهبي (ت748هـ) في ترجمته "سير أعلام النبلاء" بعض المؤلفين الذين جمعوا المتشابه اللفظي، وهم حسب الترتيب الزمني: أحمد بن جعفر المناوي (ت236هـ)، وسعيد بن محمد الغساني (ت302هـ) مؤلف كتاب "توضيح المشكل في القرآن"، وكتاب ابن علي الجبائي (ت303هـ)³.

وفيما يلي سرد لأهم المؤلفات التي جمعت ودوّنت المتشابه اللفظي في القرآن:

1. "رسالة في متشابه التعبير باللفظ في آيات القرآن" للسجستاني (ت316هـ)⁴،

ويضم هذا الكتاب التعابير القرآنية المتشابهة لفظاً.

2. "متشابه القرآن العظيم" لابن المنادي (ت336هـ)، ويعدّ هذا الكتاب مرحلة أساسية

ومهمة في التعيد والتأسيس لعلم متشابه القرآن، ووضع ضوابطه، وكانت غاية ابن المنادي

من تأليفه للكتاب «جمع نظائر من ألفاظ القرآن التي تشبه على القارئ ليحفظها، وينتبه

¹ - الكسائي، متشابه القرآن، تح: محمد بن عيد الشعباني، دار الصحابة للتراث، مصر، د.ط، د.ت، ص 5.

² - الداوودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ج1، ص 256.

³ - ينظر: الذهبي، ترجمة سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، د.ط، 2007، ج4، ص 205.

⁴ - ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص 37.

إليها، فيتفق حفظه، (...)، وإعانة من يرد على الملحدّين الذين يطعنون في القرآن، بأن فيه المكرر والمعاد»¹، فرغبته في تسهيل عملية الحفظ على القراء عن طريق إحصاء نظائر القرآن، وعزمه على الرد على الملحدّين والمشكّكين في القرآن، دفعا به إلى تأليف كتابه (متشابه القرآن العظيم).

3. "كنز المتشابهات" لحافظ محبوب، ويشمل فهرسةً للمتشابه من اللفظ في الآيات القرآنية²، وهو بذلك يشبه المعجم المفهرس لآيات المتشابه اللفظي.

4. نظم أرجوزات لضبط المتشابه اللفظي: اشتهر في تصنيفات العلماء بما يسمى بالأرجوزات أو المنظومات، وهي عبارة عن قصائد منظومة تحمل في طياتها ضوابط العلم وقوانينه، وهذه المنظومات تساعد على فهم العلم، وحفظ قوانينه، بفضل النغم الموسيقي الذي يرسخ في الذهن.

أ- أول منظومة ألّفت في علم متشابه القرآن هي المنظومة السخاوية المسماة بـ "هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب" للسخاوي (ت 643 هـ)، ويبيّن السخاوي سبب نظمه لهداية المرتاب قائلاً:

«وَقَدْ نَظَّمْتُ فِي أَشْبَاهِ الْكَلَامِ أَرْجُوزَةً كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْظَمِ

لَقَبْتُهَا هِدَايَةَ الْمُرْتَابِ وَغَايَةَ الْحِفَاطِ وَالطُّلَابِ»³.

¹ - ابن المنادى، متشابه القرآن العظيم، ص 17.

² - ينظر: اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ج2، ص 19.

³ - السخاوي، هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، تح: عبد القادر الخطيب الحسني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1993، ص 66.

ويتبين أن الغرض من تأليفه للمنظومة إعانة الراغبين في حفظ القرآن الكريم، ومساعدتهم على حفظ آيات الله، والأمن من الالتباس والوقوع في الأغلاط.

ب- منظومة "كفاية القارئ" للحارثي (ت1174هـ)، ووصفها محققها "السندي" بأنها أوسع المنظومات في المتشابه اللفظي¹، وأوفرها مادة.

ج- منظومة "تيسير الوهاب المنان على توضيح متشابه القرآن" لمحمد بن أنبوجا التشتي (ت12هـ)، وشرح هذه المنظومة أحمد الأسود الشنقيطي، فيقول: « هذا شرح وجيز على نظم متشابه القرآن العزيز»² وبالرغم من الإيجاز الذي غلب على منظومة (تيسير الوهاب المنان) إلا أنها تميزت بالوضوح والبسط في الشرح والتدوين.

د- منظومة "في متشابه الآي والألفاظ" للدمياطي (ت1127هـ)، وانتهج فيها طريقة السخاوي في النظم، ويقول عنها شارحها: « وهي منظومة طيبة جمع فيها كثيرا من المتشابهات، وزاد فيها على غير من المنظومات»³، فلم يكتف الدمياطي بالوقوف على ما دونه سابقوه أو نظموه، وإنما زاد على ذلك، على عكس المنظومات السابقة.

إضافة إلى مجموعة أخرى من منظومات متشابه القرآن لم يقف الباحثون عليها، وهي « نظم البحر لأحد العلماء الشناقطة طبع بمكة، ولم يترك شيئا من المتشابه (...) ومنظومة الدنقاسي شملت متشابه الآيات وكذلك علم الرسم على رواية ورش»⁴.

¹ - يتظر: الحارثي، كفاية القارئ، تح: عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص5.

² - محمد بن أنبوجا التشتي، تيسير الوهاب المنان على متشابه القرآن، شرح: أحمد الأسود الشنقيطي، دار المعارف، ط2، د.ت، ص3.

³ - محمود عبد المنعم العيد، حلية الحفاظ وشرح منظومة الدمياطي، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص1.

⁴ - محمد أحمد الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل السمرائي - دراسة مقارنة-، أطروحة دكتوراه، قسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، كوالامبور، 2012، ج1، ص60.

وكل هذه المنظومات وضعت خدمة لطالب القرآن وحافظه، وتيسيرا لحفظ كلام الله عز وجل، والتفريق والتمييز بين ما تشابه لفظا من الذكر الحكيم.

2- حديثاً:

استمرت مرحلة تدوين وضبط المتشابه اللفظي إلى غاية العصر الحديث، ومن بين الكتب التي اهتمت بجمع وضبط متشابه اللفظ من القرآن الكريم:

- أ- "دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم" لمحمد بن عبد الله الصغير، ويقول في مقدمة كتابه: « إن الحاجة الماسة لوضع مرجع سهل ميسر يوضح الآيات المتشابهات الألفاظ ويقارب بينها بوضوح، بحيث يتمكن من الرجوع إليه من يريد أن يحفظ»¹، فكان هدفه من تأليف الكتاب هو ضبط المتشابه اللفظي، تيسيرا للحفظ وعونا للطالب أو الراغب في حفظ القرآن الكريم.
- ب- "دليل الآيات متشابهة الألفاظ في كتاب الله العزيز" لسراج صالح ملائكة، جمع فيه صاحبه الآيات متشابهة الألفاظ، وضبطها حسب ترتيب سور القرآن الكريم².
- ج- "الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات متشابهة الألفاظ" لمؤلفه جمال عبد الرحمن، ويشرح سبب تأليفه للكتاب في مقدمته قائلاً: « وقد قصدت في مؤلفي هذا إلى استنتاج علامات وإشارات تعين الحافظ والقارئ على فصل المتشابهات، وتجنب الخطأ والغلط عند التلاوة»³، فرغبته في إعانة القارئ على تلاوة القرآن الكريم، دون الوقوع في الغلط والالتباس في التمييز بين ما تشابه لفظاً، دفعته لتأليف هذا الكتاب.

¹ - محمد بن عبد الله الصغير، دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1997، ص 8.

² - ينظر: سراج صالح ملائكة، دليل الآيات متشابهة الألفاظ في كتاب الله العزيز، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط4، 2006، ص4.

³ - جمال عبد الرحمن، الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات متشابهة الألفاظ، دار التراث العربي، ط4، 2007، ص 8.

د- "جواهر البيان في متشابهات القرآن" لعبد الرحيم عطية إبراهيم، وذكر غرضه من تأليف الكتاب قائلاً: « تتبع ما تشابه من آياته في المعنى على اختلاف صور التمييز وصيغته، من تقديم وتأخير أو تعريف وتنكير (...)، إلى غير ذلك من ضروب التمايز والتخالف التي لها دواعيها البلاغية»¹، والواضح من عنوان الكتاب أنه يرمي إلى دراسة المتشابه اللفظي دراسة بلاغية، ولكن الواقع أن القارئ لدى تصفحه لهذا المؤلف لا يجد إلا ضبطاً للآيات دون توجيهها بلاغياً، على عكس ما صرح به المؤلف في مقدمة كتابه.

هـ- "التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن" لعبد الغفور عبد الكريم البنجابي، وكانت غايته من تأليف الكتاب ضبط آيات متشابهة اللفظ في القرآن الكريم، إذ يوضح ذلك في مقدمة كتابه قائلاً: «... رغبةً مني في ضبط آيات الله، وقراءتها كما أنزلت (...)، وصنفت هذا الكتاب ليكون عوناً للقراء، ومظهراً من مظاهر إعجاز القرآن»²، فلم تقتصر رغبته على إعانة القارئ على الحفظ، وإنما حاول إثبات والبرهنة على إعجاز القرآن الكريم؛ كون المتشابه اللفظي لونا من ألوان الإعجاز القرآني.

و- "العقد الجميل في متشابه التنزيل" لحضرة أكاه باشا، جمع فيه الآيات المتشابهات لفظاً ابتداءً من سورة الفاتحة، وضبطها حسب ترتيب سور القرآن الكريم³.

ز- "إغاثة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن - ضوابط وعلامات لتمييز المتشابهات من الآيات البينات"-: لعبد الله عبد الحميد، يذكر المؤلف سبب تأليفه للكتاب في مقدمة كتابه قائلاً: « جمع الآيات المتشابهات التي في كتاب الله تعالى والتي يخطئ فيها حافظ

¹ - عبد الرحيم عطية إبراهيم، جواهر البيان في متشابهات القرآن، مطبعة الكيلاني، القاهرة، د.ط، 2002، ص ص 5-6.

² - عبد الغفور عبد الكريم البنجابي، التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1994، ص 1.

³ - ينظر: حضرة أكاه باشا، العقد الجميل في متشابه التنزيل، مطبعة مدرّة والدة عباس باشا الأول، مصر، د.ط، 190، ص 5.

القرآن»¹، فلم يخرج صاحب هذا الكتاب في إبراز سبب تأليفه لمؤلفه عن الأسباب التي ذكرها غيره، والمتمثلة في إعانة الطالب على حفظ القرآن الكريم.

ولم تتوقف جهود الباحثين عند تدوين وجمع آيات المتشابه اللفظي وضبطها، وإنما حاولوا توجيه مواضع المتشابه اللفظي، وإبراز سبب وقوعه بصيغ مختلفة في مواطن معينة، وهذا ما سيتم توضيحه فيما يلي.

¹ - عبد الله عبد الحميد، إغائة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن - ضوابط وعلامات لتميز المتشابهات من الآيات البينات -، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، ط2، د.ت، ص 7.

ثالثاً- توجيه المتشابه اللفظي بين القدماء والحدثين.

بدأ الاهتمام بدراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم، إذ دأب الصحابة الكرام والسلف الصالح على مدارس علم متشابه القرآن، والغوص في معانيه منذ بداية نزول القرآن الكريم، وذكرت كتب التفسير وعلوم القرآن ومضات وإشارات عن اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام بتوجيه المتشابه اللفظي من القرآن الكريم، ومنه ما روي «عن أبي إمامة عن النبي (ص) قال: إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن الكريم في سورة البقرة وآل عمران وطه، فالتمستها فوجدتها في سورة البقرة في آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وفي سورة آل عمران ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وفي سورة طه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾»¹.

وما روي عن قتادة في توجيهه لآتي الكهف ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (71)، و﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ (74)، فقال «النكر أعظم من الإمر»².

وما ذكره ابن الجوزي (ت654هـ) والشوكاني (ت1250هـ) عن جعفر الصادق في توجيهه لتكرار ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران18)، فقال: «فالأول وصف والثاني تعليم، أي قولوا واشهدوا كما شهدت»³.

¹ - الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1995، ج2، ص 371، رقم/776.

² - العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج19، ص 42.

³ - ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم. المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت، ج1، ص 362، والشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ج2، ص543.

كما اعتنى السيوطي في مختلف مؤلفاته بدراسة المتشابه اللفظي جمعا وتوجيها، ويعدّ كتاب "قطف الأزهار في كشف الأسرار" من أهم الكتب التي كرّس فيها السيوطي اهتمامه بدراسة المتشابه اللفظي دراسةً فاحصة دقيقة، إذ يعرض في مقدمة كتابه سبب تأليفه وماهية بحثه قائلاً: «وهذا الكتاب شغفت به تلك - يقصد كتبه السابقة-، ونظمته معها في سلك أسرار التنزيل، أذكر فيه جميع ما وصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني من أسرار التقديم والتأكيد والحذف والإيجاز والإطناب والنكت البيانية من التشبيه والاستعارة (...)، وسر ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم وتأخير وزيادة أو نقصان (...). نوّم وقع في هذا الموضوع كذا نوفي هذا الموضوع كذا»¹.

فإن اكتفت مؤلفات السيوطي السابقة بإحصاء الآيات المتشابهات لفظاً وإيراد أنواعها، فإن مؤلفه (قطف الأزهار) تناول مهمة توجيه المتشابه اللفظي، وإيضاح وجه إيرادها في كل موضع بصيغة معينة، ووجه الاختلاف والحكمة منها.

ولم تتوقف جهود العلماء عند هذه الإشارات أو الومضات، وإنما حاول جمع منهم النهوض بعلم توجيه المتشابه اللفظي، وجعله علماً قائماً بذاته، نظراً لمكانته المرموقة في الدراسات القرآنية .

-الكتب التي تخصّصت في توجيه المتشابه اللفظي:

أ- قديماً:

1أ- الخطيب الإسكافي(ت420هـ) :

يعدّ الخطيب الإسكافي أول من تخصّص في توجيه المتشابه اللفظي، وأفرده بالتأليف والتنقيب والبحث، وكتابه "درة التنزيل وغرّة التأويل" يعد الحجر الأساس لتفصيل علم توجيه المتشابه اللفظي.

¹ - السيوطي، قطف الأزهار في كشف الأسرار - المسمى أسرار التنزيل-، تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1994، ص ص 95-96.

ويصرّح الإسكافي بأسبقيته في التأليف في علم توجيه المتشابه اللفظي، فيقول: « بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها ومعاني المتأولين والمتبحرين، فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف؟، ولم يقرع بابها؟، ولم يفتر عن بابها؟، ولم يسفر عن وجهها؟! ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا... »¹.

وقد أقر العلماء أن الإسكافي هو أول من طرق باب هذا اللون من البحث، وهذا ما أكّده الغرناطي (ت708هـ) حينما دعا إلى الاقتداء بالخطيب، فيقول: « صدق رحمه الله، وأحسن فيما سلك وسنّ، وحق لنا - لإحسانه - أن نقتدي به ونستنّ »².

وأفصح الإسكافي في مقدمة كتابه عن طبيعة بحثه قائلا: « إني منذ خصني الله تعالى بإكرامه وعنايته وشرفني بإقراء كلامه ودراسته، تدعوني دواع قوية يبعثها نظر بروية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المتعلقة، والمنصرفة »³.

ويتوضح من كلام الإسكافي أنه انكب على دراسة الآيات المتكررة تكرارا تاما مطابقا، وهذا ما قصده بقوله (المتفقة)، وقصد بقوله (الكلمات المختلفة) ما وجد من آيات تشابهت تشابها نسبيا؛ وذلك باختلاف بعض الكلمات، ومواضعها، وقصد بـ (حروفها المتشابهة المتعلقة) حروف البناء اللغوي لتعالقها وتلاحمها مع بعضها بعضا، مشكّلة في ذلك كلمات ومفردات ترمي إلى معان ودلالات معينة، ولم يتوضّح ما قصده بالحروف (المنصرفة)، فرمى قصده بها الكلمات التي يعدل بها

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى أيدين، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2001، ج1، ص218.

² - الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل، تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983، ج1، ص146.

³ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج1، ص217.

من معنى إلى آخر حسب ما يقتضيه السياق، ويتمثل هذا النوع الأخير في المشترك اللفظي الواقع في القرآن الكريم.

ويعرض الإسكافي سبب تأليفه لكتابه قائلاً: « تطلبا لعلامات ترتفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآياتها، دون أشكالها (...)، ولمسلك الملحددين سداً¹، فكان هدف الخطيب من تأليفه لـ "درة التنزيل وغرة التأويل" رفع اللبس، وعدم الوقوع في الخلط بين المتشابهات اللفظية أولاً، ودرء مزاعم الملحددين، ودفع شكوك المشككين في القرآن الكريم، وإبطال مزاعمهم المزيفة ثانياً.

وانتهج الإسكافي في دراسته للمتشابه اللفظي - جمعاً وتوجيهاً - مجموعة من القواعد أهمها:

1. التزم في تناوله للمتشابه اللفظي بترتيب السور والآيات حسب ما وردت في المصحف،

فبدأها بسورة البقرة، وتبع مواطن المتشابه آية آية إلى آخر المصحف.

2. اعتمد في توجيهه للمتشابه اللفظي على الشرح المعجمي لمفردات آيات المتشابه

اللفظي، إضافة إلى تحليلها نحويًا وصرفيًا، ومقارنتها مع غيرها من الآيات، مع تبين أثر

السياق في تحديد المعنى المتغير.

3. يستنتج من القاعدة آنفة الذكر استناد الإسكافي إلى علوم اللغة من

(نحو، صرف، بلاغة)، وذلك في توجيهه للمتشابه اللفظي الواقع في القرآن الكريم.

ويلاحظ المتصفح لكتاب الإسكافي مزجه بين العلوم اللغوية في دراسته للمتشابه اللفظي

(بلاغة، صرفاً، نحواً، صوتاً)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الوعي الكبير، والبصيرة الثاقبة التي

اتسم بها الإسكافي في دراسته لعلم متشابه القرآن الكريم.

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، المصدر السابق، ج1، ص ص 217-218.

أ2- الكرمانى (ت505هـ):

أشار الكرمانى فى كتابه "البرهان فى توجيه متشابه القرآن" -المسمى بأسرار التكرار فى القرآن الكرىم- إلى سبب تأليفه لهذا الكتاب، فىقول: «أذكر فى الآيات والمتشابهات التى تكررت فى القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع فى بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك، مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التى تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبىّن ما السبب فى تكرارها، والفائدة فى إعادتها (...)، وما الحكمة فى تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى»¹.

وىبدو جلياً أن غرض الكرمانى من تأليفه للكتاب هو دراسة المتشابه اللفظى وتوجيهه، ودراسة مفصلة للتكرار النسبى الوارد فى السور والآيات، وبيان الحكمة منه، وهذا إقرار ضمى بأن الهدف من هذا التأليف إبطال مزاعم المشككين فى القرآن الكرىم، بأنّ التكرار الوارد فى القرآن لا فائدة منه، وذلك ببسط الحجج الساطعة والبراهين الدامغة.

وتتميز منهج الكرمانى فى توجيهه لمواطن المتشابه اللفظى بـ:

1. دراسة الآيات متشابهة الألفاظ حسب ترتيب السور فى المصحف، إذ بدأ بسورة البقرة متتبعا فى ذلك الآيات، وما يشبهها لفظاً إلى آخر سورة فى المصحف.
2. الاعتماد على علوم اللغة فى توجيهه للآيات متشابهة الألفاظ من نحو، وصرف، وبلاغة.
3. الارتكاز على عنصرى اللغة والسياق فى توجيهه، وبيانه لأسرار المتشابه اللفظى الواقع بين الآيات؛ إذ كان يربط دلالة الألفاظ اللغوية بتموقعها فى سياق الآية أو سياق المقطع.

¹ - الكرمانى، البرهان فى توجيه متشابه القرآن (المسمى أسرار التكرار فى القرآن الكرىم)، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، د.ط، د.ت، ص ص 63-64

أ3- الغرناطي(ت708هـ):

جاء كتاب الغرناطي المسمى "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه متشابه اللفظ من آي التنزيل" مكملا لما شرع فيه سابقوه، في تخطيط أسس علم متشابه القرآن والمشى به قدما.

ويبدو واضحا من عنوان الكتاب أن السبب الأول من تأليف الغرناطي لمؤلفه هو إبطال مطاعن الملحددين في القرآن الكريم، كما يضيف المؤلف سببا آخر جعله يدرس المتشابه اللفظي، فيقول: « إن مغفلات مصنفي أئمتنا - رضي الله عنهم - وخدمة علومه وتدبر منظومه الجليل ومفهومه وتوجيه ما تكرر من آياته لفظا، أو اختلف بتقديم أو تأخير بعض زيادة في التعبير »¹، فكان إغفال المفسرين وعزوفهم عن دراسة المتشابه اللفظي سببا في ولوج الغرناطي في غمار البحث في علم متشابه القرآن، وكان لزاما عليه حمل شعلة هذا العلم والسير به قدما، والغوص فيما أغفله سابقوه.

ويشير الغرناطي في كتابه إلى مسألة مهمة مفادها أن التغييرات الحاصلة في آيات المتشابه اللفظي راجعة إلى ما يقتضيه السياق، إذ تتعدّر إمكانية وقوع آية مكان أخرى دون اقتضاء السياق ذلك، فيقول: «وظن الغافل عن التدبر والمخلد إلى الراحة عن التفكير عن تخصيص كل آية من تلك الآيات الوارد فيها مما خالفت نظيرتها لسبب يقتضيه، وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه (...)، فلا يليق بكل من تلك المواضع إلا الوارد فيه، وإنّ تقرير وقوع آية منها في موضع نظيرتها ينافر مقصود ذلك الموضع وينافيه»²، فوقع المتشابه اللفظي والتغيير في تلك المواضع جاء خدمة للمعنى المقصود، واستجابة لما يقتضيه السياق من دلالات معينة، وهذه إشارة هامة لأهمية السياق في توجيه المتشابه اللفظي.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص 144

² - المصدر نفسه، ج1، ص 145.

ويتلخص منهج الغرناطي في توجيهه لآيات المتشابه اللفظي في النقاط الآتية:

1. اعتماده على كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل" كركيزة أولى في بحثه، ومحاولته استدراك ما أغفله الإسكافي من مواضع المتشابه اللفظي، وأشار الغرناطي إلى هذه المواضع بحرف [غ]¹، لإعلام القارئ أن هذه المسألة في هذا الموضع من المتشابه اللفظي، قد تمّ إغفالها من قبل الخطيب الإسكافي.
2. افتتاح دراسته بتوجيهه للمواضع الواردة في سورة الفاتحة، على عكس سابقه الذين كانوا يبدؤون مسائل توجيههم لما تشابه من الآيات من سورة البقرة.
3. إيراد الآية المراد توجيهها حسب ترتيبها في المصحف الشريف.
4. اعتماد أسلوب المحاوراة والمناقشة مع القارئ، فكأنه يدخل القارئ معه - تلقائياً - في عملية البحث والتحليل، فكان يستعمل كثيراً جملة « وأن يسأل السائل (...)»، فإذا تأملت في صفات (...) ألا ترى أنك إذا...².

أ4- ابن جماعة (ت733هـ):

سار ابن جماعة على درب سابقه، وخاض غمار الغوص في هذا اللون من البحوث القرآنية، مؤلفاً في ذلك كتابه "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، ويذكر في مقدمة كتابه سبب تأليفه لهذا الكتاب، فيقول: « فلما منّ الله تعالى علي بالقرآن العزيز وحفظه وتحصيله والوقوف على ما قدر من تفسيره وتأويله (...)، وربما نهج بعض فضلاء الحاضرين لمسائل حسنة غريبة، ويسأل عن مناسبات

¹ - ينظر: الغرناطي، ملاك التأويل، المصدر السابق، ج1، ص147.

² - المصدر نفسه، ج1، ص280.

ألفاظها لمعانيه العجيبة مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة، ولا ألت به في أسفارها (...)، فاستخرت الله تعالى في ذكر أجوبة ما على خاطر منه باختصار لا غنى لفهمه عنه»¹.

ويتبين من خلال قول ابن جماعة السابق أن سبب تأليفه لكشف المعاني عائد إلى قلة المؤلفات في هذا الفن، وعزوف المفسرين عن خوض غمار توجيه المتشابه اللفظي، إلا ما وجد من إشارات مقتصرة في كتب بعض المفسرين.

ويتوضّح منهج ابن جماعة في دراسته للمتشابه اللفظي في النقاط الآتية:

1. دراسة مواضع المتشابه اللفظي حسب ترتيب السور في المصحف الشريف، ابتداءً من البقرة إلى غاية نهاية المصحف.

2. المزج بين العلوم اللغوية من نحو، وصرف، وبلاغة.

3. اعتماد السياق في توجيه المواضع التي وردت فيها الآيات متشابهة الألفاظ، بوصفه العامل الأساسي لورود تلك المواضع بتلك الصيغ.

4. اعتماد أسلوب الإيجاز غير المخل بالمعنى، فالتأمل في كلام ابن جماعة يلاحظ اختصاره الشديد في التحليل والتوجيه، مع بلوغ الهدف المراد والفكرة المقصودة في توجيهه، دون إسهاب أو إطباب.

أ5- الأنصاري (ت926هـ):

يعدّ كتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن" لصاحبه الأنصاري دراسة وافية للآيات المتشابهات لفظاً، ويعرّف الأنصاري بمادة كتابه قائلاً: « فهذا مختصر ذكر آيات القرآن المتشابهات المختلفة بزيادة أو تقديم أو إبدال حرف بآخر أو غير ذلك، مع بيان تكراره وفي ذكر نموذج

¹ - ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تح: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص8.

من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها صريحاً أو إشارة¹، فتناول دراسة الآيات المتشابهات بشتى أنواعها وتوجيهها، مع بيان الحكمة من ورودها بتلك الصيغ المتشابهة نسيباً، وقوله (صريحاً أو إشارة) إشارة إلى اعتماده في دراسة المتشابه اللفظي على السياق.

ويبدو واضحاً من عنوان الكتاب "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن" أن الأنصاري لم يكتف بالوقوف على الآيات متشابهة الألفاظ، وإنما بحث في كل ما هو مبهم في القرآن الكريم، فتناول الآيات التي قد يلتبس فهمها على القارئ، ودرسها بالتحليل والتفسير والمقارنة، ولهذا كثرت المسائل التي ناقشها الأنصاري في مؤلفه.

توقف التأليف في هذا الفن منذ عهد الأنصاري إلى غاية العصر الحديث، إذ لم تشهد تلك الفترة تأليف كتب تختص بتوجيه المتشابه اللفظي، ليس انتقاصاً من هذا العلم – وكيف يمكن ذلك وهو كلام الله عز وجل –، وإنما بسبب ما يحتاجه هذا اللون من الفن من « دقة في النظر، ودربة في طول الفكر، والتماس المعاني اللطيفة»²، فلا يكفي الباحث في هذا المجال أن يكون متمكناً من علوم اللغة، ليغوص في غمار هذا العلم، بقدر ما يتوجب أن يتوفر فيه دقة النظر، وبعد تأمل، وبصيرة ثابتة، والقدرة على الغوص في المعاني العميقة والتماس الدلالات الثانوية.

ب- حديثاً:

اكتفى الباحثون المحدثون في دراستهم لعلم توجيه المتشابه اللفظي بنقل ما وجهه العلماء قديماً – كالإسكافي والغرناطي – من مواضع، غاضين النظر – في ذلك – عن توجيه ما أغفله القدماء – سهواً – من مواضع المتشابه اللفظي.

¹ – الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 8.

² – محمد بن راشد البركة، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه – دراسة موضوعية –، إشراف سليمان بن إبراهيم اللاحم، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2005، ج1، ص 141.

ولا يتجاوز العلماء الذين اعتنوا بتوجيه ما أغفله القدماء من مواضع المتشابه اللفظي عدد الأصابع، ولكن بالرغم من قلتهم، فإنهم أضافوا الجديد إلى هذا العلم القيم، إذ وجهوا بعضاً من المواضع التي غفل عنها علماء توجيه المتشابه اللفظي قديماً، ومن بين هؤلاء الباحثين:

ب1- المطعني:

تناول المطعني المتشابه اللفظي انطلاقاً من دراسته للأسلوب القرآني وما يتميز به من سمات بلاغية، وذلك في كتابه "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية"، ويوضح المطعني في مقدمة كتابه موضوع بحثه وماهيته، فيقول: « إن موضوع البحث يدور حول تجلية كثير من خصائص النظم القرآني وسماته البلاغية»¹، فانصب اهتمام المطعني في كتابه على التعابير القرآنية بدراسة بلاغية، متقصياً في ذلك مواطن الإعجاز القرآني،

ولأن المتشابه اللفظي وجه من أوجه الإعجاز القرآني درسه المطعني بوصفه سمة من سمات الإعجاز القرآني، وخاصية من خصائص البلاغة القرآنية، ويتوضح ذلك في الفصل الثالث من الباب الثالث للكتاب، إذ درس المتشابه اللفظي ضمن عنوان "التقديم غير الاصطلاحي في اختلاف النظم في العبارات ذات المعنى الواحد"، ويشرح المطعني هذا النوع قائلاً: «إذا قاربت العبارة بموضع آخر اتحد معهما في أصل المعنى، ظهر لك أن الكلمة قدمت في موضع وأخرت في آخر»²، كما تناول دراسة المتشابه اللفظي الواقع في القصص القرآنية ضمن دائرة « التكرار للمتشابه اللفظي في سورة القمر والرحمن والمرسلات»³.

¹ - المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1998، ج1، ص 5.

² - المرجع نفسه، ج2، ص 144.

³ - نفسه، ج2، ص 332.

ويمكن الجزم -مما سبق- أن المطعني درس المتشابه اللفظي بوصفه سمة من سمات التعبير القرآني، ولونا من ألوان البلاغة القرآنية، على عكس سابقه -مثل الإسكافي والغرناطي- الذين اهتموا بتوجيه المتشابه القرآن بوصفه علما قائما بذاته، ومستقلا عن غيره من العلوم القرآنية.

ب2- محمد علي الصامل:

اهتم محمد علي الصامل بدراسة المتشابه اللفظي من وجهة بلاغية، لإيمانه الكبير أن وقوع المتشابه في القرآن الكريم هو لون من ألوان البلاغة القرآنية، فكانت أول خطوة له في هذا المجال عبر برنامجه (دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم)، الذي كان يعرض في إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية¹، ثم جمع تلك المواضع التي وجهها في برنامجه (دراسة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم) في كتاب أسماه "من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم".

ويؤكد محمد علي الصامل على أن المتشابه اللفظي من أعظم مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وهذا ما دفعه « إلى الوقوف عند هذه الظاهرة وبيان سر الاختلاف بين الآيات المتشابهة لفظيا، ومحاولة تحليل ذلك بلاغيا انطلاقا من تحديد مقام كل موضع، واستدعائه للصيغة التي وردت فيه، فلكل مقام مقال وهذا هو لب البلاغة»²، فكان غرض الصامل من دراسة المتشابه اللفظي إثبات قضية الإعجاز القرآني بيانيا وبلاغيا، ولذلك كانت دراسته للمتشابه دراسة بلاغية بيانية محضة.

ب3- فاضل صالح السامرائي:

يعدّ فاضل صالح السامرائي من أكثر الباحثين الذين كرسوا علمهم وجهدهم ومعرفتهم في خدمة وتطوير علم توجيه المتشابه اللفظي، فلا تخلو كتب السامرائي من توجيه آيات المتشابه اللفظي التي أغفلها القدماء - سهوا-، ونجد ذلك واضحا في كتاب:

¹ - ينظر: محمد علي الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي، (مقدمة الكتاب)، ص 6.

² - المرجع نفسه، ص 5.

1. الأسئلة البيانية في القرآن الكريم:

كان سبب تأليف السامرائي لهذا الكتاب القيم جمع الأسئلة التي أجاب عليها في برنامجه (لمسات بيانية في القرآن الكريم)، والذي أذيع في قناة الشارقة، وهذا ما يوضحه في مقدمته قائلاً: «فهذه الأسئلة ورد إلي كثير منها على طريق التلفاز، بينما كنت أتحدث في برنامج لمسات بيانية في نصوص من التنزيل) في قناة الشارقة (...»، وورد القسم الآخر عن طريق المراسلة، وقد أجبت عن قسم غير قليل منها عبر البرنامج، وبقي قسم آخر لم يتسن لي الإجابة عنه، وفي هذا الكتاب حاولت الإجابة عن مائة سؤال مما سبق أن أجبت عنه، أو لم يتسن لي ذلك»¹.

وانطلاقاً مما ذكره فاضل صالح السامرائي - آنفاً- يمكن عدّ هذا الكتاب من أكثر الكتب ثراءً وسخاءً بمواضع المتشابه اللفظي توجيهها وتحليلها، وهذا الكتاب إضافة جديدة إلى علم توجيه متشابه القرآن، وذلك بما قدمه من توجيهات جديدة لمواضع المتشابه اللفظي التي أغفلها سابقوه في دراساتهم.

2. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:

انطلق السامرائي في دراسته للمتشابه اللفظي في كتابه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" من المفردة القرآنية، بوصفها المكون الأساسي للتراكيب الجمالية عامة، واللبنة الأولى في بناء النص القرآني خاصة، ويصرّح السامرائي أن هذه النوعية من الدراسة لم يتطرق إليها سابقوه، فيقول: «إن قسماً مما بحثته في هذا الكتاب لم أجد المعنيين بدراسة بلاغة القرآن وبدراسة المتشابه قد أشاروا إليه، فيما وقع بين يدي من المصادر»².

فابتكر فاضل صالح السامرائي منهج الانطلاق من الجزء إلى الكل، وذلك في انطلاقه في دراسة التعابير القرآنية من الكلمة، والتي تعد جزءاً من الأسلوب، وصولاً به إلى الأسلوب القرآني الذي

¹ - فاضل صالح السامرائي، الأسئلة البيانية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط1، 2008، (مقدمة الكتاب)، ص 5.

² - فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ط1، 1999، (مقدمة الكتاب)، ص 3.

يتمثل في كمال تسلسل المفردات القرآنية، وهذه إضافة جديدة إلى منهج دراسة المتشابه اللفظي وتوجيهه.

3. التعبير القرآني:

درس فاضل صالح السامرائي المتشابه اللفظي في كتابه "التعبير القرآني" بوصفه سمة من سمات التعبير القرآني وخاصياته، ويوضح سبب تأليفه لهذا الكتاب قائلاً: « ثم قررت أن أدرس القرآن، فبدأت أجري موازنات بين كثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير القرآني، والتقديم والتأخير والذكر والحذف، وما إلى ذلك من أمور لغوية معنوية، وأفحصها فحصاً دقيقاً، وراعني ما رأيت من الدقة في التعبير والإحكام في الفن والعلو في الصنعة»¹، فلجأ فاضل السامرائي إلى التنقيب والتحليل بدقة متناهية، لدى توجيهه لمواضع المتشابه اللفظي، والكشف عن السر في الاختلاف بين موطن وآخر.

ويؤكد السامرائي في غمرة بحثه في مجال توجيه المتشابه اللفظي على ضرورة اعتماد السياق في عملية تحليل وتوجيه المتشابه اللفظي، وهذا ما يصرح به قائلاً: «قد يراعى في اختيار التعبير أموراً عديدة وجوانب كثيرة، فقد يراعى السياق التي ورد فيه التعبير، والسورة التي ورد فيها السياق والسياقات الأخرى التي يرد فيها تعبير مقارب لهذا التعبير، والسور الأخرى التي فيها مواطن تعبيرية مشابهة أو مختلفة، فهو قد يراعى في تعبير السورة الواحدة وبنائها تعبير جميع السور الأخرى من القرآن وبنائها»².

وهذه إشارة واضحة من السامرائي على أهمية السياق في توجيه المتشابه اللفظي خصوصاً وتفسير النصوص القرآنية عموماً، فهل اعتمد المفسرون على السياق في فهمهم للنصوص القرآنية؟، وما هي العناصر السياقية التي اعتمدها في مدارسهم للخطاب القرآني؟، وهذا ما سيتم الإجابة عليه فيما يلي.

¹ - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمان، الأردن، ط1، 1998، (مقدمة الكتاب)، ص 7.

² - فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، الأردن، ط1، 1999، ص 252.

رابعاً-السياق لدى المفسرين:

تنبه المفسرون وعلماء القرآن إلى أهمية السياق في فهم الخطاب عامة والنص القرآني على وجه الخصوص، إذ فرضت عليهم قداسة النص القرآني الاعتماد على السياق في دراستهم للخطاب القرآني، احترازاً من الوقوع في غلط التفسير وشدوذ التأويل.،وظهرت البوادر الأولى للاحتفاء بالسياق منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ اعتنى الصحابة رضوان الله عليهم بالسياق في فهم ما أشكل عليهم من النصوص القرآنية.

أ- السياق في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

يذكر ابن خلدون(ت808هـ) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان « يبين الجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه، فعرفوه وعرفوا سبب النزول ومقتضى الحال منها منقولاً عنه»¹، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلجأ في تفسيره لبعض النصوص القرآنية إلى السياق، ومثيل ذلك ما رواه ابن مسعود -رضي الله عنه- عن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام 82)، قال: « لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟، قَالَ لَيْسَتْ كَمَا تَقُولُونَ أَوْ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ *² .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصدر الأحكام حسب حال المخاطب، وهذا ما ذكره المناوي ساردا الأوصاف التي كان يجيب بها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حينما يسأل عن المفاضلة في الأعمال، فيقول: « وكثيراً ما يخص بعض الأعمال بالحث عليها بحسب حال المخاطب

¹ - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط2004، 1، ج2، ص174.

* - سورة لقمان، الآية 13.

² - البخاري، صحيح البخاري، مطبعة طوق الحمامة، د.ط، د.ت، ج4، ص141، رقم/3360.

وافتقاره، للتنبيه إليها أكثر من سواها، إما لجهله بها، وإما لتساهله في أمرها»¹، فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينشئ الخطاب بمراعاة حال المتلقي، والتي تعد عنصراً من عناصر سياق الموقف، فما يناسب هذا المخاطب لا يناسب ذلك.

ب- السياق لدى الصحابة (رضوان الله عليهم):

تفطن الصحابة -رضوان الله عليهم- لفاعلية السياق في فهم الخطاب وتفسيره، سواء كان هذا الخطاب نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً شريفاً، فكانوا يفهمون خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم استناداً إلى قرائن أحواله (أقوال، أفعال، إيماءات)، وهذا ما يوضحه أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) قائلاً: «أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد عرفوه بقرائن أحوال النبي (ص)، وتكريراته وعاداته المتكررة، فعلم التابعون بقرائن أحوال الصحابة، وإشاراتهم ورموزهم وتكريراتهم المختلفة»².

ونظراً لإدراك الصحابة الكرام لأهمية السياق (سياق الحال) في فهم خطاب السنة، حرصوا على رواية الأحاديث النبوية مقرونة بأفعاله وحركاته وإشاراته صلى الله عليه وسلم، و«ما تنبض من حركات صادرة عن الناطق صلى الله عليه وسلم أثناء النطق به، واعتبار هذه الحركات ركناً من أركان السياق»³ (سياق الموقف).

وعدّد طاهر بن عاشور مقامات وأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم التي تصدر عنه فعلاً أو إشارة، وهي: «التشريع، الفتوى، القضاء، الإمارة، الهدى، الصلح، الإشارة، النصيحة، وتكميل

¹ - المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1972، ج1، ص 151.

² - الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير، الجامعة الإسلامية، د.ط، د.ت، ج2، ص 228.

³ - خلود الغموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008، ص 144.

النفوس، وتعليم الحقائق الغائبة، والتأديب، والتجرد عن الإرشاد»¹، وغيرها من الأحوال التي تساعد على فهم خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويؤكد ابن القيم (ت751هـ) على ضرورة الأخذ بقرائن أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم في فهم الخطاب، فأبيغفال لهذه القرائن يؤدي إلى سوء في فهم النص الشريف، « فيلزم من بعده من الأئمة مراعاة ذلك على حسب المصلحة التي راعاها النبي (صلى الله عليه وسلم) زمانا ومكانا وحالا»².

ولا تقتصر مراعاة حال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في فهم خطابه السني، وإنما تساعد أيضا على استنباط الأحكام الشرعية من السنة النبوية، ولذلك أولى البخاري (ت256هـ) أهمية كبيرة لنقل أحوال النبي (صلى الله عليه وسلم)، وعيا منه بفاعلية ذلك في استنباط الأحكام الشرعية من السنة النبوية، إذ عقد بابا أسماه «باب ما ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم)، وما جمع عليه الحرمان مكة والمدينة و، ما كان بها من مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم»³.

وعلى نفس خطاه سار القرافي (ت684هـ) الذي أكد على مراعاة مقامات وأحوال صاحب الخطاب، لما لذلك من أثر على الفهم السليم للأحكام الشرعية، فأدرج في كتابه "أنوار البروق في أنواع الفروق" كل ما له علاقة بأحوال المخاطب، وما يترتب عن ذلك من أحكام شرعية، فيقول على سبيل المثال: « قاعدة تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقضاء، وقاعدة تصرفه بالفتوى وهي التبليغ، وقاعدة تصرفه بالإمامة (...). ثم تصرفاته صلى الله عليه وسلم بهذه الأوصاف تختلف

¹ - طاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2004، ج3، ص99.

² - ابن القيم الجوزية، زاد الميعاد في هدى خير العباد، تح: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1998، ج3، ص428.

³ - العسقلاني، فتح الباري في فهم صحيح البخاري، تح: محمد الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، مج10، ص617.

آثارها في الشريعة»¹، فالفهم الصحيح للشريعة الإسلامية متوقف بشكل أساسي على مراعاة حال المتكلم -الرسول صلى الله عليه وسلم-، وما يصاحب الخطاب من إشارة، أو فعل، أو حال أو حركة.

ويذهب ابن قتيبة إلى أبعد من ذلك حينما يرجع معنى الخطاب وقصديته إلى ما يريد المخاطب إيصاله، وهذا ما يوضحه في كتابه "أدب الكاتب" إذ عقد باباً أسماه «باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه»²، ولا يتميز ذلك إلا بإعمال الظروف والملابسات التي أحاطت بعملية إنتاج الخطاب.

ج- اعتماد السياق في كتب التفسير:

نظراً لأهمية إعمال السياق في تحليل الخطاب عموماً، والخطاب القرآن خصوصاً، عوّّل عليه المفسرون في مدارستهم للنصوص القرآنية، وهذا سرد موجز لملامح السياق لدى المفسرين.

1) - الطبري (ت310هـ):

يعدّ الطبري من بين أكثر المفسرين الذين استعانوا بالسياق في تفسيرهم للنصوص القرآنية، وترجيحهم بين الروايات بما يناسب المقام والعلاقات النحوية في النصوص، فقد وضع الطبري قواعد السياق التي من شأنها المساعدة في العملية التفسيرية، ومن بين القواعد التي صاغها: «إتباع الكلام بالأقرب إليه أولى من إتباعه بالأبعد إليه»³، فالأولى لديه فهم الكلام في سياقه اللغوي الخاص أو السياق الأصغر؛ ذلك أن القرائن اللغوية المتصلة أكثر إيضاحاً للمعنى، من القرائن المنفصلة (البعيدة).

¹ - القرآني، أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب، د.ط، د.ت، ج1، ص346 .

² - ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، د.ت، ص 17.

³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج16، ص 16.

ويعبر الطبري على ضرورة الالتزام بقواعد السياق التي صاغها في كتابه فيعملية تفسير القرآن الكريم، وذلك في قوله: «غير جائز صرف الكلام عمّا هو في سياقه إلى غيره»¹، فالدلالة الحقيقية للخطاب القرآني لا تتوضح إلا بإعمال السياق، ومراعاة الظروف المحيطة بنزوله.

(2) - الرازي (ت604هـ):

اهتم الرازي بدراسة النص القرآني وعلاقته بالسياق العام للآية، فدرس الكلمات وفق توقعها في النظام التركيبي للآية، إذ يشير إلى عدم جدوى دراسة الكلمة خارج سياقها، فيقول موضحاً ذلك: «ذكر الكلمات وحدها بمثابة نعيق الغراب في الخلومن الفائدة»²، فالكلمات -حسبه- تخلومن الفائدة وتكون حافة المعاني، وهي معزولة عن سياقها، لهذا يتوجب إرجاعها إلى النظم العام للحصول على دلالتها الحقيقية أو المنشودة.

ولهذا نجد الرازي في مجمل تفسيراته يعيد الآية القرآنية إلى سياقها العام (السورة)، فكثيراً ما يربطها بسابقتها ولاحقتها، ومثيل ذلك تفسيره لسورة البقرة باعتماده على السياق، فيقول: «ومن تأمل لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم آي القرآن، كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته»³، فمناسبة الآيات للسياق الأكبر (القرآن الكريم) هو وجه ولون من ألوان الإعجاز القرآني، والبيان البديع.

(3) - أبوحيان الأندلسي (ت745هـ):

حظي السياق في تفسير أبي حيان الأندلسي بمكانة هامة، إذ جعل -أبوحيان الأندلسي- معنى التفسير متعلقاً بالسياق، فالتفسير لديه هو فهم الخطاب استناداً إلى السياق، ويعرّف التفسير

¹ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ج9، ص 389.

² - الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: إبراهيم السامرائي ومحمود بركات حمدي، دار الفكر، عمان، د.ط، 1985، ص 149.

³ - الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج7، ص 125.

قائلا: «علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمت ذلك»¹، فمعاني الألفاظ تختلف باختلاف حال وجودها مفردة أو مركبة مع سابقتها ولاحتقتها، والسياق هو الذي يحدد الدلالة الصحيحة لخطاب القرآن.

ووافق السيوطي ما ذهب إليه أبوحيان الأندلسي، فجعل هو الآخر مفهوم التفسير متعلقا بالسياق، فيقول: « التفسير كشف معاني القرآن وبيان المراد منه سواء كانت معان لغوية أو شرعية بالوضع أو قرائن الحال ومعونة المقام»².

ويشير أبوحيان الأندلسي إلى أن مراعاة القرآن الكريم لسياق النظم هو غاية البيان، فيقول: «... فانظر إلى حين هذا السياق الذي يوعز في ذروة الإحسان، وتمكن في براعة أقسام البديع، وبلاغة معاني البيان»³، فيكون مجيء التراكيب أو الأساليب القرآنية حسب ما يقتضيه وما يتطلبه سياق النظم من إيجاز أو إطباب أو حذف أو ذكر، هو قمة البيان والبلاغة والإعجاز.

(4) - ابن كثير (ت774هـ):

يدعو ابن كثير في تفسيره للقرآن الكريم إلى مراعاة السياق في فهم النص القرآني، وساق من أجل ذلك عدة ضوابط للسياق، ويصر على توظيف السياق اللغوي للوصول إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم، فيقول: « إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان ما،

¹ - أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص 107.

² - السيوطي، التحرير في علم التفسير، تح: زهير عثمان علي نور، مطبوعات إدارة الشؤون المالية الإسلامية، قطر، ط5، 1995، ص 38.

³ - أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج1، ص 107.

فإنه بسط في مكان موضع آخر»¹، فالقرآن كونه يفسر بعضه بعضاً، يمكّن من إرجاع الآية إلى السياق العام المتمثل في السورة، أو السياق الأعم المتمثل في كتاب الله.

ويذهب أيضاً إلى أن إعادة الآية القرآنية إلى سياق نزولها يعين على تفسيرها، وبقائها من التأويلات الخاطئة التي يدعو إليها أصحاب الفرق الضالة، ومثيل ذلك القصة التي ذكرها في كتابه "البداية والنهاية" عن الخوارج، فيقول: « أن الخوارج عندما خرجوا على علي رضي الله عنه كانوا يهتفون (لا حكم إلا لله)، ولا شك في صدق هذه العبارة مسلم حينها إلى الآن، إلا أن الإمام علي رضي الله عنه لم مجرد هذه العبارة من السياق الحالي التي وردت فيه الآية، فرد عليهم بقوله كلمة حق أريد بها باطل»²، فعزل الخوارج الآية الكريمة عن سياقها، واستعملوها لزرع الفتنة والترويج للنزاع والخلاف السياسي.

ولمنع الوقوع في مثل هذه الأغلاط دعا صاحب كتاب "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل" إلى اعتبار السياق «هاد إلى اختيار المعنى المراد من الكلمة، بحسب موضعها الملائم من الكلمة لموضوع النص»³، فيكون لانتظام الكلام دور بالغ الأهمية في خدمة المعنى المراد إيصاله، والموضوع الذي يدور حوله، ولهذا يتوجب عدم الأخذ بالمعاني الجافة للكلمة، حينما تكون معزولة عن سياقها الخاص.

ولا تقتصر أهمية السياق في التفسير وفهم الخطاب وإنما يساعد -السياق- على الاستدلال، إذ يستخره ابن حزم (ت456هـ) للاستدلال بالنصوص القرآنية أو الحديث الشريف، فيقول: «

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1990، ج1، ص 13.

² - ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ط، 1990، ج7، ص 292.

³ - عبد الرحمن الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم، دمشق، ط1، 1980، ص 319.

الحديث والقرآن كله لفظة واحدة، فلا يحكم آية دون أخرى، ولا بحديث دون آخر، بل يضم كل ذلك بعضه إلى بعض، إذ ليس يعدل لك إتباع من بعض، ومن فعل غير هذا فقد تحكم بلا دليل»¹.

وتؤكد عائشة عبد الرحمن على ضرورة جعل السياق ضابطا من ضوابط التفسير، «فالالتزام بصريح النص وحكم السياق، والالتزام بدلالات الألفاظ كما يعطيها الاستقراء الكامل لكل موضع اللفظ من المصحف، والاحتكام إلى توجيه لا يكون إلا صريح السياق»²، وهذا هو التفسير الصحيح، والتوجيه الصائب للآيات القرآنية، وما ترمي إليها من أحكام وتوجيهات شرعية.

د- عناصر السياق المقامي:

اعتمد المفسرون في تعاملهم مع النصوص القرآنية على السياق المقامي، إذ جعلوه ركيزة من ركائز التفسير السوي لآيات القرآن الكريم، وتمثل عناصر سياق الموقف لديهم في:

1- التنجيم:

تجمع كتب التفسير على أن القرآن الكريم نزل منجما، مراعاة لأحوال المخاطبين والبيئة المحيطة بهم، و«مسايرة للحوادث الطارئة، لتكون آيات القرآن الكريم أوقع في النفس وألصق في الحياة»³، وبذلك يكون القرآن الكريم منزلا حسب ما يناسب الأحداث الطارئة على المجتمع الإسلامي.

2- المكّي والمدني:

أدرك المفسرون مدى أهمية معرفة المكّي والمدني في تفسير آيات القرآن الكريم، والمساعدة على الترجيح بين الأحكام الشرعية، «فلو أن آيتين أو أكثر سيقت في موضوع واحد يظهر بينها

¹ - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1980، ص 167.

² - عائشة عبد الرحمن، القرآن والتفسير العصري، دار المعارف، د.ط، د.ت، ص 20.

³ - مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب شو، الواضح في علوم القرآن، دار العلوم الإنسانية، ط2، 1998، ص 40.

تخالف في الحكم، فلن يحسم هذا التخالف، ويثبت أحدهما إلا بمعرفة المكي والمدني¹. ولهذا عكف المفسرون على تمييز السور المكية عن المدنية، بغية تيسير عملية تفسير القرآن الكريم.

(3) - الناسخ والمنسوخ:

إن معرفة الناسخ والمنسوخ تساعد على فهم الآية القرآنية، وإعطائها التفسير الصحيح والملائم لها، ويؤكد النحاس (ت338هـ) على ذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة 184)، فيقول: « في هذه أقوال أصحابها أنها منسوخة، وسياق الآية يدل على ذلك، والنظر والتوفيق يدل على ذلك من رجلين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم²، فمراعاة ظاهرة النسخ في تفسير القرآن أمر واجب في عملية الفهم الصحيح لآيات الذكر الحكيم، وذلك نظرا للعلاقة القوية بين النص القرآني والوقائع المحيطة به.

(4) - أسباب النزول:

لم يكن الاهتمام بالوقائع التاريخية التي رافقت نزول القرآن لمجرد التدوين فقط، وإنما بسبب فاعليتها في فهم نص القرآن الكريم، وقد صنفت كتب عديدة في هذا المجال، إذ يعد كتاب "أسباب النزول" للواحدي (ت468هـ) أول كتاب تخصص في نقل أسباب النزول المصاحبة لنزول الآيات القرآنية، بوصفها الخطوة الأولى في تفسير القرآن الكريم، فيقول: « هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأول ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سببها دون التوقف على قصتها وبيان

¹ - عبد القادر منصور، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربي، ط1، 2002، ص 50.

² - النحاس، الناسخ والمنسوخ، تح: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1987، ص 94.

نزولها»¹، وهذا إقرار واضح بعدم المقدرة على التفسير، دون الإحاطة بالوقائع الملازمة لنزول القرآن الكريم، أو ما أسماه بأسباب النزول.

وسار السيوطي على نفس دربه، فألف كتاب "لباب النقول في أسباب النزول"، مؤكداً في ذلك على أهمية معرفة أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم واستقصاء معانيه، فيقول: «إن بيان أسباب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن»².

ولا تعين معرفة أسباب النزول على التفسير فحسب، وإنما تساعد - أيضاً - على الترجيح بين التأويلات المحتملة للآية القرآنية، وذلك «حينما يشته معنى الآية مع غيرها»³، فالاستعانة بأسباب النزول أمر ضروري في تعيين التأويل المناسب للآيات المتشابهات.

وتساعد معرفة أسباب النزول أيضاً على استنباط الأحكام الشرعية وتخصيصها، إذ يوضح الطوفي (ت716هـ) ذلك قائلاً: «إن السبب الخاص بالحكم من غيره من صورته، لأن اللفظ ورد بيانا لحكم السبب، فكان مقطوعاً له، فيه يمتنع تخصيص الاجتهاد»⁴؛ ذلك أن سبب النزول يبين فيمن نزلت الآية، وهذا يساعد على تخصيص الحكم الشرعي.

ولما أدرك المفسرون وعلماء القرآن أهمية معرفة أسباب النزول في الفهم الصحيح للقرآن الكريم، جعلوه علماً قائماً بذاته، بل «إن معرفة أسباب نزول آي القرآن من أجل علومه، وأشرف مقاصده، لأنه يعين على فهم معناه»⁵.

5 - المتكلم:

- 1 - الواحدي، أسباب نزول القرآن، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، ص 7.
- 2 - السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، د.ط، 1987، ص 13.
- 3 - الرزقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد رمزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1998، ج1، ص 113.
- 4 - الطوفي، شرح مختصر الروضة، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1987، ج2، ص 506.
- 5 - سليم بن عبد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، الاستيعاب في بيان الأسباب، دار ابن الجوزي، د.ط، د.ت، ج1، ص 6.

يصر المفسرون على ضرورة مراعاة حال المخاطب (المتكلم) في فهم الخطاب القرآني، إذ تعد معرفة حال المتكلم شرطاً أساسياً من شروط التفسير الصحيح، وهذا ما يوضحه ابن تيمية قائلاً في معرض تصنيفه للمفسرين: «...وقوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به، راعوا مجرد اللفظ من غير نظر إلى ما يصلح المتكلم به وسياق الكلم»¹، إذ يتوجب على المفسر تأويل اللفظ والكلام مع ما يتناسب وذات الله المقدسة.

ومثال ذلك ما أفرد الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصفات 12)، فيقول: «نسب العجب إلى نفسه فكيف جاز عليه العجب، وإنما روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء، والله لا تجوز عليه الروعة، فلن يفسر العجب إذن بمعناه المعروف، بل يستعير المعنى بما يناسب القائل ففيه وجهان: الأول أن يعود العجب بمعنى الاستعظام، والثاني يتخيل العجب. وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت»²، فأخرج الزمخشري معنى لفظ (عجبت) من أصل الوضع اللغوي إلى وضع مجازي، وذلك مراعاة لذات الله المنزهة.

6 - معرفة مراد المتكلم:

مما لا شك فيه أن الألفاظ لا تقصد بذواتها، بل هي أدوات دالة تبني وفق مراد المتكلم ومقصوده، إذ هو الواضع لمعاني تلك الكلمات، والقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، وعليه يذهب المفسرون إلى فهم القرآن الكريم حسب مراد الله تعالى ومقصوده، وهذا ما يوضحه ابن تيمية قائلاً: «لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف

¹ - ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، بيروت، ط3، 1979، ص86

² - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوض وآخران، مكتبة العبيكة، د. ط، د. ت، ج، ص 305.

يفهم كلامه كمعرفة العربية التي حوطينا بها، مما يعين على تفقه مراد الله ورسوله وكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني»¹.

فيتوجب فهم القرآن الكريم على حسب ما يرمي إليه غرض المتكلم ومقصوده من الكلام، فتخرج الألفاظ - مثلا - من الحقيقة إلى المجاز وفق مقصود المتكلم، وهدفه المنشود من إيصال الرسالة الخطابية.

7 - مراعاة حال المخاطب (المتلقي):

تتغير دلالة الخطاب بتغير حال المخاطب (المتلقي) ونوعه ونفسيته، فخطاب المنافقين مغاير لخطاب الكافرين، وخطاب الكافرين مغاير لخطاب المؤمنين، وخطاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) مغاير لخطاب عامة المسلمين، فيتأرجح الخطاب بين درجات النفي والإثبات - مثلا - حسب حال المتلقي النفسية، ويوضح **طاهر بن عاشور** ذلك قائلاً: « للكلام قوة في الإثبات والنفي مراتب وضروب، حسب قدر الحاجة في إقناع المخاطب، فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ولا ترد له فيه لا حاجة إلى تقوية الكلام، وإن كان المخاطب مترددا في الحكم يؤكد لئلا يصير تردده إنكاراً»².

فعند تفسير النص القرآني لابد الأخذ بعين الاعتبار نوع المتلقي الذي وجه له الخطاب القرآني، فقد يكون خطابا خاصا موجها للرسول صلى الله عليه وسلم، أو عاما موجها للمسلمين، أو شاملا موجها إلى جميع الناس (مؤمنون وكفار).

¹ - ابن تيمية، الإيمان، تح: محمد نصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط5، 1996، ص 111.

² - طاهر بن عاشور، موجز البلاغة، المطبعة التونسية، تونس، ط1، د.ت، ص 88.

(8) - العادات والتقاليد:

تساعد الإحاطة بعادات العرب وعقائدهم وميزات بيئتهم الثقافية في إجلاء الغموض عن كثير من الآيات، وهذا ما يشير إليه الشاطبي (ت790هـ) قائلاً: « ينبغي على المفسر معرفة عادات العرب وأقوالها وأفعالها وجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثمة سبب خاص، لا بد من إيراد الخوض في علم القرآن منه، أو الوقوع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها، إلا بمدة المعرفة»¹.

فلكل أمة عاداتها وتقاليدها وأعرافها في استعمال اللغة بين حقيقة ومجاز، ومعتقداتها الدينية، وكل هذه العوامل تساهم في بناء معنى التركيب اللغوي، لهذا يتوجب مراعاتها في فهم النصوص عامة والنصوص القرآنية خاصة.

ويمكن التمثيل على ضرورة الدراية بعادات العرب، وعقائدهم الثقافية والدينية، بما ورد في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ (التوبة37)، فقد أشكل فهم هذه الآية بسبب ما ذكر فيها من قوله (النسيء)، ويفسر الألوسي (ت1270هـ) هذه الآية معتمداً على معتقدات العرب في الجاهلية، فيقول: « المراد بالنسيء تأخير حرمة الشهر إلى آخر، وذلك أن العرب كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أجلوه، وحرّموا مكانه شهراً آخر، فيستحلون محرماً ويحرمون صفر، فإن احتاجوا أيضاً أحلوه وحرّموا ربيعاً الأول، وهكذا كانوا يفعلون حتى استدار التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة»².

¹ - الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: محمد عبد الله دراز، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ج3، ص ص 350 - 351.

² - الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، ج10، ص 93.

■ التفسير بالمأثور:

حين يتعذر على المفسرين تحصيل المعاني من القرآن الكريم، وتتعذر معرفة أسباب نزول الآيات عمومها وخصوصها، إلى غيرها من عناصر السياق المقامي، يلجأ المفسرون إلى نوع آخر من التفسير يسمى "التفسير بالمأثور".

ويوضح ابن تيمية ماهية هذا النوع من التفسير، فيقول: « إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها، وما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح»¹، فهذا النوع من التفسير عبارة عن تتبع الأحوال المصاحبة لآيات التنزيل، والقرائن الدالة على المعنى، ومن بينها أفعال الرسول (صلى الله عليه وسلم) من إشارات ورموز وإيماءات، ولهذا يستعين المفسرون بأفعال الرسول* صلى الله عليه وسلم في تفسير كلام الله عز وجل، والترجيح بين دلالاته، واستنباط الأحكام منه.

ويؤكد السعدي على أهمية هذا النوع من التفسير في فهم القرآن الكريم، فيقول: « ومن فوائد معرفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه، وفهم المعنى المراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وغيرهم من الناس (...)، فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك، حصل من الغلط على الغلط على الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وعلى مراد الله من كلامه شيء كثير»²، وهذا تأكيد على ضرورة معرفة الأحوال والقرائن الدالة التي تساعد على التفاسير، وتقي من الوقوع في غلط التأويل.

¹ - ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص 40.

* - هناك كتاب اهتم بجمع ورصد أخبار الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية لمؤلفه محمد سليمان الأشقر، مكون من جزأين عنوانه: أفعال الرسول ودلالاتها على استنباط الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، ط6، 2003.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تح: محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، ج1، ص 27.

ويستخلص مما سبق الوعي الكبير للمفسرين بأهمية السياق وضرورة إعماله في تفسير آيات القرآن الكريم، وفهم النصوص القرآنية، وتأويلها تأويلاً صحيحاً، وذلك منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، مروراً بالطبري وأبي حيان الأندلسي والرازي وابن كثير وغيرهم، فألموا بكل عناصره من: حال المتكلم، وحال المتلقي، والظروف المحيطة بإنتاج الخطاب، والبيئة الاجتماعية والثقافية لمجموع المخاطبين.

اعتمد المفسرون إضافة إلى سياق الموقف على نوع آخر من السياق في فهم الخطاب القرآني أسموه بـ"السياق القرآني"، فما هو المقصود بالسياق القرآني؟، وما هي عناصره؟، وكيف وظفه المفسرون في دراستهم للقرآن الكريم؟، هذا ما سيتم تناوله فيما يلي.

خامسا- ماهية السياق القرآني وأنواعه:

عوّل المفسرون في كثير من الأحيان على تفسير الآيات القرآنية بالقرآن، لوعيهم الكبير بأهمية سياق النظم في إيضاح ما غمض من معاني الآيات، إذ يعد تفسير القرآن بالقرآن « أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم من كلام الله عز وجل من الله جل وعلا»¹، فهذه دعوة صريحة لتفسير الآية انطلاقاً من تموضعها في السورة أو القرآن، لأن انتزاعها من سياقها العام قد يؤدي إلى خلل في المعنى، وفساد في التفسير، وضلال في التأويل.

ونظراً للأهمية الكبيرة لهذا النوع من التفسير، أفرد العلماء والباحثون عدة كتب تهتم في طياتها بتفسير القرآن بالقرآن، معتمدين في ذلك على ما يسمى في العصر الحديث بالسياق اللغوي، ومن بين هذه الكتب كتاب "تحصيل نظائر القرآن" للترمذي (ت320هـ) الذي أكد صاحبه على أهمية تفسير القرآن بالقرآن، فيقول: « وآيات القرآن تفسر بعضها بعضاً، حيث أن فهم بعض آياته سهل عليه كثير من الآيات، ومن عرف أسلوبه في موضع أعانه على معرفة أكثر أساليبه في مواضع عديدة، ففي كل آية نور يضيء آيات ويعين على تدبرها»²، فمثل الترمذي الآية القرآنية بالمصباح الذي يبين عملية التفسير، ويعين على فهم ما غمض من كلام الله عز وجل.

وعلى نفس درب الترمذي سار الفراهي (ت1349هـ)، وذلك بتأليفه لـ"تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، ويبدو واضحاً من عنوان هذا الكتاب أنّ صاحبه اعتمد في تفسيره للنص القرآني على القرآن الكريم نفسه، وهذا ما يصرح به قائلاً: «أول شيء يفسر القرآن هو القرآن

¹ - الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ج1، ص 8.

² - الترمذي، تحصيل نظائر القرآن، تح: حسين نصر زيدان، مطبعة السعادة، ط1، 1969، ص ص 8-9.

نفسه»¹، فالقرآن الكريم كاللحمة الواحدة لا يتوضح معنى آية منه إلا بضمها إلى ما يجاورها من آيات.

أما في العصر الحديث فنجد كتاب المطيري "تفسير القرآن بالقرآن"، الذي يرى صاحبه أن أدق أنواع التفسير هو « معرفة سياق الآية وسابقها ولاحقها، وهو القواعد المهمة في تفسير القرآن بالقرآن فهو أولى من غيره»²، فاعتماد السياق اللغوي أمر ضروري في عملية تفسير القرآن، وذلك لفاعليته في استقصاء المعاني الصحيحة.

أ- ماهية السياق القرآني:

تطرق العلماء والمفسرون في دراساتهم القرآنية إلى نوع خاص من السياق يختص بالتفسير القرآني اصطلاحاً عليه بـ"السياق القرآني"، ويشمل هذا النوع من السياق «الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته، والآيات والمواضع التي تشابه في موضوعها مع اختلاف يسير في طريقة سردها، وترتيب كلماتها المناسبة للمقام، وحكمة بلاغية تتصل بأغراض السور»³.

ويستخلص من التعريف السابق أن السياق القرآني يتعلق مفهومه بكل ما له صلة بالأغراض والمقاصد الخاصة بالنصوص القرآنية، وما يميز الأساليب القرآنية من بيان وبلاغة، ومواضيع مختلفة تختلف وتتنوع حسب تنوع تموضعها في سياقات قرآنية متعددة.

ومن الملاحظ من التعريف - المذكور آنفاً - تعلق السياق القرآني بالمتشابه اللفظي؛ ذلك أن هذا الأخير يختلف صيغته وأساليبه ومواضيعه، باختلاف تموضعه في سياقات قرآنية متعددة.

¹ - الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، الهند، ط2008، 1، ص23

² - المطيري، تفسير القرآن بالقرآن، دار التميزية، الرياض، السعودية، 2013، ص 173.

³ - عبد الوهاب الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، مكتبة عمان، ط1، 1988، ص 89.

أما خالد بن سليمان المزيني فيجعل ماهية السياق القرآني مقتصرة على « الآيات التي تسبق موضع الشاهد وتتبعه»¹، فحصر مفهوم السياق القرآني في البناء الشكلي للنصوص القرآنية، مغفلاً في ذلك المعاني والدلالات التي تحكم النظم القرآني، والمقاصد التي من أجلها تساق الكلمات، وتقام الصيغ والأساليب.

ويؤكد ابن تيمية على أهمية السياق القرآني وفاعليته في تفسير آيات الذكر الحكيم، فيقول: « ومن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، يبين له المراد وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»²، فالسياق القرآني هو المرشد والهادي إلى المعاني المنشودة والدلالات المقصودة في النصوص القرآنية، والمعين على الحماية من الوقوع في غلط التفسير أو فساد التأويل.

ب- عناصر السياق القرآني:

1. معرفة اللغة وعلومها:

يصر المفسرون على ضرورة التمكن من ناصية اللغة والإحاطة بمعانيها (حقيقتها ومجازها) في العملية التفسيرية للنص القرآني، إذ تعد معرفة اللغة وعلومها ودلالاتها اللبنة الأساسية في بناء تفسير صحيح وصائب للخطاب القرآني، وهذا ما يؤكد عليه الزركشي قائلاً: « واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها»³، فمن غير المعقول أن يفسر الجاهل للغة الآيات القرآنية - على قداستها-، ويسبر في أغوارها وتقصي معانيها من غير دراية بأساليبها وفنونها المتنوعة.

¹ - خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن، دار ابن الجوزي، ط1، 2006، ج1، ص 180.

² - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج15، ص 95.

³ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 295.

ولا تكفي الإحاطة السطحية باللغة في عملية التفسير، بل يتوجب التمكن من علومها نحواً، وصرفاً، وبلاغة، من أجل الوصول إلى الفهم الصحيح للنص القرآني، ولهذا أكد المفسرون في عدة مواطن على أهمية تعلم العلوم اللغوية قبل الشروع في عملية التفسير، والولوج في مجال تأويل الخطاب القرآني.

■ النحو(السياق النحوي):

يؤكد الزمخشري على نجاعة السياق النحوي في الوصول إلى المعاني المقصودة من الجمل، فيقول: « إن النحو أحد من تفاريق القضا وآثاره الحسنة عديدة الحصى، ومن لم يتق الله في تنزيله فاجترأ على تعاطي تأويله وهو غير معرب، فقد ركب عمياء يخبط خبط عشواء، وقال ما هو تقوّل وافتراء وهراء وكلام الله منه براء»¹، وهذا تصريح واضح على أهمية الدراية بعلم النحو وأسراره في التفسير القرآني، إذ يعتمد المفسرون على التأويل النحوي بغية تحصيل المعاني الصحيحة للآيات القرآنية.

■ الصرف (السياق الصرفي):

علم التصريف هو الآخر أهميته من أهمية علم النحو في التفسير، إذ يتوجب على المفسر الإحاطة بهذا النوع من العلوم اللغوية، لما له من أهمية في الوقاية من الوقوع في زلل التفسير. إذ أدى الجهل بعلم التصريف إلى الوقوع في غلط الفهم في كثير من التفسيرات، ومثيل ذلك ما نقله الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ (محمد25)، يقول: «سهل لهم ركوب العظام من السؤل وهو الاسترخاء، وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق»²، فالتحليل الصرفي الصحيح للكلمة كفيلاً بتحديد الدلالة المقصودة من المفردة،

¹ - الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، تح: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993، ص ص 18 - 19.

² - الزمخشري، الكشاف، المصدر السابق، ج2، ص 447.

والمعنى العام للجملة أيضا، إذ ينجم الخطأ في التأويل والشذوذ في المعنى عن الغلط في الاشتقاق والتصريف.

■ علم الصوتيات (السياق الصوتي):

تنبه المفسرون إلى أهمية الدراسة الصوتية في التفسير، وذلك عبر اهتمامهم بعلم القراءات القرآنية* ومدى تأثيره على المعنى العام للآية القرآنية؛ لأن الاهتمام الصوتي بالكلمات والمفردات القرآنية يعمل على الترجيح بين الدلالات المحتملة، وتحديد الدلالة المقصودة، وإلغاء باقي الدلالات أو المعاني التي احتملتها المفردة أو الآية القرآنية.

ويختص هذا النوع من الدراسة بمواضع الوقف والابتداء والفصل والوصل في الآيات القرآنية¹، فالسياق والقراءات القرآنية يكمل أحدهما الآخر، ويتداخلان مع بعضهما بعضا في كثير من الأحيان؛ لأن الأصوات أو السياق الصوتي - والذي يتمثل هنا في القراءات القرآنية- ما هو إلا جزء من السياق المقالي (اللغوي) الذي يتمثل في سياق الآية، وقد يتعداها إلى السياق العام (السورة)، ولا تتم عملية الفهم الصحيح إلا بتلاهما؛ لأن كل واحد منهما يخدم الآخر.

2. دلالة الألفاظ (الدلالة السياقية):

يصر علماء التفسير على ضرورة مراعاة دلالة الألفاظ وما ترمي إليها من معان حقيقية كانت أو مجازية، فالنظر إلى الدلالة المقصودة من المفردة القرآنية يساهم في عدم الوقوع في التأويل الخاطيء، وإن إغفال هذه المسألة في التفسير ينجم عنه فهم خاطيء وتأويل باطل، وهذا ما يؤكد عليه ابن تيمية فيرى من الواجب عند تفسير القرآن الكريم معرفة ما المراد من الكلمة (حقيقة أو مجاز)، وإن أريد

* - المقصود بعلم القراءات القرآنية: "علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتكبيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب". الألويسي، روح المعاني (مقدمة التفسير)، ج1، ص4.

¹ - ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت، ج2، ص232.

منها المعنى المجازي، فلا بد من وجود قرينة تصرف المفردة من معناها الحقيقي الذي وضع لها في الأصل اللغوي إلى معناها المجازي الذي قصد به في النص القرآني¹.

فالعدول بالكلمة من المعنى الحقيقي (الوضعي) إلى المعنى المجازي لا يتأتى إلا بإعمال القرينة، وتنقسم هذه الأخيرة إلى لفظية ومعنوية؛ أما الأولى فتتمثل في ألفاظ القرآن الكريم نفسها، وأما الثانية فتربط بنواحي المعنى للآية القرآنية الكريمة²، وبناءً على تلك القرينة لفظية كانت أو معنوية يتحدد المراد من اللفظ (حقيقة أو مجازاً).

وخلاصة القول: أن تواجد القرينة أو غيابها هو العامل الأساسي في تحديد مسار دلالة اللفظ، هل أريد به (اللفظ) حقيقة أو مجازاً.

3. موضوع النظم:

يذهب عديد المفسرين إلى ضرورة مراعاة النظم* في تفسير الخطاب القرآني، وهذا ما يشير إليه الزركشي قائلاً: « ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام في سياقه وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز»³، فعلى المفسر الأخذ بعين الاعتبار الموضوع العام للآية أو المقطع أو السورة، فذلك يساعد على إيضاح ما غمض من معاني الكلمات.

ويمثل الزمخشري على أهمية مراعاة النظم العام في الخطاب القرآني في شرحه لكلمة (فوم) الواردة في قوله تعالى ﴿وَقَوْمَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصِلَهَا﴾ (البقرة 61)، فيقول: « الفوم: قيل الحنطة وقيل

¹ - ينظر: ابن تيمية، الرسالة المدنية، تح: وليد بن عبد الرحمن الغريان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط، د.ت، ص 7.

² - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1، 1986، ج2، ص 69.

* - تأرجح استعمال كلمة (النظم) بين معنيين، الأول: موضوع الحدث الكلامي الذي من أجله سبق الكلام، والثاني: السياق العام والخاص الذي يحيط بالمفردة.

³ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 317.

الثوم والأخير هو الأصح لأنه للعدس والبصل أقرب»¹، فالموضوع العام للآية جعل الزمخشري يميل إلى تفسير الفوم على أنه (الثوم)، وذلك مراعاة لسياق النظم الذي أحاط بكلمة (فوم).

ويشمل سياق النظم " المناسبة القرآنية، والفاصلة القرآنية":

■ علم المناسبة:

يعد علم المناسبة* وجها من أوجه السياق المقالي ونوعا من أنواعه، ويقصد بعلم المناسبة «علم تعرف منه علل التركيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة الشيب (...)، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال»²، فيهتم علم المناسبة بدراسة البناء اللغوي الذي تنتظم تحته الكلمات والجمل، بحثا عن أوجه الترابط اللفظية والمعنوية بين تلك الجمل، ومدى ملاءمتها لمقتضى الحال.

ونظرا لأهمية علم المناسبة في استقصاء المعاني يمكن عدّه شرطاً أساسياً في عملية التفسير، ودليل ذلك ما حكاه السيوطي « أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ (فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) والصحيح ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة، 209)، فأنكره فقال: إن كان هذا كلام الله فلا نقول كذا، فالحكم لا يقترن بالغفران عن الزلل لأنه إغراء عليه»³، فالأعرابي تفتن إلى الغلط انطلاقاً من ربطه بين أول الآية وآخرها، وذلك بوضعه للكلمات ضمن سياقها وإلحاقها بسابقتها.

¹ - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 145.

* - أول من ألف في هذا النوع من العلم أبو بكر النيسابوري (ت318هـ). ينظر: عبد الله بن الصديق الغماري، جوهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة، د.ط، د.ت، ص 15.

² - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ج1، ص ص 5- 6.

³ - السيوطي، التحبير في علم التفسير، ج1، ص 44.

ويشمل علم المناسبة ما يلي:

- المناسبة بين السور:

أدرك السيوطي أهمية دراسة المناسبة بين السور فألف كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور"، ويشرح أهمية هذا العلم في شرح ما أجمل من آيات بقوله: « وكل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح لها وإطناب إيجازه، وقد يستغل ذلك في غالب سور القرآن»¹، فما أجمل في سورة ما فصلته سورة أخرى.

كما تتناسب فاتحة السورة مع خاتمة السورة التي قبلها، ومثيل ذلك مناسبة بين سورتي النساء والمائدة « فلما ختم سورة النساء أمر بالتوحيد والعدل بين العباد، أكد ذلك بقوله في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾²، وبذلك يمكن القول أن التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها ما هو إلا دليل على التلاحم، والتناسق المعنوي بين سور القرآن الكريم.

- المناسبة في السور: وتشمل دراستها ما يلي:

1- مناسبة السورة لمقاصدها:

تتضمن كل سورة مقصودا ومرادا خاصا يغلب على مجمل آياتها، ويوضح البقاعي ذلك قائلاً: « إن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليها، فتترتب المقدمات الدالة على أتقن وجهه وأبدع نهج، فإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل يستدل عليه (...) إذا وصل الأمر إلى غايته ختم بها معه، كان ابتداءً ثم انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه على نهج بديع،

¹ - السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986، ص 65.

² - هانم محمد حجازي الشامي، الدلالة السياقية لاقتران أسماء الله الحسنى في خواتم الآيات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 135.

ومرئي عبر الأول منيع»¹، فالسورة في مجملها تدور حول مقصود معين وغرض خاص، وهدف ما سيق لأجله الكلام.

ومثيل ذلك ما ورد في سورة (آل عمران) ف« مقصود سورة آل عمران التوحيد، (...)»، فبذلك بدأت سورة آل عمران بالتوحيد وختمت بما ينبغي عليه من الصبر، وما معه مما أعظمه، وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات، والجامع لجميع الصفات»²، وبذلك تختلف مقاصد سور القرآن الكريم ويتغير النظم القرآني فيها حسب الأسلوب المفيد، وما يقتضيه المقصود العام والغرض المراد من نظم الكلام.

2- مناسبة فاتحة السورة لخاتمها:

تصدى أبوحيان الأندلسي لرصد مثل هذا النوع من المناسبة، فيقول: «تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها تناسب أواخرها بحيث لا يكاد ينحرف عنها في شيء (...)»، وذلك من أبداع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله»³، ففوق هذا النوع من المناسبة في الذكر الحكيم هو أعلى درجات الفصاحة، وأرقى معاني البلاغة والبيان.

ومن أمثلة هذا النوع من المناسبة ما أورده الزمخشري في تفسيره لسورة المؤمنون، فيقول: « جعل فاتحة السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وأورد في خاتمها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة»⁴، فاتسمت خاتمة وفاتحة السورة بالمقابلة والمقارنة بين فئتي المؤمنين والكافرين، فالأولى مفلحة والثانية عكسها.

¹ - البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تح: عبد السميع، مكتبة المعارف، ط1، د.ت، ج1، ص 152.

² - هانم محمد حجازي الشامي، أثر السياق في بنية الآيات المنتهية بأسماء الله الحسنى - دراسة تحليلية-، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 62.

³ - أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص 362.

⁴ - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 207.

3- المناسبة بين الآيات:

يذهب السيوطي إلى ضرورة دراسة الآية القرآنية وفق إدراجها مع سابقتها ولاحقتها، فيقول: « والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور كلها يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له»¹؛ ذلك أن دراسة الآية ضمن سياقها الخاص يساعد على فهمها بالشكل الصحيح، كما يساعد إرجاع الآية إلى سابقتها ولاحقتها على الترجيح بين الأقاويل التفسيرية.

4- المناسبة في الآية الواحدة:

ترابط المفردات في الآية الواحدة وتنسجم فيما بينها مجسدة في ذلك المعنى الذي ترمي إليه الآية القرآنية، فقد يحسن ورود كلمة ما في موضع معين، ولا يحسن ذلك في موضع آخر، وذلك مراعاة للسياق والمعنى المراد من كل موضع.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة القصص ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (71)، وقوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (72)، فقد اختتمت الآيتان بعبارتين مختلفتين (تسمعون، تبصرون) لتطلب سياق كل آية ذلك، وهذا ما يوضحه أحمد مختار عمر قائلاً: « لقد ختمت آية الليل بالسمع لأن دوام الليل فيه إعمال حاسة السمع وتعطيل حاسة البصر، وختمت آية النهار بالبصر لأن دوام النهار وهو ظرف لإعمال الناس وتصرفاتهم بحاسة البصر»²، فالاختلاف بين الآيتين جاء متناسبا، ومتلائما مع معنى سياق كل آية.

¹ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 289.

² - أحمد مختار عمر، لغة القرآن الكريم- دراسة توثيقية فنية-، مكتبة الشريعة، الكويت، ط2، 1997، ص 180.

■ الفاصلة القرآنية:

اهتم المفسرون بدراسة الفاصلة القرآنية لعلمهم بدورها الكبير في تحديد معاني ودلالات الكلمات، إذ يؤكد الزركشي على « أن المحافظة على الفواصل مع بقاء المعاني على سدادها هو النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتثامه كمالاً، بحسن مجيئها منقادة المعاني الصحيحة المنتظمة السلسلة»¹، فورود الفاصلة بصورة معينة لا يقتضيه الجرس الموسيقي فحسب، بقدر ما تقتضيه وتتطلبه المعاني والدلالات العامة للسياق العام.

وتؤكد عائشة عبد الرحمن ما ذهب إليه الزركشي قائلة: « لا نرى البيان القرآني تعلق في أي فاصلة منها مجرد رعاية شكلية للرونق اللفظي، وإنما تأتي فواصله جميعاً بمقتضيات معنوية بيانية مع تسبق الإيقاع بهذه الفواصل وائتلاف الجرس»²، فمراعاة الفواصل القرآنية للسياق العام للسورة أو المقطع، هو مكنم الإعجاز وسر الفصاحة ومبلغ البيان في حد ذاته، إذ يساهم ورود الفواصل القرآنية في السياق على عملية تحديد المعاني، بوصفها جزءاً أو مقطوعاً من السياق اللغوي العام (المقالي).

■ أنواع السياق القرآني:

قسم المفسرون السياق القرآني بالنظر إلى الجزء والكل، وانطلاقاً من العام إلى الخاص إلى أربعة أنواع:

-السياق العام (سياق النص):

يتمثل هذا النوع من السياق في كتاب الله عز وجل، «ويكون الكلام في هذا على مقاصد القرآن والمعاني المأمومة فيه»³، وبذلك يشمل السياق العام النصوص القرآنية ذات الغرض أو المقصود الواحد - عموماً-، ويتمثل ذلك في القصص القرآنية.

¹ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 72.

² - عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط7، 1990، ص 28.

³ - فهد بن عبد المغيث الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، ص45.

-سياق السورة:

وهو أخص من السياق العام، ويختص بتبيين «وجه المناسبات التي تكون قد تكون غير واضحة»¹؛ ذلك ان موضوعات السورة تدور حول مقصود عام والذي يشكل المعنى العام للسورة، ويؤكد ابن القيم على أهمية سياق السورة في استنباط الدلالات، وذلك حينما بحث في وجه مناسبة الأمثال التي وردت في سورة التحريم، في قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم 10)، فيقول: « وفي هذه الأمثال الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم)، والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن لم يطعن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويردن الدار الآخرة لن ينفعهن اتصاهن برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصاهما بهما»²، فالاستعانة بسياق السورة يوضح صورة المعاني ويكشف عن الدلالات المغمورة بين السطور، ومدى مناسبة الآيات والأغراض لبعضها بعضا.

-سياق المقطع (سياق النص):

ويقصد به «المقطع المتحد بالعرض»³، فيتمثل هذا النوع من السياق في جزء معين مقتطع من السورة، يدور -في مجمله- حول مقصود معين، تنظم تحته الوحدات اللغوية والتراكيب الجمالية، مشكّلة في ذلك سياق المقطع، ليكون هذا الأخير العضو الرابط بين الكلمات والصيغ والمعاني والدلالات، ويختص هذا النوع من السياق بالقصص القرآني، لورودها في عدة مواطن مختلفة ومواضع متنوعة، فتذكر القصة في كل مقطع حسب ما يقتضيه المراد والمقصود العام من السرد.

1 - تهابي بن أحمد باحويرات، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، ص 79.

2 - ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، د.ط، 1981، ص 57.

3 - فهد بن عبد المغيث الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، ص 43.

-سياق الآية:

هو الجزء الأصغر من السياق القرآني، ويعد اللبنة الأساسية في بناء النص القرآني، « وفي هذا النوع من السياق يكون النظر فيما يكون الغرض في الآية، فإذا كان هناك خلاف في معنى الآية، فإننا ننظر إلى السياق»¹، كما هو الحال في تفسير المشترك اللفظي الوارد في القرآن الكريم في عدة مواضع، فيعمد سياق الآية إلى تحديد وتوضيح الدلالة المقصودة من المشترك اللفظي.

¹ - تهابي بن أحمد باحويرات، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، ص76.

خلاصة الفصل :

انطلاقاً من العرض النظري لماهية المتشابه والسياق القرآني يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1. لقد تعددت المعاني اللغوية - قديماً وحديثاً- للفظ المتشابه، وتداخلت مع بعضها بعضاً لحد الالتباس؛ إذ دلت في مجملها على (المثيل، الإلتباس، الغموض)، مما جعل المعنى اللغوي للفظ "المتشابه" غامضاً في حد ذاته.
2. لقد أدّى التداخل اللغوي لمعنى "المتشابه" إلى صعوبة في تحديد معناه الاصطلاحي؛ إذ لم يتفق العلماء - قديماً وحديثاً- على وضع معنى اصطلاحى ثابت وصائب للفظ "المتشابه"، فاصطلحوا به على (المتماثل، المحتمل، المشكل، الملتبس، الغامض، الخفي).
3. لقد أطلق العلماء المتشابه من القرآن الكريم على أمرين: المتشابه قرين المحكم، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وهذا الأخير هو عمدة البحث.
4. لقد ورد معنى المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لدى العلماء بعدة معان، فأطلقوه على (المشكلات، والمتماثلات، والمتقاربات) من الآيات الكريمة.
5. لقد اقتصر عدد من العلماء -ومن بينهم السيوطي- معنى المتشابه اللفظي على ما وقع من تكرار في القصة القرآنية في سور شتى، بصيغ وتراكيب متنوعة ومختلفة.
6. لقد عزف العلماء - قديماً وحديثاً- عن توجيه ما تشابه لفظاً من القرآن الكريم، مقتصرين في ذلك على جمع وتدوين مواطن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، بالرغم من أهمية علم متشابه القرآن، وفضله في إثبات الإعجاز القرآني، ومحاربة المشككين والملحدّين.
7. لقد تصدّى قلة قليلة من العلماء لدراسة المتشابه اللفظي من القرآن الكريم تحليلاً وتوجيهاً، فكان أولهم - قديماً - الخطيب الإسكافي، وأوسعهم - حديثاً - فاضل صالح السامرائي.
8. لقد اعتمد علماء التفسير على السياق بشكل كبير في دراستهم وفهمهم للخطاب القرآني، واستنباط الأحكام الشرعية منه.

9. لقد توزع سياق الموقف لدى المفسرين على عدة عناصر متعلقة فيما بينها، وهي: (التنجيم المكي والمدني، النسخ والمنسوخ، أسباب النزول، المتكلم، معرفة مواد المتكلم، مراعاة حال المخاطب، العادات والتقاليد)، وكل هذه العناصر تتضافر مع بعضها بعضا من أجل الإبانة عن القصد والمعنى من النص القرآني.

10. لقد أضاف المفسرون إلى هذه العناصر نوعا آخر من التفسير يدخل في سياق الموقف هو "التفسير بالمأثور".

11. لقد عوّّل المفسرون في فهمهم للنصوص القرآنية على السياق القرآني (السياق اللغوي)، وانقسم هذا الأخير لديهم إلى عدة عناصر متعلقة مع بعضها بعضا وهي: اللغة، ويدخل ضمنها (السياق النحوي، الصرفي، الصوتي، الدلالي)، و**سياق النص** ويدخل ضمنه (سياق السورة، المناسبة القرآنية، الفاصلة القرآنية).

12. لقد تفرع السياق القرآني لدى المفسرين إلى نوعين: السياق العام ويقصد به الخطاب القرآني، والسياق الخاص وينطوي تحته ثلاثة فروع هي: (سياق السورة، سياق المقطع، سياق الآية).

13. لقد دعا **فاضل صالح السامرائي** - نظريا- إلى ضرورة إعمال السياق بنوعيه (سياق الموقف والسياق اللغوي) في تحليل مواضع المتشابه اللفظي من القرآن الكريم وتوجيهها.

فهل يساعد السياق - بنوعيه- على تحليل مواطن المتشابه اللفظي - كما دعا إليه السامرائي؟، وهل السياق هو المعين -حقا- في فهم الاختلاف الواقع في مواضع المتشابه اللفظي؟، وكيف تتم عملية إعمال السياق في تحليل هذه المواضع، وهل يكون ذلك بالاعتماد على نوع معين من السياق دون آخر؟ وهل تتغير دلالة المتشابه اللفظي من سياق لآخر؟.

وهذا ما ستحاول الفصول الموالية الكشف عنه -تطبيقيا-، وذلك بدراسة مواطن المتشابه اللفظي في قصص آدم وإبراهيم ولوط عليهم السلام، والواردة في النصوص القرآنية تحليلا وتوجيها.

الفصل الثاني

دلالة المتشابه اللفظي

في قصة آدم عليه السلام

الفصل الثاني

دلالة المتشابه اللفظي في قصة آدم عليه السلام.

تمهيد.

1- خلق آدم عليه السلام و سجود الملائكة له.

2- سكنون آدم عليه السلام الجنة و هبوطه منها.

3- امتناع إبليس اللعين عن السجود.

4- خطاب الله عز و جلّ مع إبليس اللعين.

خلاصة الفصل

تمهيد:

احتلت القصة جزءا كبيرا من القرآن الكريم، نظرا لأهميتها الكبيرة في بسط المواعظ القيمة، والعبر الجليلة، خاصة ما تعلق منها بأخبار الأنبياء والرسل مع أقوامهم، وقد ترد القصة الواحدة في سور متعددة بأساليب مختلفة وصيغ متنوعة ومتغيرة، تتميز بالإطناب تارة وبالإيجاز تارة أخرى، تحديا للعرب وتأكيدا على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن بين هذه القصص قصة آدم عليه السلام التي ذكرت في سبع سور وهي - مرتبة حسب النزول-: (ص، الأعراف، طه، الإسراء، الحجر، الكهف، البقرة). ويتراوح ورود قصة آدم عليه السلام في هذه السور بين الإيجاز والإطناب، فوردت موجزة ومجملة في بعضها، ومفصلة مسهبة في بعضها الآخر.

وتدور أحداث هذه القصة - عموما - حول بداية الخلق الإنساني، وذلك حينما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام، وشرفه بسجود الملائكة له، وزاد في إكرامه لدى إدخاله وزوجه الجنة، وما جرى لهما من غواية الشيطان ووسوسته لهما - حسداً منه - بغية إخراجهما من الجنة، كما حصل له - من قبل - عقابا له على امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وما حدث له من وقوع اللعنة عليه.

وقد وقع المتشابه اللفظي - في هذه القصة - في أربعة عشر موطناً، تميزت معظمها ب(الزيادة والنقصان، الحذف والذكر، الإبدال في الحروف والكلمات والجمل)، ويتناول هذا الفصل هذه المقاطع بالتحليل والتمحيص والتنقيب عن سبب ورود هذه الاختلافات في الصيغ التركيبية، وذلك اعتماداً على السياق بنوعيه (اللغوي والمقامي).

1- خلق آدم عليه السلام وسجود الملائكة له:

خلق الله عز و جلّ آدم عليه السلام، وشرفه بجعله أحسن المخلوقات و أفضلها، وكرمه بجعله خليفة للأرض، وزاد في تكريمه و تشريفه حينما أمر الملائكة بالسجود لهذا المخلوق.

المقطع الأول: بداية الخلق.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة، 30)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر، 28)

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (ص، 71).

1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
الفصل والوصل	إذ قال ربك	و البقرة، الحجر
		// ص

عطفت قصة آدم عليه السلام في سورتي البقرة و الحجر بالواو العاطفة، و لم يتم ذلك في سورة ص، فماسبب وقوع الفصل و الوصل في هذا الموضع؟.

التحليل استناداً على سياق السورة (السياق اللغوي) :

لتوجيه هذا النوع من المتشابه اللفظي لابد من إعمال السياق القرآني الخاص بكل آية:

1. سورة البقرة:

ذكرت القصة في سورة البقرة بالعطف (وإذ)؛ لأن «ذلك ما اقتضاه ترتيب ذكر هذه القصص بعضها بعد بعض، ابتداء من خلق السموات والأرض، وما طرأ من أحوال أصول العامين للأرض وما بينها وبين السماء، فإن الأصل في الكلام أن يكون ترتيب نظمه جارياً على ترتيب حصول مدلولاته»¹.

فسبق سرد قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام سرداً لخلق السموات والأرض، وذلك في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، 29)، وأعقبت هذه الآية بقصة خلق آدم عليه السلام، وذلك لتشاركها مع قصة خلق السموات والأرض في الموضوع العام، والذي تتمثل في (الخلق)، ولهذا عطفت قصة أينا آدم عليه السلام على قصة خلق السموات والأرض.

2. سورة الحجر:

أما الآية الواردة في سورة الحجر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، فإنها عطفت على قصة خلق الإنسان و الجان الواردة في الآية المتقدمة عنها، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾²، وقد عطفت القصتان - قصة سيدنا آدم عليه السلام و قصة خلق الإنسان والجان - لاشتراكهما في موضوع الخلق.

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج1، ص 420.

² - سورة الحجر، الآيتان 26-27.

3. سورة ص:

أما سورة ص فقد سبقت فيها قصة خلق آدم عليه السلام قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ. أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ. مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ. إِنَّ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ. إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ¹، فحذف حرف العطف لأن قصة آدم عليه السلام استثنائية لعدم اشتراكها فيما سبق من آيات في موضوع الخلق.

و وردت قصة خلق آدم عليه السلام في هذه السورة استدلالا على ما ورد في قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (ص، 69)، وهذا ما يوضحه أبو حيان الأندلسي قائلا: « سياق الآية وظاهرها الاحتجاج على قريش بأن ما جاء به من عند الله لا من قبل نفسه، فإن من في الأرض ما له علم بمن في السماء إلا بإعلام الله تعالى، وعلم المغيبات لا يوصل إليه إلا بإعلام الله تعالى (...)، وإخباره بذلك هو إعلام الله، والاستدلال بقصة آدم لأنه أول البشر خلقا وبينه وبين الرسول أزمان متقدمة²».

فوق قصة خلق آدم عليه السلام في هذه السورة كان لغرض الاستدلال على أن القرآن المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، هو وحي من الله عز وجل، وجاءت القصة لدحض أكاذيب قريش بأنه كلام بشر، وما هو إلا وحي من الله عز وجل لرسوله الكريم.

وبذلك وقع الفصل والوصل في هذا الموضع من المتشابه اللفظي حسب ما اقتضاه السياق العام للسورة وموضوعه ومراده.

¹ - سورة ص، الآيات 67-71.

² - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، م.م.س، ج4، ص 391.

(2) موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
إبدال كلمة بكلمة	جاعل	إِنِّي	البقرة
	خالق		الحجر، ص

ورد قوله تعالى في سورة البقرة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾، وفي سورتي الحجر و ص قوله ﴿إِنِّي خَالِقٌ﴾، فماسبب التغيير بين الكلمتين والقصة واحدة؟.

أ- التحليل استنادا على سياق الآية (السياق اللغوي):

ذكر في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾، وفي سورتي الحجر و ص قوله ﴿إِنِّي خَالِقٌ﴾، وهذا التغيير بين الكلمتين راجع إلى المعنى الخاص بسياق كل آية، وما ترمي إليه كلمتي (جعل) و(خلق) من دلالات تختلف كل واحدة فيها عن الأخرى، وهذا ما يوضحه الكرمانى قائلاً: « إن جعل إذا كان بمعنى الخلق يستعمل في الشيء الذي يتجدد ويتكرر، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾*، لأنهما يتجددان زمانا بعد زمان، وكذلك الخليفة يدل لفظه على أن بعضهم يخلف بعضا إلى يوم القيامة، وخصت السورة (الحجر و ص): ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا﴾، إذ ليس لفظ البشر ما يدل على التجدد والتكرار، فجاء في كل واحدة من السور ما اقتضاه بعده من ألفاظ»¹.

فكانت للدلالة السياقية أثر كبير في توجيه هذا الموضع من المتشابه اللفظي، فتناسقت كلمة (جعل) مع لاحقتها (خليفة)، لاشتراكهما في معنى التجدد والتغيير، لأن الجعل معناه التجدد والتحول، والخليفة يتغير ويتحول بمرور الزمن، وتناسبت مفردة (خالق) مع لاحقتها (بشراً)، لأن الخلق

* - سورة الأنعام، الآية 01.

¹ - الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، م.م.س، ص 155.

لا يتضمن التجدد والبشر لا يقبل التغيير، فوردت كل كلمة في الموطن الذي يناسبها وبحسب الدلالة التي اقتضاها السياق الخاص لكل آية.

ب- التحليل اعتماداً على السياق المقامي:

وجه المطعني هذا الموضوع توجيهها آخر مغايراً لما ذكره الكرمانى، معتمداً في ذلك على سياق الموقف، أو ما يعرف في اصطلاح المفسرين بـ (المكي والمدني)، فيقول معللاً سبب ورود الجعل في سورة البقرة والخلق في سورتي الحجر وص: « لأن العهد المكي كان عهد تكوين، في كل شيء تكوين للعقيدة الصالحة، تكوين للأخلاق الإنسانية الفاضلة، تكوين لجماعة تؤمن بالحق وترفض الباطل، فتناست قصة آدم عليه السلام مع مراحل التكوين الأولى (...)، أما الجعل فمناصب للعهد المدني لأنه طور لاحق للإيجاد والخلق، ولأن مفعوله خليفة والخلافة مجعولة لآدم متنقلة في ذريته جيلاً بعد جيل»¹.

فاقتضى العهد المكي المشتمل على بناء اللبنة الأساسية لمجتمع مسلم ومؤمن بالله التعبير عنه بلفظي 'الإيجاد والخلق' الوارد في سورتي الحجر وص- كونهما سورتين مكيتين-، أما العهد المدني المتسم بالتجدد والتحوّل من جيل إلى جيل ناسبه ذكر ما يدل على معنى التجدد والتغيير الوارد في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ بوصفها آية مدنية.

3) موضع التشابه ج:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
إبدال كلمة بكلمة	صلصال	بشراً من	الحجر
	طين		ص

¹ - المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، م.م.س، ج1، ص 362.

ورد في سورة الحجر أن آدم عليه السلام خلق من (صلصال)، وفي سورة ص أنه خلق من (طين)، فما سبب هذا الاختلاف في مادة الخلق بالرغم أن المحكي عنه واحد؟.

التحليل اعتمادا على السياق المعجمي و سياق الموقف:

لتحليل هذا الموضوع لا بد من التحليل المعجمي لكلمة (صلصال)، والتي معناها «الطين الذي يترك حتى يبس فإذا يبس فهو صلصال وهو شبه الفخار»¹، وانطلاقا من الشرح المعجمي لكلمة صلصال يستنتج أن الصلصال هو نتيجة حاصلة عن الطين، والطين هو أسبق وجودا من الصلصال أي هو أصل وجود الصلصال.

وإذا ما علمنا أن سورة ص هي أسبق نزولا من سورة الحجر، بل إن سورة ص هي أول سورة وردت فيها قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام، و إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الطين هو أسبق وجودا من الصلصال، فنستنتج بذلك سبب ورود الطين في سورة ص، وسبب ورود الصلصال في سورة الحجر.

1-سورة ص: تناسب ذكر الطين الذي هو أصل الوجود الإنساني - وأصل وجود الصلصال أيضا- في سورة ص مع السرد و الحكيم الأول لقصة بداية خلق آدم عليه السلام، و الواقع في سورة ص.

2-سورة الحجر: ورد قوله (صلصال) في سورة الحجر عوضا عن (طين) التي وردت في سورة ص؛ لأن سورة الحجر تأخرت في النزول عن سورة ص، وهذا جاء متناسبا مع كلمة (صلصال)، و التي تمثل مرحلة متأخرة عن الطين.

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م.م.س، ج14، ص 41.

وسبب اختصاص سورة الحجر بكلمة (صلصال) دون غيرها من الكلمات يعود إلى السياق العام للسورة، إذ سبق قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ذكر خلق الإنسان من مادة الصلصال وذلك في قوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ¹.

فذكرت الآيتان -السادسة والعشرون والسابعة والعشرون - من سورة الحجر خلق الإنسان، ثم تلتها الآيات الأخرى لتفصل في بداية خلق الإنسان، وذلك عن طريق سرد قصة خلق أبي البشرية - آدم عليه السلام-، ولهذا ورد قوله ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ليناسب ما سبقه من ذكر مادة خلق الإنسان، والتي تتمثل في (صلصال من حمأ مسنون).

المقطع الثاني: (الأمر بالسجود).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (البقرة، 34)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ (الأعراف، 11)

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر، 28)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الإسراء، 61)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الكهف، 50)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (طه، 116)

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص، 72).

¹ - سورة الحجر، الآيتان 26- 27.

1- موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
إبدال حرف بحرف	قلنا للملائكة اسجدوا	البقرة، الإسراء، الكهف، طه
		الأعراف

للسائل أن يسأل في هذا المقام عن سبب عطف قوله تعالى ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾
الوارد في سورة الأعراف بحرف (ثم)، على عكس ما ورد في نظيراتها من سور: البقرة، الإسراء، الكهف، طه، والتي عطف بحرف الواو في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

التحليل اعتمادا على سياق السورة (السياق المقالي):

الجواب على السؤال المذكور آنفا يتوضح ويتيسر بإعمال السياق اللغوي، المحيط بالآيات القرآنية الكريمة لكل سورة:

1. سورة البقرة:

عطف قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ بحرف الواو، في سورة البقرة مواصلة للسرد السابق لها، والمتمثل في الإخبار والإعلام عن مناقشة الملائكة لله عز وجل في قصة جعل الخليفة، وما صاحبها من أخبار عجزهم عن معرفة الأسماء التي علمها الله لآدم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ¹، فتم عطف بالواو في سورة البقرة تنمة للسرد، وإكمالاً لقصة خلق آدم عليه السلام، وجعله خليفة في الأرض.

2. سور الإسراء والكهف وطه:

أما سور الإسراء والكهف وطه فعطفت فيها تلك المواضع على القصص التي سبقتها، لأن تقدير الكلام (واذكر إذ قلنا للملائكة)، ففي سورة الكهف مثلاً ورد قوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الكهف، 50) « تفننا بغرض الموعظة التي سيقت له هذه الجمل، وهو التذكير بعواقب إتباع الهوى والإعراض عن الصالحات، وبمداحض الكبرياء واحتقار الفضيلة والابتهاج بالأعراض التي لا تكسب أصحابها كمالاتاً نفسياً، وكما وعظوا بأيام الدنيا ذكروا هنا بالموعظة بأول إباحتها وهو يوم خلق آدم»².

3. سورة الأعراف: عطفت آية الأعراف بـ "ثم" لسببين:

أولهما: مناسبة للعطف الذي سبقها، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الأعراف، 11).

ثانيهما: عطفت بـ "ثم" التي تفيد الترتيب الرتبي ؛ « ذلك أن مضمون الجملة المعطوفة هنا أرقى رتبة من مضمون الجملة المعطوفة عليها»³، فالأمر بالسجود أرقى وأرفع مرتبة من التصوير والخلق كونه سجود تكريم وتعظيم للجنس البشري، وهذا ما يصرح به الأنصاري قائلاً: « والحكاية عن أبينا آدم عليه السلام كناية عن الجنس البشري، وقوله ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ أي خلقنا أباكم آدم ثم صورناه أبداع تصوير، وجاء بصيغة الجمع ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ تكريماً

¹ - سورة البقرة، الآيات 30 - 33.

² - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م.م.س، ج5، ص 340.

³ - المرجع نفسه، ج8، ص 38.

لآدم وذريته»¹، فتم العطف ب (ثم) في هذه الآية لأن التصوير هو كمال حالة الخلق؛ أي أنها مرحلة تابعة للخلق، والأمر بالسجود هو أكمل إحسانا وأرقى مرتبة من التصوير أو الخلق.

2- موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير صيغة	اسجدوا	البقرة، الإسراء، الكهف، الأعراف، طه
	ساجدين	الحجر، ص

ورد الأمر بالسجود تارة بالصيغة الفعلية ﴿اسْجُدُوا﴾، وذلك في سور البقرة، الأعراف، الإسراء، الكهف وطه، وتارة أخرى بصيغة اسمية مسبوقة بفعل الوقوع ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ في سورتي الحجر و ص، فما سر الاختلاف بين صيغتي السجود، مع أن الأمر بالسجود واحد؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع والسياق النحوي الدلالي:

أ- السياق النحوي الدلالي:

مما لا شك فيه أن الصيغة الاسمية أو الجملة الاسمية أبلغ دلالة وأؤكد حالا من الجملة الفعلية أو الصيغة الفعلية، لما تتميز به الأولى من الدوام والثبوت، على عكس الثانية التي تتميز بالتجدد في الحدوث.، ومن هنا ندرك أن قوله ﴿سَاجِدِينَ﴾ أبلغ دلالة وأقوى معنى من قوله ﴿اسْجُدُوا﴾، ومجيء الأمر بالسجود بالصيغة الاسمية في سورتي الحجر و ص، وبالصيغة الفعلية في سور البقرة، الأعراف، الإسراء، الكهف، طه، اقتضاه سياق مقطع القصة في كل سورة.

¹ - الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما التبس من القرآن، م.م.س، ص 187 (الهامش).

ب- سياق المقطع:

ب1-سورتا الحجر وص:

سبق الأمر بالسجود في سورتي الحجر وص قوله تعالى ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (ص 71)، و﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر، 28)، وأتبع هذه الآية التي تدل على ماهية مادة خلق آدم عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

فلما صرح الله سبحانه وتعالى بمادة خلق الإنسان (الطين /الصلصال)، وأن الله عز وجل خلق من هذه المادة المهينة سيد المخلوقات آدم عليه السلام، وأتبع ذلك تصريحه بنفخ روحه العظيمة جل وعلا في أبي البشرية عليه السلام، وذلك في قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر، 29-ص، 72) دلالةً على التعظيم والتكريم والتشريف لآدم عليه السلام، رافقت زيادة التعظيم والتشريف الوارد في قوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ مبالغة في الأمر بالسجود باستعمال الصيغة الاسمية الدالة على الدوام والثبات، مسبوقة بفعل الوقوع ﴿فَقَعُوا لَهُ﴾؛ أي (اسقطوا)، مما زاد لفظة (ساجدين) معنى أجل وأعظم، وتناسقت هذه الدلالة العظيمة والمبالغة في أمر السجود مع زيادة التصريح بالتشريف والتكريم في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ الدالة على المبالغة في تعظيم آدم عليه السلام وتشريفه.

ب2-سور البقرة، الأعراف، الإسراء، الكهف، طه:

ولما لم يرد تقدم ذكر خلق آدم عليه السلام من روح الله عز وجل، ولم يصرح بقوله ﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ في سور (البقرة، الأعراف، الإسراء، الكهف، طه)، اكتفى بوقوع الأمر بالسجود بالصيغة الفعلية (اسجدوا) الدالة على التجدد، والتي هي أقل دلالة من الصيغة الاسمية (ساجدين)،

تناسبا مع ما تقدمها من الإيجاز والاكتفاء في سرد قصة خلق آدم عليه السلام في سورتي البقرة والأعراف*، والاختصار في سور (الإسراء، الكهف، طه) على ذكر خبر الأمر بالسجود، الوارد في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

فورود الصيغة الاسمية في سورتي الحجر و ص راجع إلى ما اقتضاه وتطلبه سياق التشريف والتكريم، و ورود الأمر بالسجود بالصيغة الفعلية في غيرها من السور سببه ما تطلبه سياق الإيجاز والطي في تلك السور.

ج- المقطع الثالث: سجود الملائكة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (البقرة، 34)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا فَسَجَدُوا﴾ (الأعراف، 11)

قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر، 30)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (الإسراء، 61)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (الكهف، 50)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (طه، 116)

قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (ص، 72).

* - سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، 30، وسورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾، 11.

موضع التشابه:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
البقرة، الأعراف، لإسراء، الكهف، طه	فسجدوا	التوكيد
الحجر، ص	فسجد الملائكة كلهم أجمعون	

ذكر امتثال الملائكة لأمر السجود بصيغة مؤكدة في سورتي الحجر وص، و ذلك في قوله

تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، و لم يقع هذا التوكيد في بقية السور، فماسبب ذلك ؟

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

1-سورتا الحجر وص:

ورد انصياع الملائكة لأمر السجود في سورتي الحجر وص مؤكدا بتوكيدين معنويين ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، وهذه المبالغة في سرد سجود الملائكة تطلبها السياق العام للآية؛ لأنه « لما بالغ في السورتين في الأمر بالسجود في قوله ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، بالغ في الامتثال فيهما فقال ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾¹، فذكر الامتثال المؤكد لسجود الملائكة ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ استجابة للصيغة المؤكدة في الأمر بالسجود ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، وبذلك جاءت المبالغة في الاستجابة لأمر السجود متناسبة مع دلالة التعظيم والتشريف المصرح بها في السورتين، وذلك في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾.

2-سور البقرة، الأعراف، الإسراء، الكهف، طه:

أما ورود استجابة الملائكة لأمر الله وامتثالهم للسجود دون موكدات، والاكتفاء بقوله ﴿فَسَجَدُوا﴾، ملائمة ومناسبة لما تقدمها من التصريح بالأمر بالسجود الخالي من المبالغة، وذلك في

¹ - الكرواني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، م.م.س، ص 155.

قوله ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، فعدم المبالغة في الأمر بالسجود تابعها اكتفاء بالاستجابة دون مبالغة في ذلك بقوله ﴿سَجُدُوا﴾.

لم يتوقف تشريف الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام عند أمر الملائكة بالسجود له، بل زاد في الإنعام عليه وذلك بإدخاله وزوجه الجنة، وتضمنت قصة دخول آدم عليه السلام وزوجه الجنة، وهبوطهما إلى الأرض بسبب وسوسة الشيطان لهما عدة مواضع من المتشابه اللفظي، وهذا ما سيتم تحليله فيما يلي.

2-سكون آدم عليه السلام الجنة وهبوطه منها:

أنعم الله سبحانه و تعالى على آدم عليه السلام بإدخاله الجنة و تمتعه بها هو وزوجه حواء عليهما السلام إكراما و تشريفا له، وعمد إبليس اللعين على إخراجهما من الجنة حسدا منه لآدم عليه السلام، فلجا إلى تحريضهما على الأكل من الشجرة التي نهماها الله عز وجل عنهما، مما استوجب خروجهما من الجنة وهبوطهما الى الأرض.

أ- المقطع الأول: دخول الجنة.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة، 35)

قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف، 19).

1- موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
البقرة	يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة	الحذف والذكر
الأعراف	يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة	

استؤنف الخطاب في سورة البقرة بقوله ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ بذكر فعل (قلنا)، وفي سورة الأعراف بحذفها في قوله ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، فما سبب حذف (قلنا) في الأعراف وذكرها في البقرة؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

1- سورة البقرة:

ورد فعل القول في سورة البقرة في قوله ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ دلالة على بداية الخطاب، فنظرا لعدم تضمن آيات سورة البقرة التي سبقت الأمر بدخول الجنة خطابا موجها لإبليس اللعين، وذلك في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾¹، والاكتفاء بالإخبار والإعلام عن امتناعه عن السجود في قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، ابتداء الخطاب بقوله ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، باستعمال (قلنا) للدلالة على بداية الخطاب المباشر بين الله عز وجل وآدم عليه السلام.

2- سورة الأعراف:

أما الحذف الواقع للفعل (قلنا) في قوله تعالى ﴿وَبَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، فسيبه ما تقدم هذه الآية من مخاطبة الله عز وجل لإبليس اللعين لامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. قَالَ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَاتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾²، فبعد حديث الله عز وجل مع إبليس اللعين وطرده من الجنة، وجه خطابه مباشرة إلى آدم عليه السلام أمرا إياه بسكون الجنة إكراما وتشريفا له.

¹ - سورة البقرة، الآية 34.

² - سورة الأعراف، الآيات 12 - 18.

ومرجح أن تكون هذه المخاطبة لإبليس اللعين وآدم عليه السلام واقعة في زمن واحد، فانتقل الخطاب من محادثة إبليس اللعين وطرده من الجنة، إلى مخاطبة آدم عليه السلام وأمره بدخول الجنة.

2- موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
إبدال حرف بحرف	كُلا	و	اسكن أنت وزوجك الجنة
		ف	
			البقرة
			الأعراف

عطف الأمر بالأكل في سورة البقرة بحرف الواو، و في سورة الاعرف بحرف الفاء، فما سبب الإبدال بين حرفي العطف؟.

التحليل اعتمادا على السياق الدلالي:

يوجه الكرماني هذا الموضع من المتشابه اللفظي اعتمادا على تحليله لكلمة (اسكن)، فيقول: « إن الذي في البقرة من السكون الذي معناه الإقامة، وذلك يستدعي زمنا ممتدا، فلم يصح إلا بالواو، لأن المعنى الجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها، ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة لأن الفاء للتعقيب والترتيب، والذي في الأعراف من السكنى الذي معناها اتخاذ الموضع مسكنا بعد أن أخرج الله عز وجل إبليس من الجنة (...) وخاطب آدم وقال: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾؛ أي اتخذنا لأنفسكما مسكنا، فكانت الفاء أولى لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمنا ممتدا فلا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل بل يقع الأكل عقبه»¹.

فجمع الكرماني في توجيهه لهذا الموضع بين الدلالة اللغوية لكلمة (اسكن)، وما تفيدته أداتا العطف (الفاء، الواو) من دلالة نحوية (السياق النحوي) ويتوضح ذلك فيما يلي:

¹ - الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، م.م.س، ص ص 71- 72.

1. سبب ورود حرف الواو في سورة البقرة:

تدل كلمة (اسكن) الواردة في سورة البقرة على الاستقرار والإقامة، وهذا يتطلب وقتاً وزمناً طويلاً، فلماذا جمع بين الإقامة والأكل بحرف العطف (الواو) بدلا عن (الفاء) التي تعني الترتيب والتعقيب، ولو حصل ذلك لكان المعنى يستدعي الأكل بعد الفراغ من الإقامة والاستقرار، وهذا مناقض للمعنى الدلالي الذي رمت إليه كلمة (اسكن) في الآية الكريمة الواردة في سورة البقرة.

2. سبب ورود حرف الفاء في سورة الأعراف:

تدل كلمة (اسكن) في آية الأعراف على اتخاذ الموضع مأوى ومسكنا، وذلك بعد طرد إبليس اللعين من الجنة في قوله تعالى ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا﴾¹، فأمر الله عز وجل آدم عليه السلام اتخاذ هذا الموضع (الجنة) مسكنا له ولزوجته، وأتبع هذا الأمر بالسكون أمرا بالأكل (فَكُلَا)، والتي هي مرحلة موائية لاتخاذ الجنة مسكنا، فعطفت بالفاء الدالة على التعقيب والترتيب في سير الأحداث والوقائع، لأن الأكل تمّ عقب اتخاذ الجنة مسكنا ومأوى.

3- موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
البقرة	//	حذف حرف
الأعراف	من	

حذفت (من) في سورة البقرة وذلك في قوله تعالى ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، وذكرت في سورة الأعراف وذلك في قوله تعالى ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، فما سبب ذلك؟.

¹ - سورة الأعراف، الآية 18.

التحليل اعتمادا على السياق النحوي:

وجه الغرناطي هذا الموضوع من المتشابه اللفظي توجيهها نحويا دلاليا، ويفرق بين المعنيين قائلًا: «ليس موقع ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ موقع ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾؛ لأن ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يعطي إباحة الأكل من ثمر كل موضع فيها، أما حيث إذا لم يكن معها من فإنها تعطي إباحة الأكل في كل موضع لا من ثمر كل موضع»¹.

أي أن ما ورد في سورة البقرة من قول ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يعني الأكل في أي مكان تريده - أي كلا في أي مكان تشاءن-، أما قوله ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ الوارد في سورة الأعراف معناه (كلا من ثمر أي مكان تختارانه)، مما تفيد التوسعة والإباحة في الأكل من ثمار كل موضع، وهذه الدلالة جاءت متناسقة مع ما سبقها من دلالة تشريف وتكريم آدم عليه السلام وذريته ابتداءً من تمكين ذرية آدم الأرض وتشريف الخلق والتصوير، ثم تكريم أبي البشرية بسجود الملائكة له، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ. وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾²، وما تلاها من طرد إبليس اللعين من الجنة ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا﴾ (الأعراف، 18)، واتخاذ الجنة مسكنا لآدم ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، فقابل زيادة التشريف والتعظيم والتكريم زيادة في الإباحة وتوسعة في الأكل، الوارد في قوله ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، م.م.س، ج 1 ص 189.

² - سورة الأعراف، الآيتان 10- 11.

4- موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
البقرة	رغدا	الزيادة والنقصان
الأعراف	//	

ذكر الأمر بسكون الجنة والأكل من ثمارها في سورة البقرة بزيادة (رغدا)، وسقطت هذه الزيادة في سورة الأعراف، فما سبب وقوع ذلك؟.

التحليل اعتمادا على السياق النحوي:

أ-سورة البقرة:

يحلل الغرناطي هذا الموضع من المتشابه اللفظي بالاعتماد على السياق النحوي، وما تشير إليه الآيتان الكریمتان من المعنى اللغوي، فيقول: «لأن معنى من - هنا- للتبعيض، ومعناها بما هو تبعيض قد يسبق منه إرادة التقليل وهو غير مراد هنا، وإنما مصرف التبعيض هنا إلى المأكل (...). وما طوت عليه الجنة إباحة التوسعة وأكلها مقصودة وليس ثم ما يجرزها فقال تعالى: ﴿رَغَدَا﴾ ليحصل معنى التوسعة»¹.

فإن ورود (من) الدالة على التبعيض في قوله تعالى ﴿وَكُلًّا مِنْهَا﴾، قد توهم أن التمتع بثمار الجنة محدود ومقصور، ولطرد هذا المعنى الذي أفادته من التبعيضية أردف هذه الآية قوله تعالى ﴿رَغَدَا﴾، لإحراز معنى التوسعة في التمتع بالجنة وثمارها بغير حدود، وهذا هو المراد من تشریف آدم عليه السلام بإسكانه الجنة.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، م.م.س، ج1، ص188.

ب-سورة الأعراف:

أما حذف قوله ﴿رَغَدَا﴾ في آية الأعراف، لوجود ما يدل على « معنى التوسعة وذلك في قوله تعالى ﴿ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ لإباحة ما في أماكنهم، ومن المحال على اتساع المساحة وكثرة المأكَل ثم يحجز عليها التوسع في الأكل والترغد وهذا متناقض»¹، فقوله ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ الدال على اتخاذ الجنة موضعاً ثم الأكل من ثمارها، أحرز معنى التوسعة في اختيار ما شاء من ثمار كل موضع، فلم يحتج بذلك إضافة ﴿رَغَدَا﴾، لبلوغ المعنى المراد، وذلك في قوله ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾

المقطع الثاني (وسوسة الشيطان):

قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة، 36).

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف، 20).

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (طه، 120).

1- موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
البقرة	أزلهما	إبدال كلمة بكلمة
الأعراف، طه	وسوس	

¹ -، الغرناطي، ملاك التأويل، المصدر السابق، ج1، ص188.

وردت قصة غواية الشيطان لآدم عليه السلام في سورة البقرة بقوله ﴿أَزَّهُمَا﴾، و في سورتي الأعراف وطه بقوله ﴿وَسْوَسَ﴾، فما سبب هذا التغيير في الفعلين ومقام السرد واحد؟.

التحليل: يمكن التحليل هذا الموضوع المتشابه اللفظي من زاويتين:

أ- سياق الآية (السياق اللغوي):

1أ- سورة البقرة :

يذكر ابن كثير أن معنى كلمة ﴿أَزَّهُمَا﴾ الواردة في سورة البقرة « أي نحاهما (...) وهو من قبيل الزلل أي الخطيئة»¹، فورد في سورة البقرة ﴿أَزَّهُمَا﴾ بمعنى دفعهما إلى ارتكاب الخطيئة، وذكر هذا الفعل (الزلل) جاء مناسبا مع الطي والإيجاز الذي جاء في الآية التي تلتها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾، و لم يتضمن مقطع البقرة سردا لكيفية الوسوسة أو الطريقة التي انتهجها الشيطان للإيقاع بآدم عليه السلام وزوجه، واقتصر على ذكر نتيجة الخطيئة المتمثلة في خروجهما من الجنة، في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فاقترض ذلك ورود لفظ (أزلهما) الدال على ارتكاب الخطيئة تلاؤما وتناسبا مع ما صرح به من نتيجة الخطيئة، وهي الإخراج من الجنة، ومع ما طوي من تفاصيل الوسوسة، والاكتفاء بذكر نتيجة الزلل (الخروج من الجنة).

2أ-سورتا الأعراف و طه:

أما ما ورد في سورتي الأعراف وطه من تصريح بفعل الوسوسة في قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف 20)، وفي قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ (طه، 120)، فمعلوم أن معنى الوسوسة هو إلقاء الكلام الخافت في النفس²، ولما تضمنت السورتان تفصيلا في كيفية وسوسة

¹ - ابن كثير، عمدة التفسير (مختصر تفسير القرآن العظيم)، تح: أحمد شاكر، دار الوفاء، ط2، 2005، ج1، ص 105.

² - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج2، ص 384.

الشیطان لآدم وزوجه عليهما السلام، وما قاله لهما لدى وسوسته لهما، وذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف 20)، و ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى﴾ (طه، 120)، فناسب هذا التصريح بتفصيل الخطاب الوارد بين إبليس اللعين وآدم وزوجه عليهما السلام، والذي كانت غايته الإيقاع بهما، قوله ﴿وَسُوسَ﴾ الدال على إلقاء الكلام في النفس.

فتطلب السياق العام لكل آية (سياق المقطع) ورود كل كلمة في موضعها المناسب، فوردت كلمة ﴿أَزْهَمَا﴾ في البقرة بسبب ما ورد فيها من ذكر لنتيجة الزل، وهي الخروج من الجنة، وناسب ذكر فعل الوسوسة في سورتي الأعراف وطه مع ما صرح فيهما من تفصيل لكيفية وقوع الوسوسة.

ب-السياق الخارجي (زمن النزول):

من المعروف أن سورة البقرة مدنية، وهي آخر سورة -نزولاً- حكت فيها قصة آدم عليه السلام، وذلك بعد ست سور مكية منها: الأعراف وطه، وتتسم أساليب السرد في السور المدنية بالبسط في ذكر النتائج والإجمال في السرد، وذلك ملائم مع التطور السائر في مسار الدعوة النبوية الشريفة في العصر المدني، على عكس السور المكية التي تتسم بالتفصيل والإطناب في الحكى، بغية إقناع الناس عامة والكفار خاصة بأحقية هذا الدين الجديد في الإتيان.

فجاءت كلمة ﴿أَزْهَمَا﴾ الدالة على ارتكاب الخطيئة متناسبا مع الأسلوب المدني المتسم بالإجمال في الحكى، إذ طوت سورة البقرة تفاصيل واقعة الوسوسة، لسبق الإعلام بها في سورتي الأعراف وطه اللتين سبقتا سورة البقرة نزولاً، أما ما وقع في سورتي الأعراف وطه من ذكر وتفصيل في سرد واقعة الوسوسة، جاء بسبب ما فرضه الأسلوب المكى في الحكى، والسرد المسهب والمطول والمطنب، بغية ترسيخ الحقيقة الإيمانية في نفوس الناس.

2- موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
إبدال حرف بحرف	لهما	فوسوس	الأعراف
	إليه		طه

ورد الإخبار بوسوسة الشيطان في سورة الأعراف بقوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾، وعدل في سورة طه من (لهما) إلى (إليه) و ذلك في قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾، فماسبب الإبدال و الحكاية واحدة؟.

التحليل : يمكن توجيه هذا الموضع من المتشابه اللفظي من زاويتين :

أ- التحليل اعتمادا على سياق الآية:

يرى أبو حيان الأندلسي أن الفرق في تعدية الفعل ﴿فَوَسْوَسَ﴾ في سورتي الأعراف وطه، راجع إلى اختلاف المعنى في كل سياق، فيقول: « (فوسوس لهما) أي فعل الوسوسة لأجلهما»¹، ودليل ذلك ما تلاه في قوله تعالى ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾، ففعل الوسوسة وقع لأجل نزع الستر عن آدم عليه السلام وزوجه، أما قوله في سورة طه ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾ « بمعنى ألقى الوسوسة إليه»، ودليل ذلك ما تلاه في قوله تعالى ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾²، فهذه الآية تفسر سبب ورود قوله ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾؛ أي ألقى الوسوسة إليه قائلا: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾.

¹ - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، م.م.س، ج4، ص 279.

² - المصدر نفسه، ج6، ص 264.

ب- التحليل اعتمادا على السياق النحوي:

ورد في سورة الأعراف ﴿وَسْوَسَ لَهُمَا﴾ متضمنة الخطاب عن آدم وزوجه حواء عليهما السلام، لأن الخطاب الذي سبقه كان موجها لكليهما، والمتمثل في إسكانهما الجنة، وذلك في قوله تعالى ﴿فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف، 19)، فناسبه مواصلة الخطاب بضمير المثني (هما) الخاص بآدم وزوجه حواء عليهما السلام.

أما في سورة طه فكان الخطاب موجها لآدم عليه السلام على وجه الخصوص، بوصفه الحاكم والقائد، وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾¹، فتلاه ما يناسب من خطاب المفرد في قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾.

ولم يقل (فوسوس له) وقال ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾؛ لأن حرف الجر (إلى) يفيد الانتهاء إلى الغاية²، فلم يكن وقوع فعل الوسوسة لآدم عليه السلام - هنا- مباشرة من قبل إبليس اللعين، وإنما استعان الشيطان بحواء للوصول إلى إغواء آدم عليه السلام وانتهاء الوسوسة إليه، كما يذكر ابن عطية تفصيل ذلك في تفسيره، فيقول: « دخل إبليس الجنة في فم الحية وهي ذات أربع كالبخنية، بعد أن عرض نفسه على كثير من الحيوانات، فلم تدخله إلا الحية فخرج إلى حواء وأخذ شيئا من الشجرة وقال انظري ما أحسن هذا فأغواها فأكلت وقالت حواء لآدم: كل فأبني قد أكلت فلم يضربني شيء، فأكل»³.

فاستغل الشيطان عاطفة حواء عليها السلام وأغواها بالأكل، وكانت هي بدورها سببا في إغواء آدم عليه السلام، فانتهدت الوسوسة إليه عن طريق زوجه حواء عليهما السلام، ولهذا استعمل (إلى) الدالة على الانتهاء إلى الغاية، وذلك في قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾.

¹ - سورة طه، الآيتان 18 - 19.

² - ينظر: سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ج2، ص 320.

³ - ابن عطية، المحرر الوجيز، م.م.س، ج4، ص 67.

فائدة:

للسائل - في هذا الموطن - أن يتساءل عن سبب التعبير عن إبليس اللعين بالشیطان في قوله تعالى ﴿أَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾، و ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾، و ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾، عوضاً عن كلمة (إبليس)، مع أن القصة تخص إبليس اللعين تحديداً، ولماذا استعمل لفظ الشيطان في تلك المقامات بدلاً من إبليس مع أن المحكي عنه في هذه المقاطع (إبليس)؟.

للإجابة على هذا السؤال لا بد من الشرح المعجمي لكلمتي (إبليس) و(الشیطان)، أما الأولى فمعناها « مأخوذ من البلس وهو الحزن المفترض من شدة الإبلاس وسمي إبليس كذلك لندمه وبؤسه من حيث أبلس عن الخير»¹، فقوله إبليس يتعلق بالصفات الذاتية له والمتأصلة في نفسه والخاصة به، أما لفظ الشيطان يرد « إشارة إلى إبليس في مواضع الأفعال الشريرة»²، فكلمة (شيطان) هي وصف لكل فعل مشين وذميم.

ولهذا تحدث الله عز وجل في سور البقرة والأعراف و ص عن وسوسة إبليس بلفظ (الشیطان)³، لملاءمة ما سرد عن الفعل المشين والشرير المتمثل في فعل الوسوسة (وسوس، إزال)، فالشيطان هنا وصف لما ارتكبه إبليس من غوايته لآدم وحواء عليهما السلام، وسعيه إلى إخراجهما من الجنة - حسداً وكرهاً منه-.

وخص امتناع إبليس اللعين عن السجود بلفظ إبليس، لأن الامتناع عن السجود يتعلق بذات إبليس ونفسه⁴، وذلك حينما خانته أصله واستكبر عن السجود، ولم يلحق ضرراً إلا بنفسه، وهذا ملائم مع معنى إبليس أي الامتناع عن الخيرات.

¹ - الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت، ج7، ص 202.

² - محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، إشراف خليل بنیان الحسون، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة ابن رشد، جامعة بغداد، العراق، 2005، ص 155.

³ - ينظر: محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، المرجع السابق، ص156.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

ب- المقطع الثالث (الخروج من الجنة) (الهبوط الأول):

قال عز وجل: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة، 36).

قال عز وجل: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الأعراف، 24).

1- مواضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
زيادة حرف	و	البقرة
	//	الأعراف

وردت الواو العاطفة في سورة البقرة وذلك في قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾، و لم يقع العطف

في سورة الأعراف و ذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾، فماسبب ذلك ؟

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (سياق النظم):

أ- سورة البقرة :

عطف الهبوط في سورة البقرة بحرف الواو، ولم يرد ذلك في سورة الأعراف، لأن ما في سورة

البقرة هو إخبار وإعلام عن هبوط آدم عليه السلام من الجنة، وهذا الحدث معطوف على

الأحداث التي سبقت قوله ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾، والمتمثلة في الإخبار بإسكان آدم عليه السلام الجنة

ووسوسة الشيطان لهما، وذلك في قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا

رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَزَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا

مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا¹، فعطف حدث الهبوط على حدث ارتكاب آدم وزوجه الزلل

¹ - سورة البقرة، الآيتان 35- 36.

وخروجهما من الجنة، وهذا التسلسل في سرد الأحداث، اقتضى ورود واو العطف للربط بين الأحداث في قوله ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾.

ب- سورة الأعراف:

وأما ما ذكر في سورة الأعراف فهو سرد للخطاب الذي دار بين الله عز وجل وآدم وزوجه عليهما السلام، بعد أكلهما من تلك الشجرة، وذلك في قوله تعالى ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ. قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾¹، ولم يستلزم هذا الخطاب الدائر بين الله عز وجل وآدم وزوجه عليهما السلام ورود حرف العطف (الواو)، في قوله ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾؛ لأنه خطاب متواصل ومتصل بعضه ببعض مفاده العتاب واللوم.

2- موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير صيغة	قلنا	البقرة
	قال	الأعراف

ورد الإعلام عن الأمر بالهبوط في سورة البقرة ﴿قُلْنَا﴾، و عدل بفعل القول في سورة

الأعراف من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب ﴿قَالَ﴾، فما سبب ذلك؟.

¹ - سورة الأعراف، الآيتان 22- 23.

التحليل استنادا على سياق النظم:

أ-سورة البقرة:

ورد في سورة البقرة فعل القول بصيغة المتكلم (قلنا)، إلخا وإتباعا لما تقدمها من ذكر فعل القول بصيغة المتكلم (قلنا)، و الوارد في قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة، 35).

ب-سورة الأعراف:

ذكر في سورة الأعراف فعل القول بصيغة الغائب (قال) في قوله تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، مطابقة لما ورد قبلها من إسناد الفعل إلى ضمير الغائب (قال)، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (الأعراف 12)، و ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ (الأعراف 13)، و ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَدْحُورًا﴾ (الأعراف 18)، قلما تقدم ذكر فعل القول مسندا إلى ضمير الغائب (قال) أربع مرات في سياق المقطع، لم يصح العدول عنه في الآية الخامسة، فقال: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

ج-المقطع الرابع (الهبوط إلى الأرض) (الهبوط الثاني):

قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة، 38).

قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه، 123).

1- موضع التشابه أ:

نوع التشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير صيغة	قلنا	البقرة
	قال	طه

ورد فعل القول مسندا الى ضمير المتكلم في سورة البقرة، و مسندا الى ضمير الغائب في سورة طه، فماسب التغيير بين الصيغتين؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم (المقطع):

ورد هذا التغيير في إسناد فعل القول تارة إلى المتكلم جلّ وعلا في سورة البقرة (قلنا)، وتارة أخرى بصيغة الغائب في سورة طه (قال)، وذلك بسبب ما تطلبه كل سياق، فورد في سورة البقرة فعل القول مسندا إلى ضمير الشأن (نا)، وذلك في قوله عزّ وجل ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾، اتصالا ومواصلة للكلام المتقدم في الآية الكريمة ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾¹.

أما ما ورد في سورة طه من إسناد فعل القول إلى ضمير الغائب، في قوله تعالى ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾، لملاءمة ما طوي و حذف من خطاب الله عز وجل لآدم عليه السلام، ومعاتبته إياه على ارتكابه للخطيئة، وطلب آدم المغفرة وطمعه في توبة الله عز وجل عليه، واكتفى بسرد الحديث عن هذه المحاورة بصيغة الغائب، وذلك في قوله تعالى ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾²، فاقضى هذا الحديث عن أمر الهبوط بصيغة الغائب، فقال ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

¹ - سورة البقرة، الآية 36.

² - سورة طه، الآيتان 121-122.

2- موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع التشابه اللفظي
البقرة	اهبطوا	إبدال ضمير
طه	اهبطا	

وقع أمر الهبوط على (ضمير الجمع) في سورة البقرة، وضمير المثنى في سورة طه، فما سبب اختلاف المعنيين في الهبوط مع أن القصة واحدة؟.

التحليل استنادا إلى سياق المقطع:

أ-سورة البقرة:

لما كان الأمر بسكون الجنة والأكل منها ف سورة البقرة موجهة إلى آدم وزوجه بضمير المثنى، وذلك في قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾¹، أتى بعدها الأمر بالهبوط متعلقا بآدم وزوجه عليها السلام وإبليس اللعين، فأضاف إلى (آدم، حواء) اللذين عبر عنهما في قوله (كُلَا) بضمير المثنى، عنصرا آخر هو إبليس اللعين، فعدل عن المثنى إلى الجمع، وجاء أمر الهبوط متعلقا بآدم وزوجه وإبليس، ولهذا قال تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾، للتدليل على آدم وزوجه عليهما السلام وإبليس اللعين.

ب-سورة طه:

أما المذكور في سورة طه، فكان الأمر بسكون الجنة والتمتع بها موجهة إلى آدم عليه السلام - على وجه الخصوص - بوصفه القائد والحاكم وبيده العصمة، وكان الخطاب موجهة له، والحديث وارد عنه دون الإشارة إلى زوجته، وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى. فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا

¹ - سورة البقرة، الآية 35.

يَبْلَى¹، فكان آدم عليه السلام المخطئ - الأول - بوصفه القائد، فنتج عن ذلك أن يكون أمر الهبوط موجها إليه - أولا - بصفته المتحكم، إضافة إلى إبليس اللعين صاحب الوسوسة والمكيدة الشريرة، فجاء فعل الأمر بالهبوط بصيغة المثني في قوله ﴿اهْبِطَا﴾، للدلالة على آدم عليه السلام وإبليس اللعين.

3- موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
البقرة	//	حذف جملة
طه	بعضكم لبعض عدو	

حذف قوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في سورة البقرة، و حذف ذلك في سورة طه، فما سبب الحذف و الذكر الواقع في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

يعلل الغرناطي سبب ورود قوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في سورة طه، وحذفها في سورة البقرة « اكتفاءً بما في الآية قبلها، وهي قوله ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾*، فلو قيل ذلك في الآية التي بعدها مع الاتصال والتقارب، كان تكرار لا يحرز منه فائدة»²، فحذف قوله ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في سورة البقرة بسبب تقدم ذكره، وتجنبنا للتكرار الذي لا طائل منه، ولما لم يتقدم ذكر ذلك في سورة طه، وردت زيادة قوله ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، حسب ما اقتضاه السياق العام.

¹ - سورة طه، الآيات 118 - 120.

* - ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة، 36).

² - الغرناطي، ملاك التأويل، م.م.س، ج1، ص150.

4- موضع التشابه د:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير صيغة	تبع	البقرة
	اتبع	طه

ورد إتباع الهدى في سورة البقرة بصيغة الفعل المجرد ﴿تَبِعَ﴾، و في سورة طه بصيغة الفعل المزيد ﴿اتَّبَعَ﴾، ويرجع فاضل صالح السامرائي سبب الاختلاف بين صيغتي المجرد والمزيد - مع العلم أن صيغة المزيد أقوى دلالة من صيغة المجرد- إلى « أن ما ورد في طه يتضمن أمرين مجاهدة الضلال في الدنيا والفوز في الآخرة، وآية البقرة تتضمن الفوز في الآخرة، والحالة الأولى تتطلب عملا أكثر وأشق فحاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للأمر الشاق، وجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف»¹.

فلما قال في سورة طه ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ استلزم ورود فعل ﴿اتَّبَعَ﴾؛ لأن قوله ﴿لَا يَضِلُّ﴾ يعني مجاهدة النفس، و مجاهدة المغريات والمعاصي الدنيوية المؤدية إلى الضلال -كشرب الخمر مثلا-، ويعني قوله ﴿لَا يَشْقَى﴾ فوزا في الآخرة، ودليل ذلك ما تقدمه في بداية القصة ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾²، فلزم زيادة التعب في مجاهدة الضلال والعمل على الفوز بالآخرة قوله ﴿تَبِعَ﴾، الدالة على المبالغة والزيادة في التوكيد.

أما ما ورد في سورة البقرة فكان مقتصرًا على الفوز بالجنة، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ أي لا خوف عليهم بسبب فوزهم بالآخرة ولا يحزنون فيها، لأن الآخرة مغاز المؤمنين فلا يحزنون فيها، ولهذا قال ﴿تَبِعَ﴾ ليقصر على أمر الفوز بالآخرة.

¹ - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، م.م.س، ص 294.

² - سورة طه، الآية 117.

3-امتناع إبليس اللعين عن السجود:

امتنع إبليس اللعين عن الاستجابة لأمر الله عزوجل، و المتمثل في السجود لآدم عليه السلام، استكباراً منه وحسداً للمكانة الشريفة التي منحها الله عزز وجل لأبي البشرية "آدم عليه السلام".

أ- المقطع الأول: الإعلام بعدم سجود إبليس.

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة، 34).

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف، 11).

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر، 31).

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء، 61).

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف، 50).

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي﴾ (طه، 116).

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص، 74).

ورد الإعلام والإخبار بأمر امتناع إبليس اللعين عن السجود لآدم عليه السلام في عدة مواطن بصيغ مختلفة، تزيد في بعضها وتنقص في أخرى، فما سبب هذا الاختلاف في الحكمي، و القصة واحدة ؟.

أ-سورة البقرة:

إن سورة البقرة هي الوحيدة التي ذكر فيها امتناع إبليس عن السجود بثلاثة تعابير (أبي، استكبر، كان من الكافرين)، على عكس المواطن الأخرى التي اكتفي فيها بذكر أمر الامتناع بتعبير أو تعبيرين، و ورود هذا التفصيل في التعبير (أبي، استكبر، وكان من الكافرين) عائد إلى:

1أ- سياق النظم (سياق المقطع):

إن سورة البقرة هي أكثر السور التي حكت قصة بداية خلق آدم عليه السلام بتفصيل واضح وإطناب مبین، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾¹.

فزيادة التفصيل في السرد و الإطناب في الحكي، و المتمثل في إرادة الله عز وجل في جعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض، ومناقشة الملائكة لله سبحانه وتعالى، وتعليم آدم عليه السلام الأسماء وإعلامه للملائكة بماهية الأسماء، والأمر بالسجود، ناسبه -هذا التفصيل والإطناب في السرد -زيادة في تفصيل ذكر أمر امتناع إبليس اللعين عن السجود، فقال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

2أ- الغرض من سرد القصة (سياق الموقف):

يتمثل الغرض والهدف من سرد قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في نقطتين:

-أولا: بيان تفضيل وتكريم آدم عليه السلام من بين كل المخلوقات لجعله خليفة على الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وتعليمه الأسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود له، فقابل زيادة التفضيل والتكريم لآدم عليه السلام، زيادة ومبالغة في التصريح بامتناع إبليس اللعين عن السجود له - حسداً وغيره-.

¹ - سورة البقرة، الآيات 30- 33.

-ثانيا :توبيخ بني إسرائيل الذين استكبروا وكفروا وقتلوا الأنبياء بغير حق، فكانت قصة امتناع إبليس اللعين عن السجود لآدم عليه السلام مثلا مسقطا، على ما فعله بنو إسرائيل من إبتائهم وامتناعهم عن تصديق الرسول (صلى الله عليه و سلم)، واستكبارهم عليه، وهذا الاستكبار جعلهم يدخلون في زمرة الكفار، فقصة إبليس اللعين ما هي إلا مرآة عاكسة لقصة بني إسرائيل مع الرسول (صلى الله عليه وسلم).

أ3- زمن النزول (سياق الموقف):

إن سورة البقرة هي آخر سورة - نزولاً- ذكرت فيها قصة خلق آدم عليه السلام بعد ست سور مكية، ولهذا جمعت بين التعابير المذكورة في سورة متفرقة و مواطن مختلفة، وذكرت في آية واحدة جمعت كل الصيغ في قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

وقوله ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ هي نتيجة حاصلة لاستكباره¹ ؛ بمعنى أنه لما استكبر عن السجود دخل في زمرة الكافرين، وهذه النتيجة ذكرت في سورة البقرة لأنها آخر سورة سردت فيها قصة آدم عليه السلام، فصرح بالنتيجة التي حصلت عن استكبار إبليس اللعين، وامتناعه عن السجود الوارد في السور المكية التي نزلت قبلها، والمتمثلة في كونه (كافرا).

ب-سورة الأعراف:

التحليل اعتمادا على سياق المقطع :

ذكر قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ بهذا الإيجاز تناسبا مع الإيجاز في سرد قصة خلق آدم عليه السلام، والإجمال في سرد تفاصيل بداية الخلق لآدم عليه السلام، والاكتفاء بقوله تعالى ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾²؛ إذ أن المقصود من سرد القصة

¹ - ينظر: طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م.م.س، ج1، ص 60.

² - سورة الأعراف، الآية 11.

- هنا - هو ذكر مراحل خلق الجنس البشري ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾، فاقتضى الإجمال في السرد إيجازاً في التصريح بامتناع إبليس اللعين عن السجود، وذلك بقوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

إن ما حذف من الإباء والاستكبار في قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ذكر ضمناً في قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾¹، فقوله ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ دال على إباء إبليس عن السجود، وقوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ دال على الاستكبار، فما صرح في سورة البقرة في قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ﴾ ذكر هنا - في سورة الأعراف - ضمناً في قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، و﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

ج-سورة الإسراء:

التحليل اعتماداً على غرض القصة (سياق الموقف):

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء، 61)

يذكر طاهر بن عاشور أن هذه الآية وردت « في سياق تذكير النبي (ص) بما لقي الأنبياء قبله من معاندة الأعداء والحسدة من عهد آدم عليه السلام، حين حسده إبليس على فضله، وأنهم لا يعدمون مع ذلك معترفين بفضلهم وهم خيرة زمانه كما كانت الملائكة نحو آدم عليه السلام، وأن كلا الفريقين في كل عصر يمت إلى أحد الفريقين الذي في عهد آدم، فلفريق الملائكة المؤمنون ولفريق الشيطان الكافرون»²، فالمقصود من ذكر الآية الكريمة هو التخفيف على النبي صلى الله عليه وسلم

¹ - سورة الأعراف، الآية 12.

² - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م.م.س، ج15، ص 149.

وتسليته، وذلك بذكر ما لقيه الأنبياء من قبله من عداوة وحسد، وذلك ابتداءً من أبي البشرية آدم عليه السلام.

فلم يكن الغرض-هنا- من الحكاية التعريف بقصة آدم عليه السلام، وإنما ورد ذكرها كمثال على ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم من تكذيب وعداوة الكفار له، ولهذا اتسمت القصة - هنا- بالإيجاز، فتم الاختصار على قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، والواضح أن ما بعدها من قوله ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ جملة مستأنفة « استئنفاً بيانياً لأن استثناء إبليس من حكم السجود لم يعد أكثر من عدم السجود، وهذا يثير في نفس السامع أن يسأل عن سبب التخلف عن هذا الحكم منه، فيجاب ما صدر عنه حيث الاتصاف بعدم السجود إنه عصيان لأمر الله ناشئ عن جهله وغروره»¹.

و ما أجمل في قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ صرح به بعده في قوله ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، الدال على معنى الاستكبار والاستعلاء، وهذا المعنى تلاءم وتناسق مع الغرض الذي من أجله سردت القصة، والمتمثل في تفرغ الأعداء والمستكبرين عن كلمة الحق، واستعلائهم على النبي صلى الله عليه وسلم، وتكذيبهم للرسالة المحمدية الشريفة .

د-سورة الكهف:

التحليل اعتماداً على غرض السرد (سياق الموقف):

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف، 50).

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م.م.س، ج15، ص 151.

يشرح ابن كثير معنى قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ قائلاً: «أي خانته أصله فإنه خلق من نار، وأصل خلق الملائكة من نور (...)، فعند الحاجة نضج كل وعاء بما فيه؛ أي خانته الطبع عند الحاجة، ولهذا أدخل في خطابهم وخص بالمخالفة»¹، فاتبع إبليس اللعين هواه واغتر بأصله، فأدى به ذلك إلى ارتكاب المعصية.

وذكرت قصة استكباره بهذه الصيغة ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، لتلاءم وتناسب مع ما تقدم من الآيات الدالة على «التذكير بعواقب إتباع الهوى والإعراض عن الصالحات وبمداحض الكبرياء واحتقار الفضيلة والابتهاج بالأعراض»²، فنطلب الغرض العام للسورة ورود القصة بهذا التعبير الخاص، للتدليل على أن إتباع الشيطان واتخاذ ولياً لا ينتج عنه سوى الخسارة في الدنيا والآخرة، ولو ينفع الافتخار بالأعراض والأنساب شيئاً، لنفع ذلك إبليس حينما تكبر وتفاجر بأصله كونه من صنف الجن، ولهذا اتبع الله عز وجل الآية الكريمة بقوله ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، فكما كان عدواً لأبيكم آدم عليه السلام فهو عدو لكم ولجميع البشرية.

هـ- سورة طه:

التحليل اعتماداً على سياق النظم:

ورد إباء إبليس عن السجود مختصراً ومقتصراً في سورة طه في قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، بسبب ما اقتضاه الإجمال والإيجاز في سرد القصة؛ إذ لم تذكر - هنا - قصة الخلق على عكس ما ورد في سور الحجر، ص، البقرة، الأعراف، بل كانت بدايةً لسرد القصة بالأمر بالسجود، وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ (طه، 116)، إضافة إلى

¹ - ابن كثير، عمدة التفسير، م.م.س، ج2، ص ص 479 - 480.

² - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج15، ص341.

الفصل الثاني..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة آدم عليه السلام

حذف القسم الخاص بمجادلة إبليس اللعين، والاكتفاء بذكر غضب الله عليه، وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾¹، فلزم هذا الإيجاز والطي اختصاراً في سرد ما وقع من أمر إبليس اللعين في قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي﴾.

أما اختصاص الآية بقوله ﴿أَبِي﴾ دون كلمات أخرى مثل (استكبر)، مراعاة للفاصلة القرآنية الواردة في هذه القصة: ﴿تَشَقَّى﴾، ﴿تَعْرِى﴾، ﴿تَضْحَى﴾، ﴿يَبْلَى﴾، ﴿غَوَى﴾، ﴿هَدَى﴾.

و- بين سورتي ص و الحجر:

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص، 74).

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر، 31).

-موضع التشابه:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
ص	استكبر وكان من الكافرين	إبدال جملة مكان جملة
الحجر	أبي أن يكون مع الساجدين	

وردت قصة آدم عليه السلام في سورتي ص والحجر بتعبير متشابه إلى حد بعيد، ولكنهما اختلفتا في ذكر امتناع إبليس اللعين عن السجود، فما سبب هذا الاختلاف في السرد؟.

يمكن الإجابة على هذا السؤال، أو توجيه هذا الموضوع من المتشابه اللفظي من زاويتين أو

وجهين:

¹ - سورة طه، الآية 117.

1- سياق النظم (سياق المقطع):

أ-سورة ص :

وردت كلمة ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ في سورة ص عوضا عن ﴿أَبَى﴾ الواردة في سورة الحجر؛ لأن الاستكبار هو أشنع وأفظع من الإباء والامتناع، وهذه الدلالة (دلالة الاستكبار) اقتضتها الآية التي تلتها، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾¹. ودل تعبير الأفضلية في قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ على الاستكبار أكثر منه على الإباء.

و لما ورد قوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ﴾ الدال على الزيادة في معنى التعظيم، وذلك في قوله عز وجل ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ﴾ قابله زيادة في التصريح بالاستكبار في قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، إضافة لما تقدمها من تصريح بأمر استكبار إبليس اللعين، الوارد في قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، فكان لفظ الاستكبار أنسب ورودا من لفظ الإباء، لما للأول من مبالغة في الامتناع والإباء عن السجود.

و لم يرد قوله ﴿أَبَى﴾ في آية سورة ص، لأن ما تلتها من الآيات تضمنت معنى الإباء، ومنها قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ (ص، 75).

ب-سورة الحجر:

ذكر الامتناع في سورة الحجر بقوله ﴿أَبَى﴾ دون ﴿اسْتَكْبَرَ﴾؛ لأن السياق العام للمقطع تضمن معنى الإباء والاستعلاء، ومن ذلك قوله ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

¹ - سورة ص، الآيتان 75 - 76.

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ¹، فناسب كل كلام الموضوع الذي ورد فيه.

2- زمن النزول (سياق الموقف):

إن سورة ص هي أول سورة مكية نزلت فيها قصة آدم عليه السلام، واستكبار المشركين و استعلاؤهم وتفاخرهم بأنسابهم، نظير لما اتسم به إبليس اللعين من استكبار واستعلاء ومفاخرة بأصله، وذلك في قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، فورد قوله تعالى ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ لملاءمة ومناسبة تلك الصفات التي تميز بها المشركون في تلك الحقبة الزمنية، التي صاحبت الدعوة الإسلامية من استكبار وتفاخر و كفر، وكأن قصة استكبار إبليس اللعين هي إسقاط على قصة المشركين، لما يتصفون به من صفات إبليس اللعين (الاستكبار، الكفر).

فائدة:

لقد تقدم - أنفا - ذكر أن قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ هي نتيجة حاصلة عن استكبار إبليس اللعين، وأن هذه النتيجة ذكرت في أول سورة قصت حكاية آدم عليه السلام -وهي سورة ص-، وفي آخر سورة سردت نفس القصة -وهي سورة البقرة- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، فانظر إلى بديع القرآن وبيانه، وكيف تناسق ذكر نتيجة الكفر في الحكى الأول للقصة - في سورة ص- مع خاتمة القصة في آخر سورة نزولا التي ذكرت نفس النتيجة-سورة البقرة-، فتوافق السرد الاول في اول سورة نزولا مع السرد الاخير في اخر سورة قصت نفس الحكاية، في ذكر نتيجة الكفر .

¹ - سورة الحجر، الآيتان 32- 33.

ز- بين سورتي الحجر وطه:

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر، 31)

قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي﴾ (طه، 116).

موضع التشابه :

السورة	موضع التشابه		نوع التشابه اللفظي
الحجر	إلا إبليس	أن يكون مع الساجدين	زيادة جملة
طه	أبي	//	

ورد الأمر بالامتناع عن السجود في سورة الحجر بزيادة قوله تعالى ﴿أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ وسقطت هذه الزيادة في سورة طه، فما سبب ذلك؟.

التحليل استنادا إلى سياق المقطع (السياق المقالي):

إن ورود الزيادة في سورة الحجر اقتضاه السياق العام للآيات التي سبقت آية الامتناع، وذلك في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾¹، فقوله ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ تضمن توكيدا ومبالغة في الأمر بالسجود، وتلتها الآية الثانية التي تضمنت بدورها - أيضا - على تعبير توكيدي، يتمثل في قوله تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، فتطلبت هذه التراكيب التوكيدية -متقدمة الذكر- من قوله ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، و﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ زيادة في التعبير عن امتناع إبليس وتوكيده، وذلك في قوله ﴿أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

¹ - سورة الحجر، الآيتان 29- 30.

ولم يتقدم في سورة طه توكيد بالأمر بالسجود، و اكتفى بقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾، فراق هذا الاكتفاء اختصارا وإيجازا في الإفصاح عن إباء إبليس، بقوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾.

ب- المقطع الثاني: (توبيخ الله عز وجل لإبليس اللعين).

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف، 12).

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (ص، 75).

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر، 32).

1- موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	//	الزيادة والنقصان
الحجر، ص	يا إبليس	

خاطب الله عز وجل إبليس العين في سورتي الحجر وص بزيادة أداة النداء والمنادى (يا إبليس)، وحذفت هذه الزيادة في سورة الأعراف، فما سبب وقوع هذه الزيادة و النقصان في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (سياق النظم):

يوجه الغرناطي هذا الموضوع بإعمال سياق النظم لكل موطن، فيقول: « إنه لما تقدم في الأعراف ذكر خلق الإنسان وتصويره من غير المادة التي خلق منها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ والخطاب لبني آدم، ولم يذكر خلق غيرهم من ملك أو جن، (..) فسبق ظاهر الكلام أنه منهم ومأمور معهم لاستثنائه منهم (...). أما آية الحجر فقد تقدمها قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ إلى قوله ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ إشارة إلى أن إبليس ليس من الملائكة، وقد نطقت الآية أن الملائكة هم المأمورون بالسجود»¹.

فيعود سبب ورود الإضافة في سورة الحجر وسقوطها في سورة الأعراف - حسب الغرناطي- إلى ما ورد من تصريح بمادة خلق (الإنسان والجان) في سورة الحجر، وعدم التصريح بها في سورة الأعراف، مما يظهر أن إبليس - في سورة الأعراف- من الملائكة؛ لأنه لا يوجد في السياق -سياق المقطع- ما يبين غير ذلك.

ولكن هذا التحليل الذي أتى به الغرناطي لا يمكن إسقاطه على ما ورد من زيادة في سورة ص، إذ لم يسبق آية ص إظهارا لأصل خلق الجان، مثلما ورد في سورة الحجر.

والأظهر - والله أعلم- أن سبب وقوع الزيادة في سورتي ص والحجر لموافقة ما سبقها من توكيد في قوله تعالى ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾²، إذ تضمنت هذه الآية أمرا مبالغا في الوقوع بالسجود، فرافقت هذه المبالغة في الأمر عن طريق الصيغة التوكيدية توكيدا خطابيا مستنكرا، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ﴾، على عكس ما ورد في سورة الأعراف؛ إذ اقتصر فيه الأمر على فعل (اسجدوا) دون توكيد في الأمر بالسجود.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، م.م.س، ج1، ص488.

² - سورة الحجر، الآية 29؛ وسورة ص، الآية 72.

إضافة إلى هذا : وردت الزيادة في سورتي الحجر وص ملائمة للإطناب والتفصيل في ذكر ماهية خلق آدم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر،28)، وقوله ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (ص،71)، على عكس ما ورد في سورة الأعراف من حذف لماهية مادة خلق آدم عليه السلام وأصله، والاكتفاء بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الأعراف،11)، فناسب هذا الحذف لأصل خلق آدم عليه السلام حذفاً لأداة النداء والمنادى ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾.

و هناك توجيه ثالث يفسر سبب ذكر ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾ في سورتي الحجر وص وحذفها في سورة الأعراف، مفاده أنه لما كان مقام سورتي الحجر وص مقام تعريف وسرد لعصيان إبليس اللعين وتعجرفه، وردت الزيادة لتؤكد المعنى المساق له، والمتمثل في عصيان إبليس اللعين، ولما كان مقام سورة الأعراف مقام ذكر وتصريح بمراحل الخلق البشري، وذلك في قوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ ابتداءً من الخلق والتصوير ناسبه حذف ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾ مراعاة للمعنى العام لسياق المقطع (القصة).

كما أن التوكيد الواضح في سرد امتناع إبليس اللعين عن السجود في سورتي الحجر وص وذلك في قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر،31) و قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص،74) استلزم توكيدا على التوبيخ، وذلك بزيادة ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾، ولما اقتصر الإخبار عن امتناع إبليس عن السجود في سورة الأعراف دون توكيد أو مبالغة في السرد ، وذلك في قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف،11) لم يقتض ذلك زيادة في التفرع و التوبيخ، فحذف ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾.

2- موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	ألا	ما	الإدغام والفك
ص	أن	منعك	

سبق الفعل (تسجد) في سورة الأعراف في قوله ﴿أَلَا تَسْجُدُ﴾ ب (ألا*) (مدغمة)، وفي سورة ص ب(أن)، فما سبب هذا الاختلاف؟.

التحليل اعتماداً على غرض الكلام (سياق الموقف):

يوجه صالح عبد الفتاح الخالدي هذا الموضع بالرجوع إلى الهدف من السؤال في الآيتين، « فالسؤال في سورة ص كان عن المانع لإبليس عن السجود (...) و الدليل على أن السؤال هنا عن المانع له عن السجود قوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، فذكر الله سببين قد يكونا مانعين له عن السجود، أما السؤال الأول في الأعراف فكان معنى السؤال هو (ما أحوجك أن لا تسجد بعد إذ أمرتك بالسجود، أو ما ألبأك أن لا تسجد أو ما دعاك أن لا تسجد أو ما حملك على أن لا تسجد»¹.

فوجه صالح عبد الفتاح الخالدي هذا الموضع من المتشابه اللفظي استناداً إلى ما يرمي إليه كل سؤال، فكان السؤال في سورة ص سؤال تنقيب عن المانع عن السجود، أما السؤال الواقع في سورة الأعراف، فكان سؤال استنكار غايته التوبيخ والتقريع.

* - ألا: أصلها أن + لا، فأدغمت النون في اللام وصارت بعد الإدغام ألا: أن + لا ← ألا.

إدغام

¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، عمان، ط1، 2000، ص ص 183-184.

3- موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	إذ أمرتك	إبدال جملة بجملة
ص	لما خلقت بيديّ	
	تسجد	

قال تعالى في سورة الأعراف ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، و في سورة ص ﴿مَا مَنَعَكَ﴾، فما سبب هذا الاختلاف في الخطاب؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (سياق النظم):

يعزو الغرناطي سبب الاختلاف في الجملتين بعد قوله ﴿تَسْجُدْ﴾ في سورتي ص والأعراف، إلى ما سبق هذه الأخيرة من عدم التصريح في كون إبليس من غير جنس الملائكة، فكان الأمر بالسجود في هذه السورة - سورة الأعراف - للملائكة متضمنا إبليس؛ لأن « ظاهر الكلام أنه منهم ومأمور معهم لاستثنائه منهم، فناسب هذا قوله ﴿مَا مَنَعَكَ﴾، وعضد ما قلناه قوله ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾¹.

فلما تقدم في سورة الأعراف أن الأمر بالسجود متعلق بالملائكة وإبليس من غير تفريق بين الجنسين، أتبع ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، تدليلا وتعظيذا على أن أمر السجود مختص بالملائكة وإبليس، وتبين أن إبليس اللعين كان مأمورا مع الملائكة في أمر السجود.

و هناك توجيه آخر مفاده أنه لما كان السؤال في سورة الأعراف - كما تقدم - في قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ سؤال استنكار، تابعه قوله ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ للتأكيد على الصفة الاستنكارية، وعلى توبيخ الله عز وجل لإبليس العين بسبب امتناعه عن السجود.

¹ - الغرناطي، ملك التأويل، م.م.س، ج1، ص488.

أما ما ورد في سورة ص في قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ أُسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِيْنَ﴾، فأتبع قوله ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ بقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ﴾، تناسقا وملاءمة مع ما تقدّم من قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾¹؛ فقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ﴾ تدل على تفضيل الله عز وجل لآدم عليه السلام على سائر المخلوقات، و ورد هذا التفضيل مقابلة لما سبق من سرد استكبار واستعلاء إبليس ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾، ودليل ذلك ما أتبعه الله تعالى في قوله ﴿أُسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِيْنَ﴾، فجاء قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ﴾ للزيادة في تشریف آدم عليه السلام -والذي خلق من مادة مهينة (طين)- وتعظيمه، و لمقابلة دلالة الاستكبار والاستعلاء في قوله تعالى ﴿أُسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِيْنَ﴾.

4- موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع التشابه اللفظي
الحجر	ما لك ألا تكون مع الساجدين	إبدال جملة بجملة
ص	ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي	

أتبع قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ﴾ بقوله ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِيْنَ﴾ في سورة الحجر، و بقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ﴾ في سورة طه، فما سبب هذا الإبدال في تنمة الكلام؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم (سياق المقطع):

يفسر الغرناطي سبب ورود قوله تعالى ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِيْنَ﴾ في سورة الحجر بسبب ما تقدمه من إعلام أن إبليس اللعين لا ينتمي إلى جنس الملائكة، وذلك عن طريق ذكر أصل

¹ - سورة ص، الآية 73.

خلقه، في قوله تعالى ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر، 26)، وما تلا من مبالغة في الأمر بالسجود في قوله ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر 29)، « فأشارت الآية بظاها أن إبليس ليس من الملائكة، وقد نطقت هذه الآية أن الملائكة هم المأمورين بالسجود (...) فلما لم يكن في أصل الخلقة والمادة منهم وكان الأمر بظاهر العبارة وإن كان مراد أنه معهم فبحسب هذا قيل له ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾¹.

فكان سبب ورود قوله ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ في سورة الحجر لتوضيح أن الأمر بالسجود شمل إبليس أيضا، وإن لم يكن ينتمي إلى جنس الملائكة، لاختلافه عنهم في أصل الخلقة، الوارد في قوله تعالى ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾.

أما ما وقع في سورة ص من قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أُسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، فورد ذلك مناسبة لما تقدم في قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾²، فالاستكبار عن السجود تابعه سؤال عن سبب الاستكبار عن السجود، ولذلك قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أُسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾.

لم تتوقف معصية إبليس اللعين لدى عدم امتثاله و انصياعه لأمر السجود، وإنما تهادى في مجادلتة الله عز وجل، واستكباره عن الاعتراف بمعصيته، وتوعده بتضليل آدم عليه السلام وذريته جمعاء، وهذا ما سيتم تناوله بالتحليل والتوجيه فيما يلي.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، م.م.س، ج1، ص488.

² - سورة ص، الآية 74.

4- خطاب الله عز وجل مع إبليس اللعين:

وبَّخَ اللهُ سبحانه وتعالى إبليس اللعين على امتناعه عن السجود، واستكباره عن الاعتراف بذنبه، وزاد اللعين في عناده ومجادلته لله عز وجل، فتم طرده من الجنة ووقوع اللعنة عليه .

أ-المقطع الأول: مجادلة إبليس واستكباره.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف، 12)

قال تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر، 33).

قال تعالى: ﴿قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء، 61).

قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص، 76).

1- موضع التشابه أ (التغيير في الصيغ):

نوع التشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
إبدال جملة مكان جملة	أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين	الأعراف، ص
	لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال	قال الحجر
	أسجد لمن خلقت طينا	الإسراء

اختلفت إجابة إبليس اللعين باختلاف المواضع التي وردت فيها، فقال في سورتي الأعراف

وص: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، وفي سورة الحجر: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾، وفي سورة الإسراء: ﴿أَسْجُدْ

لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، فما سبب اختلاف الإجابات مع اتحاد القصة؟.

التحليل استنادا إلى سياق المقطع:

يعود سبب اختلاف الاجابات في السور إلى اختلاف سياق كل آية، والمعنى المراد من سياق كل مقطع، و يتوضح ذلك فيما يلي :

أ-سورتا الأعراف و ص :

صرّح في سورة الأعراف بعبارة الأفضلية ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ نظرا لما تطلبه من تقدم ذكر الخطاب الاستنكاري، المتمثل في قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، فزيادة قوله ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾-والذي مفادها التقريع والتوبيخ- قابلتها زيادةً في الاستكبار والاستعلاء، الواردة في قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾.

و نظير ذلك ما ورد في سورة ص في قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ للتدليل والتمثيل على استكبار إبليس، الوارد في الآية المتقدمة وذلك في قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾¹، و وردت -أيضا- إجابةً على السؤال الاستنكاري في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، فأجابه إبليس بسبب امتناعه عن السجود بقوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، الدال على الاستكبار والاستعلاء، مناسبة وملاءمة لما تقدم هذه الآية من تصريح باستكبار إبليس واستعلائه.

ب-سورة الحجر:

كان جواب إبليس اللعين في سورة الحجر متمثلا في قوله ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، وتضمنت هذه الآية « معنى الجحود وهو أسبق في النفي من

¹ - سورة ص، الآية 74.

(لأسجد)¹، فكان قوله ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ﴾ متناسقا وملائما لما تقدمه في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر 32)، وجملة ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ﴾ أبلغ دلالة وأوكد معنى من قوله (لن أسجد)، فوردت هذه الزيادة في المعنى متناسقة مع ما تقدمها من تراكيب لغوية مؤكدة ومبالغة، وذلك في قوله ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر 29)، وقوله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر 30)، وقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر 31).

ج-سورة الإسراء:

كانت إجابة إبليس اللعين في سورة الإسراء متمثلة في قوله ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، و لما وردت القصة - هنا- موجزة بجملة، وذلك بحذف فعل عدم السجود والاكتفاء بقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ناسبها إيجازا في الجواب، فقال: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، على عكس سورة الحجر التي تضمنت معنى الجحود، فاكتفى بقوله ﴿أَسْجُدْ﴾ دون توكيد أو مبالغة في سرد الإباء، بسبب ما تطلبه الإيجاز والإجمال في الحكيم، الذي ميز مقام سرد القصة في سورة الإسراء.

2- موضع التشابه ب: (الاختلاف في ذكر أصل خلق آدم):

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف، ص، الإسراء	طين / طينا	إبدال كلمة بكلمة
الحجر	صلصال من حمأ مسنون	

اختلفت الآيات السابقة في ذكر أصل خلق آدم عليه السلام، وذلك في جواب إبليس اللعين، فقال في سورة الحجر: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾، وفي سورتي الأعراف وص: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، وفي سورة الإسراء:

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م.م.س، ج1، ص 46.

﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، فما سبب الاختلاف في ذكر مادة خلق آدم عليه السلام و القصة واحدة؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (سياق النظم):

أ-سورة الحجر :

ورد وصف مادة خلق آدم عليه السلام في سورة الحجر ﴿صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ﴾، على عكس ما ورد في سور الأعراف، ص، الإسراء من قوله (طين)، بسبب « تقدم قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر، 28)، ولعل إيثار هذا أيضا على أن يقول (الطين)؛ لأن مبدأ خلق الإنسان هنا قوبل بمبدأ خلق الجان، ولما قال في خلق الجان ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ ناسب أن يكون المقابل له: ﴿صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ﴾؛ لأن الطين إذ قوبل بالنار حذق وييس وسمع له صوت»¹.

فاقتضى تقدم ذكر أصل مادة خلق الإنسان وأبي البشرية آدم عليه السلام ﴿صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ﴾ ذكر نفس مادة الخلق في قوله تعالى ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ﴾، توافقا وتناسبا مع السرد العام للقصة الواقعة في سورة الحجر .

ب-سورتا الأعراف وص:

ذكر قوله ﴿خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ بلفظ (طين) لسببين أو وجهين:

أولاً: إن النار هي أصل خلق الجان، والطين هو أصل خلق الإنسان، فوقع لفظ (طين) في سورتي الأعراف وص لمقابلة النار، فلما تقدم قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾ حسن مقابله بلفظ (طين) في قوله ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، وذلك لحدوث مقابلة في أصلي الخلق (الجان والإنسان).

¹ - المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، م.م.س، ج1، ص 354.

ثانياً: ذكرت كلمة (طين) في سورة الأعراف بسبب ما تقدمها من ذكر مراحل الوجود الإنساني، و ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾¹، فكان الأنسب ذكر أصل خلق الإنسان المتمثل في (الطين)، حتى تكتمل صورة وجود الإنسان، الذي خلقه الله عز وجل من طين وصوره في أحسن تصوير.

وذكر في سورة ص ﴿خَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾ بلفظ (طين) لمناسبة ما تقدمها من قوله ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾²، فلما سبق الإعلام أن آدم عليه السلام خلق من طين في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾، صاحبه وتابعه قوله ﴿وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾، الذي يدل على استكبار إبليس عن السجود لآدم عليه السلام كونه خلق من طين.

ج-سورة الإسراء:

وقع في سورة الإسراء قوله: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، و وردت القصة - هنا - تذكيراً « للنبي (ص) بما لاقاه الأنبياء قبله من معاندة الأعداء والحسد منذ عهد آدم، حين حسده إبليس اللعين على فضله»³، وكأن القصة هنا إسقاط على ما عاناه الرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب وتكبر المشركين عليه بزعمهم أنهم أفضل منه نسبا وأغنى مالا، فالرسول صلى الله عليه وسلم بالرغم من فقره كرمه الله سبحانه وتعالى وشرفه بتحميله الرسالة السماوية، كما حصل ذلك مع آدم عليه السلام، الذي بالرغم من خلقه من مادة مهينة (طين)، إلا أن الله عز وجل فضله على سائر المخلوقات وشرفه وكرمه بسجود الملائكة له.

¹ - سورة الأعراف، الآية 11.

² - سورة ص، الآية 71.

³ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م.م.س، ج15، ص 149.

ولهذا ذكر (طينا) والتي هي أصل خلق الإنسان للدلالة على أن العبرة ليس بأفضلية النسب أو أصل الخلق، وإنما في طاعة الله عز وجل والإيمان به، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»¹.

ب- المقطع الثاني: الطرد.

قال تعالى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف، 13).

قال تعالى: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا﴾ (الأعراف، 18).

قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (الحجر، 34).

قال تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (الإسراء، 63).

قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (ص 77).

1- موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
إبدال كلمة بكلمة	فاهبط	الأعراف 13
	اذهب	الإسراء
	فاخرج	الحجر، ص
	اخرج	الأعراف 18

¹ - مسلم، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت، ج 4، ص 1986، رقم/2564.

اختلف التصريح بالطرد من آية لأخرى، فقد ورد بفعل (الهبوط) في سورة الأعراف - الآية الثالثة عشر-، و(الذهاب) في سورة الإسراء و(الخروج) في سورتي الحجر وص والآية الثامنة عشر من سورة الأعراف، فما سبب هذا الاختلاف في الكلام والمطرود واحد؟.

التحليل استناداً إلى السياق المعجمي و سياق الآية (سياق النظم):

أ- الهبوط:

قال تعالى في الآية الثالثة عشر من سورة الأعراف ﴿فَاهْبِطْ﴾ لملاءمة ما ذكر من استكبار إبليس عن السجود لآدم عليه السلام، و الوارد في قوله تعالى ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾¹، فكان جزاء تكبره هبوطه من الجنة، والهبوط هو « الانحدار على سبيل القهر»²، فقابل استكبار إبليس عن السجود هبوط شأنه، ودليل ذلك قوله ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، و الوارد في قوله تعالى ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، فلما صرح باستكبار إبليس للعين واستعلائه وتفاخره بأصل خلقه، في قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ قابل كل ما سبق إعلاننا بالهبوط، الذي هو انحدار يعاكس استعلاء إبليس، وذلك بهبوط شأنه إلى أسفل السافلين.

ب- الخروج:

صرح الله عز وجل بطرد إبليس اللعين في سورتي الحجر وص بقوله ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، والخروج بمعناه اللغوي « خرج خروجاً: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره دار أو بيت أو بلد أو ثوبا، أو سواء كان حاله في نفسه أو في أسبابه الخارجية، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا

1 - سورة الأعراف، الآية 12.

2 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، م.م.س، ج2، ص 220.-(مادة هبط).

يَتَرَقَّبُ ﴿ (القصص 21)﴾¹، فلا يكون الخروج إلا لسبب معين في حال المخرج، أو صفة ملازمة له وملاصقة له، وهذا يعني أن الخروج يذكر ملازما لوصف معين، أو حالة مقترنة بنفس المخرج وذاته وحاله.

والآيات التي ذكر فيها خروج إبليس اللعين صاحبها ذكر صفات اقترنت بإبليس ولازمته، و من ذلك ما ذكر في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ الوارد في سورتي الحجر و ص، فلما ذكرت صفة الرجم في قوله ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ - مع العلم أن الرجم صفة ملازمة لإبليس إلى الأبد- ناسبه ذكر فعل الخروج، الذي لا يكون إلا لسبب معين، وحال ملازم للمخرج و نفسه، وهذه الحال وردت في قوله ﴿رَجِيمٌ﴾.

ونظير ذلك ما ورد في الآية الثالثة عشر من سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، فلما وصف إبليس اللعين بالصغر في قوله ﴿مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ تصغيرا و إذلالا له، ناسبه ذكر فعل أخرج في قوله: ﴿فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

وقس ذلك على ما ورد في قوله تعالى ﴿ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا﴾ (الأعراف 18)، فلما قرن إبليس اللعين بصفتي (الذأم والدحر)، تطلب ذلك ورود فعل الخروج، الذي لا يتم إلا بسبب حال في المخرج، أو صفة ملازمة ما، وهي هنا (الذأم والدحر).

والطرد بقوله (أخرج) أقوى دلالة وأبلغ معنى من قوله (فاهبط)، فجاءت هذه القوة في التصريح بالطرد متناسقة مع الصفات التي اقترنت بإبليس اللعين (إنك من الصاغرين/ رجم/ مذؤوما/ مدحورا).

¹ - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، م.م.س، ج1، ص 192 (مادة خرج).

ج- الذهاب:

قال تعالى في سورة الإسراء معلنا عن طرده لإبليس اللعين: ﴿اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (الإسراء، 63).

يفهم من السرد العام للقصة في هذه السورة أن هذه الآية وقعت بعد طرد إبليس اللعين، وذلك ظاهر في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا. قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَكِنَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹، وتوعد إبليس اللعين باحتناك ذرية آدم عليه السلام صادر بعد طرده من الجنة، ومنه فإن قوله ﴿اذْهَبْ﴾ لا يعني الطرد من الجنة، إنما يعني إجابة طلب الإنظار*، والذي صرح به في سورتي الحجر و ص في قوله تعالى ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾².

وقوله تعالى ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾³، يعضد ما ذهبنا إليه من أن قوله ﴿اذْهَبْ﴾ يعني إجابة طلب الإنظار، لا الطرد من الجنة، فقال: ﴿اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ﴾؛ أي (اذهب وافعل ما استطعت من توعذك لذرية آدم عليه السلام).

2- موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف 13	فاخرج	الحذف والذكر
الحجر، ص		منها

¹ - سورة الإسراء، الآيتان 61- 62.

* - سينم تناول هذا القسم من القصة في المقطع الرابع الموسوم ب (طلب الإنظار).

² - سورة الحجر الآية 37، وسورة ص الآية 80.

³ - سورة الإسراء، الآية 64.

ذكرت ﴿مِنْهَا﴾ في سورتي الحجر و ص في قوله: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، وحذفت في سورة الأعراف في قوله: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، فما سبب هذا الحذف؟

التحليل اعتمادا على سياق الآية:

أ-سورة الاعراف:

تم حذف ﴿مِنْهَا﴾ في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، لتقدم الإعلام أن الطرد كان من الجنة، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾¹، ثم اتبع الأمر بالطرد من الجنة قوله ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، فلما سبق التصريح في أول الآية بأن المكان المخرج منه هو الجنة بقوله ﴿مِنْهَا﴾، حذف هذا التصريح في قوله تعالى ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ اكتفاءً بما تم ذكره سابقاً.

ب-سورتا الحجر و ص :

ذكر ﴿مِنْهَا﴾ في سورتي الحجر و ص في قوله تعالى ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، لعدم تقدم الإخبار بالمكان المطرود منه، والمتمثل في الجنة، فقال: ﴿مِنْهَا﴾ للإعلام أن خروج إبليس اللعين كان من الجنة.

3- موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف 13	إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ	إبدال جملة
الحجر، ص	فإنك رجيم	
الأعراف 18	مذؤوما مدحورا	

¹ - سورة الأعراف، الآية 13.

اختلفت الصفات التي لازمت إبليس اللعين، والتي تمثلت في: (إنك من الصاغرين، فإنك رجيم، مذؤوما مدحورا)، فما سبب اختلاف ذكر الأحوال والمعني بالحال واحد؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

أ- ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾:

اتبع أمر الخروج في سورة الأعراف بقوله تعالى ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف13)، تحقيرا وإذلالا لإبليس اللعين وتصغيرا من شأنه، وأتى هذا الوصف -﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾- جزاءً على استكباره وتفاخره بأصله، الوارد في قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾¹، ولما قال عز وجل: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، أتبعها بتحقير إبليس وتصغير شأنه، فقال: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، ولهذا قابلت دلالة الاستعلاء والاستكبار دلالة التصغير والتحقير.

ب- ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾:

أتبع أمر الخروج الوارد في سورتي الحجر و ص قوله ﴿رَجِيمٌ﴾، الوارد في قوله ﴿فَاخْرُجْ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، ومعنى الرجيم «المطرود عن الخيرات وعن الملاء الأعلى»²، فالطرد هنا لم يكن من الجنة فحسب، وإنما من كل ما له صلة بالخير والإحسان. وبذلك يكون قرار الطرد - هنا- أعنف مما ورد في سورة الأعراف.

والزيادة في التحقير والطرود والإذلال الواردة في سورتي الحجر و ص اقتضاها ما ورد في السورتين من التوكيد في الأمر بالسجود، والمبالغة في الانصياع له، وذلك في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ

1 - سورة الأعراف، الآية 12.

2 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، م.م.س، ج1، ص 252 (مادة رجم).

فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ¹، فلما زاد في تشریف وتكریم آدم عليه السلام، ومنحه تلك المكانة العظيمة في قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، والمبالغة في أمر السجود له ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، لزم ذلك زيادةً في تحقير إبليس وتصغيره، نكالا له على استكباره وامتناعه عن السجود فقال: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

و قوله ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أوكد معنى من قوله: (فإنك من المرجومين)، فتناسب هذا التوكيد والمبالغة في الطرد مع دلالة التشریف والتعظيم والتكریم، التي وهبها الله عز وجل لآدم عليه السلام، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

و كان الوصف أقل حدة وأخف شدة في سورة الأعراف تناسبا مع عدم التوكيد، والمبالغة في الأمر بالسجود، في قوله تعالى ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ (الأعراف، 11)، وعدم التصريح بالتشریف الواقع في سورتي الحجر وص ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، فاكتفى بذلك بقوله في سورة الأعراف ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، والتي هي أخف وقعا من قوله ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

ج- ﴿مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾:

أردف الأمر بالطرد من الجنة في سورة الأعراف قوله تعالى ﴿اُخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ (الأعراف 18)، وهذا الكلام صدر بعد ما جرى من تواعد إبليس اللعين بإغواء ذرية آدم عليه السلام وتضليلها، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾².

¹ - سورة الحجر، الآية 29؛ سورة ص، الآية 72.

² - سورة الأعراف، الآيتان 16-17.

فتصميم إبليس اللعين على المعصية وإصراره في المضي في ضلاله، وتأكيدده على توعده بتضليل ذرية آدم عليه السلام - حسداً منه - اقتضى زيادةً في التوكيد على أمر الطرد، بقوله تعالى ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾، فأكد الله عز وجل للمرة الثانية على طرد إبليس من الجنة، وصاحب هذا التوكيد في أمر الطرد نكالا أشد وأعنف لإبليس اللعين بقوله ﴿مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾، جزاءً له على توعده المبالغ فيه بتضليل ذرية آدم عليه السلام.

ج- المقطع الثالث: وقوع اللعنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر، 35).

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (ص، 78).

موضع التشابه:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
الاختلاف في التعريف	إلى يوم الدين	اللعنة	الحجر
		لعنتي	ص

عرفت (اللعنة) في سورة الحجر بالألف واللام ﴿اللَّعْنَةَ﴾، أما في سورة ص عرّفت بالإضافة

(إضافة ياء المتكلم) ﴿لَعْنَتِي﴾، فماسبب ذلك ؟

التحليل اعتماداً على سياق المقطع:

يعلل الإسكافي سبب الاختلاف الوارد في السورتين، بأن « القصة في الحجر ابتدأت في المعتمد بالذكر، وهو الإنس والجن باسم الجنس المعرف بالألف واللام، بقوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر، 26- 27)، فكان ما استحقه إبليس بترك السجود من الجزاء ما أطلق عليه اللفظ الذي ابتدأت مثله القصة وهو اسم الجنس البشري»¹.

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرّة التأويل، م.م.س، ج2، ص 816.

فالمناسبة - حسب الإسكافي - مناسبة لفظية محضة، إذ وردت ﴿اللَّعْنَةُ﴾ معرفة بالألف واللام لتلاءم مع ما سبقها من ألفاظ، في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر، 26-27).

أما ورود لفظ اللعنة في سورة ص معرفة بالإضافة ﴿لَعْنَتِي﴾،، توافقا مع ما تقدمها، «فإنه لما تقدم قوله ﴿لِإِذَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾، فخصصه بالإضافة إليه دون واسطة يأمره بفعله، أجري لفظ ما استحقه من العقاب على لفظ الإضافة، كما قال ﴿بِيَدِي﴾، فقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾¹، فوردت ﴿لَعْنَتِي﴾ معرفة بالياء (ياء المتكلم)، لملاءمة ما سبقها في قوله تعالى ﴿لِإِذَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾.

ويضيف ابن جماعة توجيهها آخر لكلمة ﴿لَعْنَتِي﴾ الواردة في سورة ص، فيقول: «إنه لما أضاف خلق آدم إليه تشريفا له بقوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ أضاف طرد عدوه إليه زيادة كرامته²، فلم يكن هذا التغيير لمناسبة لفظية فقط وإنما لسبب معنوي ودلالي، فلما قال تعالى: ﴿لِإِذَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ والذي تضمن قوله (بيدي) زيادة تشريف وتكريم لآدم عليه السلام، رافق هذا التكريم والتشريف طرد عدوه (إبليس) وإسقاط اللعنة عليه بقوله (لعنتي)، زيادة في الكرامة والتشريف الواردة في قوله تعالى ﴿لِإِذَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾.

د- المقطع الرابع: طلب الإنظار.

زاد عناد إبليس اللعين تعجرفه وعصيانه فطلب من الله عز وجل الإنظار إلى يوم القيامة فأجابه الله تعالى إلى ذلك.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (الأعراف، 14-15).

¹ - الخطيب الإسكافي، المصدر السابق، الجزء السابق، ص 817.

² - ابن جماعة، كشف المعاني، م.م.س، ص 220.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (الحجر، 36-37).

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (ص، 79-80).

1- موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع التشابه اللفظي
الأعراف	//	الحذف والذكر
الحجر، ص	رب	

حذف قوله ﴿رَبِّ﴾ في سورة الأعراف، و ذكرت في سورتي الحجر و ص، فماسبب وقوع

الزيادة و الحذف في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (سياق النظم):

يفسر الكرمانى سبب وقوع الحذف في سورة الأعراف، وذكر قوله ﴿رَبِّ﴾ في سورتي الحجر و ص قائلاً: « لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم في هذه السورة - الأعراف-، اقتصر في الجواب أيضا على الخطاب دون ذكر المنادى»¹، فلما ذكر التصريح بالاسم في سورة الحجر، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر، 32)، وفي سورة ص في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ (ص، 75)، حسن إتباع الجواب بذكر (المنادى)، في قوله ﴿قَالَ رَبِّ﴾ في سورتي الحجر و ص، ولما تم حذف ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾ في سورة الأعراف، في قوله ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (الأعراف، 12) رافقه حذف المنادى ﴿رَبِّ﴾، واكتفى بقوله ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

¹ - الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، م.م.س، ص 117.

أما الغرناطي فيعيد سبب حدوث هذا الحذف في سورة الأعراف، و وقوع الذكر في سورتي الحجر و ص إلى التفصيل الذي ميّز الأخيرتين، والإيجاز الذي غلب على سورة الأعراف، فيقول: «ألا ترى أن مجموع الكلام الواقع من لدن قوله في سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا آدَمَ﴾ (الأعراف، 11)، وابتداء القصة إلى قوله ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ بضع وأربعين كلمة، والوارد في الحجر بضع وتسعون كلمة، و في سورة ص بضع وستون كلمة، فقد وضح ما قصد في الأعراف من إيجاز الإخبار في القصة وما في السورتين ما بعد من إطناب»¹، فالسرد الموجز للقصة في سورة الأعراف لآدم الحذف والإيجاز في الخطاب، والإطناب في السرد الواقع في سورتي الحجر و ص، تابعهما زيادة في التركيب، فقال ﴿رَبِّ﴾.

ويضيف الغرناطي إلى التوجيه السابق توجيهها آخر يتعلق بنوعية الصيغ التركيبية للخطاب القرآني في سور (الأعراف، الحجر، ص)، والتي تطلبت الحذف في سورة الأعراف وذكر ما حذف في سورتي الحجر و ص، ويوضح ذلك قائلاً: «ثم إنه ورد في سورة الحجر و ص التأكيد بكل وأجمع في قوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾* ولم يرد ذلك في الأعراف (...) فتناسب الإطناب والتأكيد ولاءم ما ورد من الزيادة في السورتين الأخيرتين، ولم يكن لناسب العكس»².

فاقتضت الصيغ التركيبية التوكيدية في قوله ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، و﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾-الواردة في سورتي الحجر و ص- زيادة في قوله ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ملاءمة للتوكيد الواقع في الآيات -متقدمة الذكر- في سورتي الحجر و ص، على عكس سورة الأعراف التي خلت آياتها المتقدمة من التوكيد ﴿فُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾، ﴿فَسَجَدُوا﴾، فناسبها الحذف في قوله ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ملاءمة مع ما تقدمها من أسلوب موجز ومجمل.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، م.م.س، ج1، ص490.

* - ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ الحجر، 30، و ص، 73.

² - الغرناطي، ملاك التأويل، م.م.س، ج1، ص491.

2- موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
الزيادة والنقصان	انظريني إلى يوم يبعثون	//
		ف

وقعت زيادة (الفاء) في سورتي الحجر و ص في قوله: ﴿فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ونقصت هذه الزيادة في سورة الأعراف ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم (مقصود الكلام):

يرى الإسكافي أن سبب سقوط الفاء في سورة الأعراف راجع إلى أن ما فيها « وقع مستأنفا غير مقصود به عطف على ما يقع به (...)»، وما في الاثنين -سورتا الحجر و ص- (...) جاء بعد إخبار الله بلعنته له (إبليس)، فكأنه قال (يا رب إن لعنتني وأيستني من الجنة فأخر أجلي إلى يوم يبعثون)¹.

فقوله ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الوارد في سورة الأعراف جاء خطابا مستأنفا غير عاطف على ما سبقه، على عكس الوارد في سورتي الحجر و ص؛ إذ جاء مواصلةً للخطاب الدائر بين الله عز وجل وإبليس اللعين، وذلك في قوله تعالى في سورة الحجر ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر، 35)، وقوله تعالى في سورة ص ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (ص، 78)، فأعقب بقوله ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، إجابةً على ما وقع عليه من اللعنة، وحصل ذلك بالفاء التي تفيد التعقيب، فكأنه قال - كما أشار الإسكافي - (يا رب إن لعنتني وأيستني من الجنة فأخر أجلي إلى يوم الدين)

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، م.م.س، ج2، ص 577.

موضع التشابه ج: (إجابة طلب الإنظار):

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
الزيادة والنقصان	إنك من المنظرين	//	الأعراف
		ف	الحجر، ص

نقصت الفاء في سورة الأعراف و ذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾، و زادت في سورتي الحجر و ص، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾، فما سبب هذه الزيادة و النقصان؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (السياق اللغوي):

حذفت الفاء في سورة الأعراف وذكرت في سورتي الحجر و ص، وذلك بما سبب ما تقدم في سورتي الحجر و ص من ذكر وقوع اللعنة على إبليس اللعين، وطلب هذا الأخير الإنظار إلى يوم الدين، فدخلت الفاء على قوله ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾، وتقدير الكلام « إن طلبت تأخير الأجل وتنفيس المهل من أجل إن لعنت، فإنك مؤخر الموت لما حكمت له، لا لإجابتك إلى مسألتك، فهو معطوف على السؤال عطف الكلام من الكلام الذي يقتضيه»¹.

فذكر الفاء في سورتي الحجر و ص تعقيبا على ما تقدم الآية في السورتين من ذكر اللعنة، وحذفت الفاء في سورة الأعراف لعدم ورود تصريح بوقوع اللعنة على إبليس اللعين، مناسبة وملاءمة مع الأسلوب الموجز الذي ميز السرد العام للقصة في هذه السورة .

هـ - المقطع الخامس: (توعد إبليس بتضليل آدم وذريته):

توعد إبليس اللعين بإغواء وتضليل بني آدم بعد طرده من الجنة ووقوع اللعنة عليه.

¹ - الخطيب الإسكافي، المصدر السابق، الجزء السابق، ص 578.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف، 16).

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر، 39).

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص، 82)

1- موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع التشابه اللفظي
الأعراف	//	إبدال كلمة بكلمة
الحجر	رب	
ص	فبعزتك	

أقسم إبليس اللعين في سورة الحجر بقوله ﴿رَبِّ﴾، وفي سورة ص بقوله ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ هـ، وحذف القسم في سورة الأعراف، فما سبب هذا الاختلاف الواقع بين السور؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

أ- سورة الحجر :

قال في سورة الحجر ﴿رَبِّ﴾ متابعاً وموافقة لما تقدم الآية من قوله ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فالتوكيد الغالب على القصة في هذه السورة، وذلك في قوله ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر، 28)، و﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر، 30)، و﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر، 35)، و﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (الحجر، 36-37)، لزم توكيدا بقوله ﴿رَبِّ﴾، الوارد في سورة الحجر في قوله ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾.

ب-سورة ص:

أما ما ذكر في سورة ص من قوله ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ -الدال على القسم-، والذي ورد أقوى دلالة وأشد وقعا مما ورد في سورة الحجر، وكان هذا الإصرار في الغواية والقسم بعزة الله لتنفيذ توعده دليلا قاطعا على تكبره وتفاخره بأصله وشدة عناده، وهذه الصفات سبق التصريح بها في قوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾¹، فمبالغته وعجرفته، وتصميمه على الكفر، وتضليل ذرية آدم عليه السلام حسدا منه، اقتضت ورود القسم بعزة الله تعالى في قوله ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، لهدف المبالغة في تصوير مدى كفره وكبر عناده.

ج-سورة الأعراف :

و لما لم يرد هذا التصوير المبالغ بكبر إبليس اللعين وعناده في سورة الأعراف، والاكتفاء بالتصريح بامتناعه عن السجود دون توكيد أو مبالغة، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾² ناسب كل ذلك حذف القسم بعزة الله، والاختصار في تصوير توعده إبليس اللعين بتضليل ذرية آدم عليه السلام، دون توكيد أو قسم، وذلك في بقوله ﴿فِيمَا أَعُوذْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

2-موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع التشابه اللفظي
الأعراف	ل أقعدن	إبدال كلمة بكلمة

¹ - سورة ص، الآيتان 74 - 76.

² - سورة الأعراف الآية 11

	أزَيْنَنَّ		الحجر
--	------------	--	-------

ورد توعد إبليس اللعين في سورة الأعراف بقوله ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾، وفي سورة الحجر بقوله ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾، فماسبب هذا الإبدال في التعبير عن التوعد، مع أن القصة واحدة؟.

التحليل استنادا إلى سياق السورة (السياق العام):

شرح الغرناطي سبب الاختلاف في صيغتي التوعد الواردة في سورتي الأعراف والحجر، قائلا: « لما تقدم في الأعراف قوله ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾* والإشارة إلى القرآن الكريم، لأنه يوضح الطريق إليه، وهو الصراط المستقيم (...). الذي طمع إبليس اللعين في الاستيلاء عليه، وقطع سالكه فقبل عبارة مراده من ذلك ﴿لَأَقْعُدَنَّ هُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر المحكي من كلامه ومراده لأستولين لهم عليه»¹.

فسبب ورود ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ راجع إلى ما تقدم الآية من ذكر الصراط المستقيم، في قوله ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ إشارة إلى القرآن الكريم الذي هو المرشد إلى بلوغ الصراط المستقيم، فأراد إبليس اللعين الاستيلاء على الصراط المستقيم، بغية تضليل ذرية آدم عليه السلام، فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ هُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

أما قوله ﴿لَأُزَيِّنَنَّ هُمْ﴾ في سورة الحجر لأنه سبق « ورود منعه ومنع جنوده عن تعريف خبر السماء واستراق السمع، في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾*، فلما صده عن هذه الجهة عدل إلى أخرى، فقال ﴿لَأُزَيِّنَنَّ هُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي إن كنت ممنوعا عن إغوائهم من حيث خبر

* - سورة الأعراف الآية 3.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، م.م.س، ج1، ص492.

* - سورة الحجر، الآيات 16 - 18.

السماء وإبداء المقدرات مما يوجهها الله إلى ملائكته، رجعت من جهة أخرى منها لأزينن لهم في الأرض»¹.

فلما منع الله عز وجل إبليس اللعين وجنوده من استراق السمع، والإحاطة بأخبار الغيب (السماء)، لم يجد إبليس اللعين إلا طريقة واحدة وهو تزيين المعصيات لذرية آدم عليه السلام بغية تضليلهم، ولهذا قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾.

وبنهاية هذا المقطع تنتهي قصة آدم عليه السلام، ووعيد إبليس اللعين له -حسداً وغيرة- ولذريته، ومنذ ذلك العهد عكف إبليس اللعين على تضليل ذرية آدم، وتزيين المعاصي لهم، تنفيذاً لوعده الشرير بإغواء جميع ذرية آدم عليه السلام.

ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن أرسل رسلاً وأنبياء يدعون للحق ويحذرون من إتباع الضلال الذي زينهم لهم إبليس اللعين.، ومن هؤلاء الرسل إبراهيم الخليل عليه السلام، والذي حارب عبادة الأوثان ودعا إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له.

وحكى الله سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد قصة إبراهيم عليه السلام وما لاقاه من تكذيب ومكائد من قومه، وذلك في عدة مواطن بصيغ مختلفة ومتنوعة. فما سر الاختلاف في حكي هذه القصة في هذه المواطن؟، هذا ما سيجيب عليه الفصل الموالي الموسوم بعنوان "دلالة المتشابه في قصة إبراهيم عليه السلام".

¹ - الغرناطي، ملك التأويل، م. م. س.، ج 1، ص ص 493-494.

خلاصة الفصل:

انطلاقاً من الدراسة التطبيقية لمواضع المتشابه اللفظي الواقعة في قصة آدم عليه السلام يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

1- لقد أدى الترتيب الزمني لنزول السور إلى تغيير في الصيغ التعبيرية الواردة في السور، والتي حكّت قصة آدم عليه السلام.

2- لقد أثر النزول المتقدم لسورة ص في اختيار التعابير الملائمة للذكر الأول لقصة آدم عليه السلام، ومثّل ذلك ذكر أصل مادة خلق آدم عليه السلام (الطين).

3- إنّ للنزول المتأخر والمدني لسورة البقرة أثراً على التركيب اللغوي لقصة آدم عليه السلام الواقعة فيها، إذ تميزت القصة في هذه السورة عن غيرها، بذكر النتائج والمحصلات، من بينها التصريح بنتيجة الزلل ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (البقرة، 36) دون تفصيل في الواقعة.

4- لقد أثر النزول المكي والمدني للسورة على طبيعة السرد، والقص الواقع في كل واحدة منها، و مثال ذلك ما وقع بين سورتي ص والبقرة، فكانت الأولى متناسقة مع الأحوال الغالبة على الدعوة المحمدية في المرحلة المكية (مرحلة التكوين)، وكانت الثانية متناسقة مع بداية التأطير والتأسيس لمجتمع مسلم في المرحلة المدنية.

5- لقد تقاطعت أول سورة - نزولاً - حكّت قصة آدم عليه السلام مع آخر سورة - نزولاً - قصت نفس الحكاية في ذكر نتيجة كفر إبليس اللعين، الحاصلة عن امتناعه عن السجود، وذلك في قوله تعالى ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص، 74) - (البقرة، 34).

6- لقد كان للإيجاز أو الإطناب في السرد أثر كبير في التغيير في التعابير إجمالاً أو تفصيلاً.

7- لقد ساهمت المناسبة القرآنية في (السور، والمقاطع، والآيات) في وقوع القص بتعابير معينة، منها ما وقع في سورة الحجر حينما تناسب ذكر مادة خلق الإنسان مع مادة خلق آدم عليه السلام ﴿صَلِّصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ﴾.

8- إنّ للفاصلة القرآنية دورا كبيرا في ورود بعض الألفاظ دون غيرها في السور القرآنية، وهذا ما وقع في سورة طه (أَبَى، تَشَقَّى، تَعْرَى، تَضْحَى، يَبْلَى، غَوَى، هَدَى).

9- إنّ لتغيير شخصية المخاطب (المتلقي) أثرا كبيرا في تغيير صيغة الخطاب ،ومن ذلك ما وقع في سورتي الأعراف وطه، إذ كان المخاطب في سورة الأعراف آدم وزوجه عليهما السلام ،فكانت الوسوسة لهما، وكان المخاطب في سورة طه آدم عليه السلام ،فكانت الوسوسة مخصصة له.

10- لقد ساهم السياق المعجمي في تحليل بعض مواضع المتشابه اللفظي، والكشف عن سر وقوع مفردة دون غيرها في هذا الموضع دون غيره، ومثال ذلك لفظي (إبليس والشيطان) ،فورد الأول في مواضع عزوفه عن السجود المتعلقة بذاته، و ورد الثاني في مواضع الوسوسة ، نظرا لما يتعلق معناه اللغوي بالأفعال الذميمة.

11- لقد تلاحم السياق المعجمي مع السياق الدلالي في الكشف عن دلالات مواضع المتشابه اللفظي، ومثال ذلك لفظي (الهبوط والخروج) اللتين وردتا في المواطن الخاصة بهما ، حسب تناسب دلالتهما المعجمية مع دلالة سياق كل آية من الآيات التي وردت فيها.

12- لقد تضافرت السياقات (النحوية المعجمية الدلالية) في تفسير مواضع المتشابه اللفظي وتحليلها،و مثال ذلك ما وقع في آية سكون الجنة والهبوط منها.

و منذ هبوط آدم عليه السلام و زوجه إلى الأرض ،شرعت البشرية في التزايد والتكاثر شيئا فشيئا، إلى أن أصبحت أقواما وأمما، وعمد إبليس اللعين إلى تضليلهم، وذلك بإعبادهم عن دين الحق وتحريضهم على عبادة الأوثان دون الله عز وجل، فبعث الله عز وجل رحمة منه بعباده رسلا وأنبياء لهذه الأقوام والأمم، يهدونهم إلى طريق الحق ويدعونهم إلى عبادة الله عز وجل.

ومن بين هذه الأقوام قوم إبراهيم عليه السلام الذين كانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله عز وجل إبراهيم عليه السلام إليهم ،ليرشدهم إلى طريق الهدى ، ويدعوهم إلى عبادة الله عز وجل ،ودرء عبادة الأصنام ، ويتناول الفصل الموالي دراسة هذه القصة ،ومواطن وقوع المتشابه اللفظي فيها بالتحليل والتوجيه.

الفصل الثالث

دلالة المتشابه اللفظي

في قصة إبراهيم عليه السلام

الفصل الثالث

دلالة المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام

تمهيد.

أولاً- دعوة إبراهيم عليه السلام.

ثانياً- نجاة إبراهيم عليه السلام من كيد قومه.

ثالثاً- وقوع البشري.

رابعاً- متفرقات.

خلاصة الفصل

تمهيد:

من عظيم رحمة الله عز وجل وكريم لطفه بعباده أن بعث فيهم رسلاً وأنبياء، يهدونهم إلى الحق ويرشدونهم إلى الهدى، وذلك تحقيقاً لوعده الكريم الوارد في نهاية قصة أبي البشرية آدم عليه السلام ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة 38)، ومن بين هؤلاء الأنبياء إبراهيم عليه السلام، إذ بعثه الله تعالى إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله جلّ وعلا، وترك ما يعبدون من أصنام، وواجه إبراهيم عليه السلام في سبيل إرساء العقيدة السليمة وترسيخها، وإعلاء كلمة الله عز وجل بلائاً عظيماً ومصاباً جليلاً، وذكرت هذه القصة مفصلة في ست سور، وهي -مرتبة حسب النزول-: مريم، الشعراء، الأنعام، الصافات، الأنبياء، البقرة، ووردت مجملة في تسع سور أخرى، وهي -مرتبة حسب النزول-: هود، الحجر، الزخرف، الذاريات، إبراهيم، العنكبوت، آل عمران، الممتحنة، التوبة.

وورد المتشابه اللفظي في السور-آئفة الذكر- في تسعة عشر (19) مقطعاً، تراوح بين : الزيادة والنقصان، الحذف وا لذكر، التقديم والتأخير، الإبدال، وتتناول المباحث الموالية هذه المقاطع بالتحليل والتوجيه مع مراعاة التسلسل السردى لأحداث القصة، والمتمثلة في: دعوة إبراهيم عليه السلام، نجاته من مكيدة قومه، ووقوع البشرى بإسحاق عليه السلام، وذُيّل هذا الفصل بمبحث يدرس مقاطع متفرقة لقصة إبراهيم عليه السلام.

أول-دعوة إبراهيم عليه السلام:

ذكرت دعوة إبراهيم عليه السلام لعبادة الله وحده عز وجل في سبعة سور هي: الأنعام، مريم، الأنبياء، الشعراء، الصافات، العنكبوت، الزخرف؛ إذ اقتضت الدعوة في سورتي الأنعام ومريم على أبيه، وجمعت باقي السور بين دعوة أبيه وقومه، واقتضت سورة العنكبوت على دعوة قومه فقط.

أ-المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَتَّخِذُ آبَاءَكُمْ آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام، 74).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (مريم، 42).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (الأنبياء، 52).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الشعراء، 70).

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت، 16).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات، 85).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف، 26).

1) موضع التشابه أ:

نوع التشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
الحذف والذكر	و	الأنعام، العنكبوت، الزخرف
	//	مريم، الأنبياء، الصافات، الشعراء

وردت الواو العاطفة في سور الأنعام، العنكبوت، الزخرف، وحذفت في سور مريم، الأنبياء، الصافات، الشعراء، فماسبب ذلك؟.

التحليل استنادا على سياق النظم (السياق اللغوي):

أ- ذكر حرف الواو:

1. سورة الأنعام:

وردت الواو العاطفة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّ﴾، لعطف هذه الآية «على الجمل السابقة التي أولها ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾* المشتملة على الحجج والمجادلة في شأن إثبات التوحيد وإبطال الشرك، فعقبت هذه الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر مجادلة أول رسول أعلن التوحيد وناظر في إبطال الشرك»¹، فضرب الله عز وجل المثل بإبراهيم عليه السلام- كونه جد العرب- في محاربه لعبادة الأوثان بالحجج والبراهين، وضرورة اقتداء العرب بأبيهم إبراهيم الخليل في نبذ عبادة الأصنام، والتوجه إلى عبادة الله عز وجل.

* - سورة الأنعام، الآية 66.

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج7، ص 310.

2. سورة العنكبوت:

وردت الواو العاطفة في قوله تعالى ﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾؛ لأن قصة إبراهيم عليه السلام معطوفة على ما ذكر قبلها من قصة نوح عليه السلام، وذلك ظاهر في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ. فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾¹، فعطفت قصة إبراهيم عليه السلام على قصة نوح عليه السلام، لتوافقهما في الرسالة السماوية المتمثلة في الدعوة إلى عبادة الله عز وجل.

3. سورة الزخرف:

ذكرت الواو العاطفة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، لكون هذه الآية معطوفة على « عموم الكلام السابق عن قوله ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾* (...). وهو عطف الغرض على الغرض»² فحسن العطف بين الآيات لتشابهها في الأغراض و المقاصد .

ب- حذف حرف الواو:

حذفت الواو في قوله ﴿إِذْ قَالَ﴾ في سور مريم، الأنبياء، الشعراء والصفات، لأن ما ورد فيها هو تفسير وتفصيل لما تقدمها، ويتوضح ذلك فيما يلي :

1. سورة مريم:

تقدم قوله ﴿إِذْ قَالَ﴾ في سورة مريم قوله تعالى ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾³، فلما أفصحت هذه الآية عن نبوة إبراهيم عليه السلام وتصديقه لدين الحق، أتبعها

¹ - سورة العنكبوت، الآيتان 14 - 15.

* - سورة الزخرف، الآية 23.

² - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص 192.

³ - سورة مريم، الآية 41.

الآيات الأخرى لتفصيل الحكيم عما اتسم به إبراهيم عليه السلام بالنبوة وعبادة الخالصة الواردة في قوله ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾، فلم يلزم ذلك ورود الواو العاطفة في قوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (مريم، 42).

2. سورة الأنبياء:

أسبق قوله ﴿إِذْ قَالَ﴾ في سورة الأنبياء قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾¹، فلما أفصح الله عز وجل عن كمال رشد إبراهيم عليه السلام، مثل على ذلك بقوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، تدليلاً وبرهنة على رشد إبراهيم عليه السلام، وذلك بسرد ما جرى من محاورة بينه وبين أبيه وقومه حول بطلان عبادة الأوثان، وما تلا من تحطيمه للأوثان وتنجيته من مكائد قومه.

فكان ما لاقاه إبراهيم عليه السلام من تكذيب قومه ومكائدهم له، وإصراره على نبذ عبادة الأوثان دليلاً قاطعاً على كمال رشده الواقع في قوله تعالى - في بداية القصة- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾، ولهذا لم يلزم ورود الواو العاطفة في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.

وقس ذلك على ما وقع في سورتي الشعراء والصفوات من حذف حرف الواو، فقد سبق قوله ﴿إِذْ قَالَ﴾ في سورة الشعراء بقوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾²، التي تعني (اقصص عليهم قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه)، وما تلت من آيات ابتداءً من قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى غاية نهاية القصة، هي سرد لقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه التي مهد لها قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

¹ - سورة الأنبياء، الآية 51.

² - سورة الشعراء، الآية 69.

ونفس الشيء مع ما ورد في سورة الصافات، إذ سبق قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ. إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾¹، فنظرا لاتصال الكلام ببعضه بعضا لم يلزم ذلك ورود الواو العاطفة في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأنعام، الزخرف	إبراهيم	الحذف والذكر
الأنبياء، الشعراء، مريم، الصافات	//	(حذف كلمة)
	إذ قال	

وردت كلمة (إبراهيم) في سورتي الأنعام والزخرف بعد قوله ﴿إِذْ قَالَ﴾، وحذفت في سور الأنبياء والشعراء ومريم والصافات، فماسبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (السياق اللغوي):

1. سورتا الأنعام والزخرف:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي﴾، ولما كانت هذه الآية بداية السرد لقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه الضال، حسن ذكر قوله ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ لعدم تقدم ذكره فيما سبق من آيات.

وأما الوارد في سورة الزخرف في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ فكانت بداية السرد لحكاية تبرؤ إبراهيم عليه السلام من عبادة الأوثان، فتطلب ذلك ذكر ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ افتتاحا للقصة.

¹ - سورة الصافات، الآيتان 83 - 84.

2. سور الأنبياء، مريم، الشعراء، الصافات:

حذفت كلمة ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ في سور (مريم، الأنبياء، والشعراء، والصافات) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ لتقدم ذكره فيما سبق من آيات.

ففي سورة مريم افتتحت القصة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾¹ بذكر إبراهيم عليه السلام، ثم تبعها بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾، فلما تقدم التصريح باسمه في بداية القصة أستغني عن ذكره مرة ثانية تفاديا للتكرار.

وحذف لفظ ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ في سورة الأنبياء في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ لسبق الإعلام به في الآية المتقدمة، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾²، ولما كان قوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، وما تلا من آيات تفصيلا ومواصلة لسرد القصة، حسن حذفه اكتفاءً بذكره في الآية التي استفتحت بها القصة، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾.

ومثل ذلك ما وقع في سورة الشعراء من حذف ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ اكتفاءً بذكره في الآية المتقدمة في قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾³، وما تلتها من آيات فصلت في حكي قصة إبراهيم عليه السلام ابتداءً من قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

¹ - سورة مريم، الآية 41.

² - سورة الأنبياء، الآية 51.

³ - سورة الشعراء، الآية 69.

ووقع الحذف في سورة الصافات في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ جريا على ما وقع من حذف في سور مريم، الأنبياء، الشعراء؛ إذ سبق قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ. إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾¹، فحذف ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ في الآية المتأخرة اكتفاءً بذكره في بداية القصة في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾.

3) موضع التشابه ج:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
التقديم والتأخير	إبراهيم	إذ قال	الأنعام، الزخرف
	إذ قال	إبراهيم	العنكبوت

قدم (إذ قال) عن (إبراهيم) في سورتي الأنعام والزخرف، وأخر عن (إبراهيم) في سورة العنكبوت، فماسبب هذا التقديم والتأخير؟

التحليل استنادا إلى السياق النحوي (السياق المقالي):

1. سورتا الأنعام والزخرف:

ذكر (إبراهيم) متأخرا عن قوله ﴿إِذْ قَالَ﴾، لأنه وقع موقع الفاعل لفعل القول (قال)، ومعلوم أن الأصل في الفاعل أن يقع متأخرا عن فعله، وهذا ما حدث في سورتي الأنعام والزخرف من وقوع الفاعل (إبراهيم) متأخرا عن الفعل (قال) عملا بالقاعدة النحوية التي تنص على وقوع الفاعل متأخرا عن فعله.

¹ - سورة الصافات، الآيتان 83-84.

2. سورة العنكبوت:

وقع الاسم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ متقدما على قوله ﴿إِذْ قَالَ﴾ في قوله تعالى ﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾، بسبب عطف هذه الآية الكريمة على القصة التي سبقتها، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ. فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ¹﴾، فقوله ﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ معطوف على قوله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، وتقدير الكلام (وأرسلنا إبراهيم إذ قال لقومه)، ف(إبراهيم) مفعول به منصوب لفعل محذوف تقديره (أرسلنا)، وقوله ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ إتمام وتفصيل ل(ولقد أرسلنا إبراهيم)، وشرح لماهية الرسالة التي كلف الله بها إبراهيم عليه السلام.

4) موضع التشابه د:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه			السورة
الزيادة والنقصان	//	لأبيه	إذ قال	الأنعام، مريم
	وقومه			الأنبياء، الشعراء، الصافات، الزخرف
	//	العنكبوت		

نقصت ﴿وَقَوْمِهِ﴾ في سورتي الأنعام ومريم، وزيادت في سور الأنبياء والشعراء والصافات والزخرف والعنكبوت، ونقصت ﴿لأبيه﴾ في سورة العنكبوت، فما سبب هذه الزيادة والنقصان؟.

¹ - سورة العنكبوت، الآيتان 14 - 15.

التحليل استنادا إلى سياق النظم:

1. سورتا الأنعام ومريم:

اقتصرت دعوة إبراهيم عليه السلام في سورتي الأنعام ومريم على والده دون قومه، على عكس ما ورد في سور الأنبياء، الشعراء، الصافات، الزخرف، لاختصاص الخطاب في سورة الأنعام بوالد إبراهيم، وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرْتَنِي أَخِي وَأَنَا صَالِحٌ﴾¹، وبذلك كان مروجاً لعبادتها، وقائد قومه في ضلالهم المبين، وذلك واضح في قوله تعالى - على لسان إبراهيم عليه السلام - ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾²، فوجه إبراهيم عليه السلام خطابه أولاً لوالده نظراً لضلوعه في تضليل قومه عن طريق نحت الأصنام وبيعها لهم.

وما ورد في سورة مريم من تخصيص الخطاب لوالد إبراهيم، وذلك في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾³ لتطلب سياق السرد ذلك، إذ يوضح السياق العام للآيات أن الخطاب موجه من إبراهيم عليه السلام إلى والده دون غيره، ودليل ذلك ورود (يا أبت) أربع مرات في الآيات متقدمة الذكر.

1 - طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص 138.

2 - سورة الأنعام، الآية 74.

3 - سورة مريم، الآيات 42- 45.

ولهذا حذف (قومه) في سورتي الأنعام ومريم لاختصاص الخطاب في السورتين بوالد إبراهيم بوصفه المسئول الأول في تضليل قومه - وهذا ما ورد في سورة الأنعام-، وكونه أباه وجه له النصيحة خوفاً عليه من عقاب الله عز وجل وعذابه- وهذا ماوضحه سياق النظم في سورة مريم-

2. سور الأنبياء، الشعراء، الصافات، الزخرف:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (الأنبياء، 52).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الشعراء، 70).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات، 85).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف، 26).

الواضح من الآيات أنفة الذكر أن إبراهيم عليه السلام وجه خطابه إلى قومه الضالين مقرنا في ذلك والده مع قومه، ويرى طاهر بن عاشور أن سبب إدخال أبيه في إلقاء الخطابات عليهم « إما لأنه - أبوه - كان حاضراً في مجلس قومه، إذ كان سادان بيت الأصنام كما روي، وإما لأنه سأله على انفراد وسأل قومه مرة أخرى فجمعت الآية ذلك»¹، فكان سبب الجمع بين أبيه وقومه في السور متقدمة الذكر هو الجمع بين طرفي الحكاية (الوالد/ القوم).

وهناك توجيه آخر:

إنّ السرد الخاص بالقصة في سور الشعراء، الأنبياء، الصافات يظهر أن المناقشة التي ألقاها إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه كانت في عيدهم الخاص الذي يحتفلون فيه بألهتهم -

¹ - طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص 138.

الأصنام-، وأدخل إبراهيم عليه السلام أباه في الخطاب - المناقشة- الموجه لقومه بوصفه سادان الأصنام وحارسها والمتكلف بإقامة عيد الأصنام.

أما فيما يخص آية الزخرف والمتمثلة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ فأدخل إبراهيم عليه السلام أباه مع قومه في خطاب التبرؤ من عبادة الأصنام للتمثيل «على الإنكار على هؤلاء المشركين الذين أنكروا عبادة الله، وإتباع محمد صلى الله عليه وسلم بحجة تقليدهم لآياتهم، فبين الله لهم أن هذا الطريق باطل»¹.

فورود القصة بقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ توضيح أن عناد المشركين وتحججهم بإتباع عبادة الأوثان تقليداً لآبائهم إنما هو ضلال مبين، وأن على المؤمنين أن يتبرؤوا من عبادة دين آبائهم تقليداً وجرياً على ما فعله إبراهيم عليه السلام حينما تبرأ من دين أبيه وأنكر عليه ضلاله، وذلك واضح في قوله تعالى-على لسان بيه الخليل -﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

فتطلبت الغاية من سرد القصة - في سورة الزخرف- والمتمثلة في إبراز بطلان إتباع دين الآباء الضال وضرورة التبرؤ منه ورود (أبيه وقومه) في الآية الكريمة، عملاً وتأسياً بما قام به إبراهيم عليه السلام من تبرئه من دين أبيه وقومه.

3. سورة العنكبوت:

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت، 16).

¹ - محمود عوض محمود سالم، قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة في علم اللغة النصي، إشراف صلاح الدين صالح حسنين ومحمد خليل نص الله، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وأدائها، كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر، 2007، ص 294.

لعل السر في الاستغناء عن قوله (أبيه) يعود إلى ما تضمنه السياق العام للسرد، إذ لم يتضمن سياق القصة في سورة العنكبوت زمن سرد الخطاب الذي وجهه إبراهيم عليه السلام لقومه وذلك واضح في قوله تعالى ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وليس في آيات القصص ما يحدد زمن تلفظ إبراهيم عليه السلام بالخطاب، أي أن دعوته -عليه السلام- في سورة العنكبوت لم تكن مختصة بعيدهم الخاص، بل كانت دعوة عامة كررت في عدة مقامات ومناسبات، ودليل ذلك ما طوته هذه السورة من واقعة تحطيمه للأصنام التي جرت في عيدهم الخاص.

وهناك سبب آخر له علاقة بزمن نزول هذه السورة، إذ تعد سورة العنكبوت آخر سورة نزولا وردت فيها قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، ولما سبقتها سور الشعراء، الصافات، الأنبياء في سرد تفاصيل الحكاية، أوجزت هذه السورة في سرد القصة وأجملت ما ذكر من تفاصيل في السور التي سبقتها نزولا، فلزم ذلك الاختصار على (قومه) من باب الإجمال والإيجاز.

ب-المقطع الثاني (مناقشة إبراهيم عليه السلام لأبيه):

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آهَةً إِنِّي أَرَأكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام، 74).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (مريم، 42).

1) موضع التشابه:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأنعام	آزر	إبدال كلمة بكلمة
مريم	يا أبت	

ورد قوله ﴿آزَرَ﴾ في سورة الأنعام و﴿يا أبتِ﴾ في سورة مريم، فما سبب هذا الاختلاف في الخطاب، مع أن الخطاب في كلتي الآيتين موجّه من إبراهيم عليه السلام إلى والده (أبيه)؟

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

1. سورة الأنعام :

أحتلّف في معنى ﴿آزَرَ﴾ الواردة في سورة الأنعام، إذ ذهب الفراء (ت207هـ) إلى أن معنى آزر «في كلامهم معوج، كأنه عابه بعوجه عن الحق»¹، وتابعه في ذلك الزجاج (ت311هـ) في تفسيره للكلمة إذ وردت لديه بمعنى مخطئ، فيقول: «آزر عندهم ذم في لغتهم كأنه قال (وإذا قال إبراهيم لأبيه يا مخطئ أتتخذ أصناما)، وقد يكون وصفا له كأنه قال (وإذا قال إبراهيم لأبيه المخطئ)»²، أما الزمخشري فيذهب إلى أن آزر هو اسم والد إبراهيم³.

وانطلاقا من المعطيات السابقة، يفسر ورود (آزر) في سورة الأنعام بدلا من (أبت) الواردة في سورة مريم من زاويتين:

¹ - الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ج1، ص340.

² - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شليبي، عالم الكتب، ط1، 1988، ج2، ص265.

³ - ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص229.

أ- آزر بمعنى (مخطئ/ معوج):

ذكر لفظ (آزر) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عوضاً عن (يا أبت)، لأن الخطاب في هذه الآية خطاب تفرّيع وتوبيخ، فصاحب وصف (مخطئ أو معوج) قوله تعالى -على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام- ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فهما معنيان متناسبان، فكأن إبراهيم عليه السلام قال لوالده - كما ذكر الفراء والزجاج - (يا مخطئ أتخذ أصناماً آلهة)، فاتخاذ والده للأصنام آلهة هو اعوجاج في العقيدة وانحراف عن الحق، ودليل ذلك قوله ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، إذ دلت هذه الآية على اعوجاج وانحراف والد إبراهيم عن العقيدة السليمة، وخطئه الكبير في اتخاذ الأصنام آلهة، ولهذا سبق قوله ﴿أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قوله ﴿آزَرَ﴾، التي تدل - حسب الفراء والزجاج - على الاعوجاج والخطأ.

ب- آزر هو اسم والد إبراهيم:

ذكر الزمخشري - أنفاً - أن آزر هو اسم والد إبراهيم، وعلى هذا الأساس تدل الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ على معنى آخر، يتمثل في أن إبراهيم عليه السلام خاطب أباه باسمه (آزر) قائلاً: ﴿آزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فلماذا نادى إبراهيم عليه السلام أباه باسمه (آزر) عوضاً عن (أبت) الواردة في سورة مريم؟.

والجواب على هذا السؤال لا يتأتى إلا بإعمال السياق اللغوي، إذ توضح الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أن إبراهيم عليه السلام كان غاضباً ومتذمراً من ضلال أبيه ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فخاطبه باسمه (آزر) ليفهمه أنه متأفف من ضلاله وانحرافه عن طريق الحق والعقيدة السليمة، بمعنى أن الخطاب في هذه الآية هو خطاب تفرّيع وتوبيخ، وما يعضد ذلك قوله ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ التي تدل على توكيد إبراهيم عليه السلام وإصراره على أن والده وقومه في ضلال مبين، فناسب هذا

التفريع والتوبيخ مناداة والده باسمه (آزر)، ليوصل الهدف المنشود من الرسالة، والمتمثلة في غضبه وتأففه من ضلال والده.

2. سورة مريم:

أما ما ورد في سورة مريم في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ من ذكر (يا أبت) بعد قوله (لأبيه) عوضاً عن (آزر)، مثلما جرى في سورة الأنعام؛ لأن مقام الخطاب - هنا - مقام نصح وعظة وإرشاد، وهذا ما يفصله الزمخشري قائلاً: « انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم، والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل، وانسلخ عن قضية التمييز كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل»¹.

فالخطاب الموجه - هنا - إلى والده خطاب نصح وعظة من ابن إلى أبيه، والآيات الكريمات ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾²، تبرز أن الخطاب الذي وجهه إبراهيم عليه السلام لوالده فيه عتاب رقيق وملاطفة في النصح، فلزم هذا الخطاب ذكر (يا أبت) عوضاً عن (آزر) لملاءمة مقام الرفق واللين والعطف في هذا الخطاب.

فائدة:

أفصح الخطاب في سورة مريم عن نصح إبراهيم عليه السلام لوالده برقة وعطف ولين، ولما طال هذا النصح والإرشاد إذ لم يجد خطاب الرفق نفعا مع والد إبراهيم، لجأ الخليل عليه

¹ - الزمخشري، الكشاف، المصدر السابق، ج3، ص 19.

² - سورة مريم، الآيات 42- 45.

السلام إلى خطاب التقرير والتوبيخ الوارد في سورة الأنعام، فتظهر هذه الأخيرة تأفف إبراهيم عليه السلام وتدمره من عناد والده في اتباع النصيحة وإصراره على بقاءه في ضلاله المبين.

فانظر كيف راعى الله عز وجل تسلسل سير الأحداث في كتابه العزيز، إذ بدأها في سورة مريم -والتي هي أسبق نزولا من سورة الأنعام- بذكر النصح اللطيف والإرشاد الرقيق، ثم أتبع ذلك في سورة الأنعام - وهي متأخرة نزولا عن سورة مريم- بذكر تأفف وتدمر إبراهيم عليه السلام من والده بعد طول نصح له، وإصرار أبيه على عبادة الأوثان، وبقائه في ضلاله المبين، فانظر كيف تناسب التسلسل الترتيبي لنزول السور مع التسلسل الترتيبي لسير الأحداث والوقائع، وهذا من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

ج-المقطع الثالث: (المجادلة)

وقعت مناقشة إبراهيم عليه السلام لقومه ومجادلته إياهم حول سفاهة عبادة الأصنام في سور الأنبياء، الشعراء، الصافات.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء، 52- 53).

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء، 69- 74).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَتُنْفِكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصافات، 85- 86).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
الشعراء	//	إذ قال لأبيه وقومه ما	الزيادة والنقصان
الصفات	ذا		
	تعبدون		

وقع السؤال في سورة الشعراء في قوله تعالى -على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام- ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ باستعمال (ما)، وفي سورة الصفات في قوله ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ باستعمال (ما) مقترنة بـ(ذا) ، فما سبب هذه الزيادة والنقصان؟

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

إن الاختلاف في الاستعمالين عائد إلى الاختلاف في المعنى الذي تؤديه (ما) مفردة أو مقترنة بـ(ذا)، وإلى اختلاف المعنى الوارد في سياق كل آية، ويتوضح ذلك فيما يلي:

- السياق النحوي:

يشرح الخطيب الإسكافي الاختلاف في الاستعمال النحوي (ما) و(ماذا) قائلاً: «معنى (ماذا) في كلام العرب على وجهين، أن تكون (ما) وحدها اسماً و(ذا) بمعنى الذي، والمعنى: ما الذي تعبدون (...). والآخر أن تكون (ما) مع (ذا) اسماً واحداً بمعنى: أي شيء تعبدون، وهو في الحالين أبلغ من (ما) وحدها»¹.

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج2، ص 965.

فالدلالة النحوية ل(ما) وهي مقترنة ب(ذا) أبلغ معنى وأقوى دلالة من ورودها لوحدها في الكلام، وهذا الاختلاف بين المعنيين النحويين ل(ما) و(ماذا) يوضح سبب ورود كل منهما في سياقها المناسب، وهذا ما يستفيض الإسكافي في شرحه اعتمادا على السياق اللغوي لكل آية.

- سياق الآية:

يرى الإسكافي أن الاختلاف في الاستعمالين سببه الاختلاف في غاية وغرض كل آية، فيقول: « فلما قصد في الأول - سورة الشعراء- التنبيه كانت (ما) كافية، ولما بالغ وقَرَعَ استعمال اللفظ الأبلغ وهو (ماذا) (...)، فهو أبلغ من (ما) وحدها»¹.

فلأن ما ورد في سورة الشعراء كان تنبيها فناسبه الاكتفاء ب(ما)؛ ذلك أن إبراهيم عليه السلام سألهم عن معبودهم وناقشهم في ماهيته، وغايته في ذلك النصح والإرشاد، أما ما ورد في سورة الصافات، فكان مقصوده التوبيخ والتقريع، إذ أنكر عليهم إبراهيم عليه السلام عبادتهم للأصنام، فوجههم على ضلالهم، وهذه الدلالة أبلغ وأقوى فناسبها التوكيد (ذا) مسبوقه ب (ما) -ماذا-، التي هي أبلغ دلالة وأؤكد معنى من (ما) مفردة.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
الأنبياء	قالوا	//	الزيادة والنقصان
الشعراء		بل	

نقصت (بل) في سورة الأنبياء في قوله تعالى ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾، وزيدت في سورة الشعراء في قوله تعالى ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾، فما سبب ورود هذه الزيادة والنقصان؟.

¹ - الخطيب الإسكافي، المصدر السابق، ج2، ص966.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي (سياق النظم):

يشرح الإسكافي سبب وقوع زيادة (بل) في آية الشعراء في قوله تعالى ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكِ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء 74)، وسقوطها في آية الأنبياء في قوله تعالى ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَٰذَا عَابِدِينَ﴾ اعتمادا على سياق السرد في كل سورة، فيقول: «لأن في سورة الشعراء تقدم سؤال أضربوا عنه ونفوا ما تضمنه لأنه قال ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (الشعراء 72، 73)، وقالوا مضربين عن هذه الأشياء التي ونخوا عليها، من عبادتهم ما لا يسمع ولا ينفع ولا يضر (...). فلأن السؤال هنا يقتضي في جوابهم أن يدفعوا ما نفاه إبراهيم عليه السلام أضربوا عنه إضراب من ينفي الأول ويثبت الثاني»¹.

فلما لم يجد قوم إبراهيم عليه السلام ما يدافعون به عن آلهتهم وعبادتهم للأوثان، وذلك بعدما واجههم إبراهيم عليه السلام بالحجج الدامغة بأن معبودهم لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا ينطق، أجابوه بقولهم ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكِ يَفْعَلُونَ﴾، محاولين نفي ما وجهه إبراهيم عليه السلام من براهين حول سفه معبودهم.

ولم ترد زيادة (بل) في سورة الأنبياء «لأنه قال ما هذه الأصنام التي تحتونها تماثيل عكفتم عليها، فكأنه سقاه آراءهم وقال لهم لم تفعلون ذلك وتعبدون ما تحتون، فقالوا: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَٰذَا عَابِدِينَ﴾»²، فلم يتضمن السؤال في هذه السورة حججا وبراهينا، إذ كان مقتصرا على التنبيه والتوبيخ دون سرد للحجج الدالة على سفه معبودهم، ولذلك جاءت الإجابة مقتصرة على قولهم ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَٰذَا عَابِدِينَ﴾ دون زيادة (بل).

¹ - الخطيب الإسكافي، المصدر السابق، ج2، ص 904.

² - المصدر نفسه، ج2، ص 903.

وتابع إبراهيم عليه السلام تقرّبه وتوبيخه لقومه على ضلالهم، إذ تبرأ من آلهتهم وما يعبدونه من أصنام، وأقدم على تحطيمها لعله يعيدهم بذلك إلى طريق الحق، فما كان جزاؤه إلا إقدام قومه على حرقه، ولكن كلمة الله كانت العالية والأولى، إذ أنجى الله عز وجل عبده ونبيه من مكيدة قومه، وهذا ما سيتناوله المبحث الموالي بالتحليل والتوجيه.

ثانياً- نجاة إبراهيم عليه السلام من كيد قومه:

تبرأ إبراهيم عليه السلام مما يعبده قومه من أوثان، وقام بتحطيمها سعياً منه إلى تنبيه قومه إلى سفه معبودهم، وبيان حقيقة ضلالهم، ولكن ما كان جزاؤه على ذلك إلا إقدامهم على حرقه عليه السلام، عقاباً له على تحطيمه لأصنامهم، فأنجاه الله عز وجل من مكيدة قومه وشر فعلهم .

أ- المقطع الأول: التبرؤ من عبادة الأصنام.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام، 78).

قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (الشعراء، 75- 81).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف، 26).

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (المتحنة، 4).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه			نوع المتشابه اللفظي
الأنعام	//	//	//	الحذف والذكر
الزخرف	و	إذ	إبراهيم	
المتحنة	//		//	

تم الحذف والذكر في هذا الموضع من التشابه اللفظي في عدة مواطن؛ إذ حذفت الواو في سورتي الأنعام والممتحنة ، وذكرت في سورة الزخرف، وحذفت (إذ) في سورة الأنعام، وذكرت في سورتي الزخرف والممتحنة، وتم حذف (إبراهيم) في سورتي الأنعام والممتحنة، وذكرها في سورة الزخرف، فما سبب الحذف والذكر في هذه المواطن؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

- حذف الحرف:

أ. حذف حرف الواو:

حذف حرف الواو في قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ وفي سورة الممتحنة في قوله ﴿إِذْ قَالُوا﴾، وثبت حرف الواو في سورة الزخرف في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾، وهذا الحذف والذكر عائد إلى ما تطلبه سياق كل آية.

فحذفت الواو في سورة الممتحنة لعدم تطلب السياق ذلك، إذ سبقت هذه الآية إشارة إلى بداية السرد وذلك في قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، وقوله ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ تفسير وتفصيل لما تقدمه من قوله ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وحذفت الواو - أيضا- في سورة الأنعام لعدم تطلب السياق العام للسرد ثبوتها، إذ جاء قوله ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ نتيجة اكتشافه -عليه السلام- لحقيقة ضلال عبادة الأصنام واهتدائه لعبادة الله عز وجل.

وثبتت الواو العاطفة في آية الزخرف لأنها معطوفة على ما قبلها عطف الغرض على الغرض - كما تقدم آنفا-، وبداية سرد لمثال تبرؤ إبراهيم عليه السلام من عبادة الأوثان.

- حذف إذ:

حذفت (إذ) في سورة الأنعام وذكرت في سورتي الزخرف والممتحنة، لتطلب سياق الأنعام حذفها بسبب تقدم ذكرها في بداية القصة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾¹.

ووردت (إذ) في آية الزخرف في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ كون هذه الآية بداية للسرد، ومعنى (إذ) - هنا - (حين)، وتقدير الكلام (واذكر حين قال إبراهيم لأبيه وقومه)، فحسن ورود إذ - هنا - حسب ما تطلبه السياق من بداية السرد.

ونفس الأمر بالنسبة لما ورد في آية الممتحنة وذلك في قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ﴾، فقوله ﴿إِذْ﴾ بمعنى (حين قالوا إننا براء منكم).

- حذف الكلمة:

حذفت كلمة (إبراهيم) في سورتي الأنعام والممتحنة لتقدم ذكرها في كليهما، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ﴾، وفي سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، واستغنى عن ذكره في قوله ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ و﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ﴾ تجنباً للتكرار.

وثبتت كلمة (إبراهيم) في آية الزخرف لعدم تقدم ذكره فيما سبقها من آيات، ولذلك حسن وروده للإعلام أن القصة - هنا - مختصة بإبراهيم عليه السلام.

¹ - سورة الأنعام، الآية 74.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع التشابه اللفظي
الأنعام، الزخرف	قال	تغيير صيغة
المتحنة	قالوا	

أسند فعل القول الى ضمير المفرد في سورتي الأنعام والزخرف، وإلى ضمير الجمع في سورة المتحنة، فماسبب التغيير في الصيغة؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

ورد الفعل (قال) بصيغة المفرد في سورتي الأنعام والزخرف، لأن الفعل في السورتين مسند إلى إبراهيم عليه السلام - وحده-، فقال في الأولى ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

وذكر فعل القول بصيغة الجمع (قالوا) في سورة المتحنة، لأنه تقدم هذا الفعل (قالوا)، ذكر ﴿إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾؛ أي أن القول مسند إلى إبراهيم عليه السلام والذين معه.

(3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
الأنعام	إني	بريء	زيادة + تغيير
الزخرف	إنني	براء	

وقع المتشابه اللفظي في هذا الموضع في نقطتين متعلقتين ببعضهما بعضا وهما: الزيادة وتغيير

الصيغ.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

أ. الزيادة:

ورد التوكيد في آية الزخرف -زيادة النون- بقوله ﴿إِنِّي﴾ وتابع هذه الزيادة ورود البراءة بصيغة المبالغة ﴿بَرَاءً﴾.، ولم ترد هذه الزيادة في آية الأنعام ﴿إِنِّي﴾، وتابعا قوله ﴿بَرِيءٌ﴾ بصيغة الصفة المشبهة.

ومعلوم أن صيغة المبالغة تؤكد من الصفة المشبهة، ولهذا ورد التوكيد في ﴿إِنِّي﴾ في آية الزخرف لتتناسق مع ما ذكر بعدها من صيغة المبالغة ﴿بَرَاءً﴾، ولم ترد هذه الزيادة في آية الأنعام ﴿إِنِّي﴾، لتتلاءم مع ما بعدها من الصفة المشبهة ﴿بَرِيءٌ﴾، وهي أقل دلالة وأخف توكيدا من صيغة المبالغة.

ب. تغيير الصيغة:

وردت البراءة بالصفة المشبهة في سورة الأنعام في قوله ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ووردت بصيغة المبالغة في سورة الزخرف في قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾.

ويعلل فاضل السامرائي سبب ورود البراءة بالصفة المشبهة في سورة الأنعام بـ «أن إبراهيم عليه السلام كان في مقام البحث عن الحقيقة، فظن أن الكوكب ربه، ثم القمر ثم الشمس، ثم أعلن الله سبحانه وتعالى البراءة على لسانه بالصفة المشبهة (بريء) وصفا للفاعل بالحدث على سبيل الدوام والثبوت»¹.

فاستعمل لفظ ﴿بَرِيءٌ﴾ في سورة الأنعام سببه أن إبراهيم عليه السلام كان في رحلة بحث عن حقيقة المعبود، وهذا ظاهر في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ

¹ - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 37.

قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿الأنعام، 76- 78﴾. فناسب هذا المقام (السياق) ذكر لفظ البراءة بالصفة المشبهة، لإدراك إبراهيم عليه السلام وتفطنه إلى أحقية الله عز وجل في العبادة، وأعلن براءته على صفة الدوام مستعملاً الصفة المشبهة الدالة على الدوام والثبوت.

أما التعبير عن البراءة بصيغة المبالغة في سورة الزخرف في قوله ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾؛ لأن «إبراهيم عليه السلام يريد بهذه البراءة حقيقة إيمانية وتعميقها وتثبيتها في حياة البشرية كلها وإبقائها معلماً ثابتاً للصالحين من بعده من الأجيال اللاحقة، ولهذا عقب القرآن الكريم بقوله ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾*¹.

فاستعمال صيغة المبالغة ﴿بَرَاءٌ﴾ في سورة الزخرف سببه ما اقتضاه مراد الآية الكريمة؛ لأن ما قصده إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ هو تثبيت عقيدة إيمانية في أذهان البشرية جمعاء على مر الأزمان، فناسب هنا ذكر ﴿بَرَاءٌ﴾ لأنها أؤكد معنى وأعون على الدلالة على هذا المقصود من قوله (بريء).

4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه		نوع التشابه اللفظي
الأنعام	مما	تشركون	إبدال كلمة بكلمة
الزخرف		تعبدون	

* - سورة الزخرف، الآية 28.

¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 293.

وردت البراءة في سورة الأنعام من الشرك، وفي سورة الزخرف من عبادة دون الله، فما سبب هذا الاختلاف؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي (سياق النظم):

يُعَوِّل صالح عبد الفتاح الخالدي في توجيهه لهذا الموضوع على وجود فرق معنوي بين البراءة من الشرك والبراءة من عبادة غير الله عز وجل، فيقول: «... فالبراءة الثانية أعم وأشمل وأؤكد، لأن معنى العبادة أعم من مجرد الشرك (...).، وبريء فيها إعلان عن البراءة لكن البراءة في (براء) أؤكد وأشمل وأقوى»¹.

فيعمل صالح عبد الفتاح الخالدي ذكر ﴿تُشْرِكُونَ﴾ الواردة في سورة الأنعام بسبب ما سبقها من قوله ﴿بِرِيءٍ﴾، ولما لها من خصوص المعنى وهو وقت إعلان البراءة، أما ورود ﴿تَعْبُدُونَ﴾ في سورة الزخرف لملائمة دلالة العموم لكلمة ﴿بِرَاءٍ﴾، فهي تحمل معنى أشمل وأعم من بريء، فناسب هذا ذاك.

وهناك سبب آخر يعود إلى سياق النظم:

إن ورود لفظ ﴿تُشْرِكُونَ﴾ في سورة الأنعام لمناسبة ما تقدم ذكره من (عبادة الأصنام، والكواكب والقمر والشمس)، فرافق التصريح بأنواع المعبودات (الأصنام، الكوكب، القمر، الشمس) ذكر لفظ ﴿تُشْرِكُونَ﴾، أي تشركون في عبادتكم الأصنام، والكوكب، والقمر، والشمس.

ولما لم يرد تصريح بماهية المعبود في سورة الزخرف قال: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ لعموم المعنى الذي ترمي إليه كلمة ﴿تَعْبُدُونَ﴾.

¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص 294.

(5) موضع التشابه هـ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الزخرف	//	الزيادة والنقصان
المتحنة	منكم و	

نقصت ﴿مِنْكُمْ وَ﴾ من سورة الزخرف، وزيدت في سورة المتحنة، فما سبب هذه الزيادة والنقصان؟.

التحليل اعتماداً على السياق اللغوي:

زيدت ﴿مِنْكُمْ وَ﴾ في آية المتحنة في قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (المتحنة، 4)، وحذفت في آية الزخرف في قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف، 26)، وذلك لاختلاف الموضوع المتبرأ منه في السورتين.

فيظهر سياق آية الزخرف أن إبراهيم عليه السلام تبرأ مما يعبده قومه، أي أنه تبرأ من عبادة غير الله عز وجل، أما آية المتحنة فشملت فيها براءة إبراهيم عليه السلام على شيئين (قومه الكافرون، وعبادة غير الله)، فقال: ﴿مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (زيادة منكم) ليشمل التبرؤ قومه الكافرين، ودليل ذلك ما أتبعه من قوله ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا﴾¹ فكانه قال -وا لذين معه-: أنا أتبرأ منكم ومن عبادتكم دون الله، وأعلنت العداوة بيني وبينكم حتى تؤمنوا.

¹ - سورة المتحنة، الآية 4.

6) موضع التشابه و:

يختص هذا الموضع بما ورد من قول إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء، وذلك في قوله تعالى على لسان نبيه الخليل ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (الشعراء، 78- 81).

• موضع التشابه و1:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	الآية
الزيادة والنقصان	هو	الآية 78-الآية 80 ف
		الآية 79 //

زاد حرف العطف (فاء) في الآيتين في قوله تعالى ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، وقوله ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾،

ونقصت هذه الزيادة في المواضع الأخرى، فما سبب ذلك؟

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي (النحوي/ الدلالي):

إن الفاء الواردة في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليها السلام ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ هي فاء « تعقب بلا مهلة، وهداية الله للإنسان ملازمة له منذ خلقه، وهي هنا بمعنى الإلهام»¹، فالهداية تعقب مرحلة الخلق، فالله سبحانه وتعالى يخلق الإنسان ويثبت فيه - من رحمته عز وجل - الهداية بالفطرة.

¹ - عماد عبده يحيى، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني - دراسة فنية-، دار دجلة، عمان، ط1، 2009، ص 79.

أما الفاء المذكورة في قوله تعالى على لسان نبيه الكريم ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، فهي « رابطة للجواب وليست عاطفة»¹؛ لأن المرض متعلق بالشفاء، فإذا وجد المرض استدعى ذلك طلب الشفاء.

ولم يرد العطف بالفاء في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ﴾، لأن الإطعام والسقاية فعلا متعلقان ببعضهما بعضا، فلم يلزم ذلك ورود الفاء العاطفة الدالة على التعقيب والترتيب الزمني.

• موضع التشابه و2:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		الآية
الزيادة والنقصان	هو	الذي	الآية 78-79-80
	//		الآية 81

زيد الضمير (هو) في آيات الهداية والشفاء والإطعام ونقص في آية الإماتة والإحياء، فماسبب هذه الزيادة والنقصان؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي (سياق الآية):

ورد الضمير المنفصل (هو) في آيات الهداية والشفاء والإطعام والسقاية، وحذف في آية الإماتة والإحياء؛ لأن ذكر (هو) « توكيد لمعنى الكلام وتخصيص الفعل به دون غيره، واحتاج ذكر الإطعام والشفاء إلى هذا التوكيد لأنهما مما يدعي الخلق فعله (...)، فكانت إضافة هذين الفعلين إلى الله تعالى محتاجة إلى لفظ التوكيد (...)، ولم يحتج إليه إضافة الموت لأن لا أحد يدعي فعلهما»².

¹ - عماد عبده يحيى، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني - دراسة فنية-، المرجع السابق، ص 79.

² - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج2، ص 967.

فأفعال الهداية والإطعام والسقاية والشفاء قد يتوهم نسبتها إلى المخلوق، كقولنا مثلا: فلان هداني إلى فعل كذا، وفلان شفاني بمعنى عاجني، وفلان أطعمني أو أسقاني، فلزم سبق تلك الأفعال بالضمير (هو) للتوكيد على أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب تلك الأفعال لا المخلوقات، أما أفعال الإمامة والإحياء والخلق، فهي أفعال متعلقة بالله عز وجل، فهو وحده القادر على الخلق والإحياء والإمامة، ولا يمكن لأي مخلوق ادعاء أنه قادر على فعل ذلك، ول هذا لم يلزم ورود الضمير (هو) في آية الإحياء والإمامة.

ولم تتوقف دعوة إبراهيم عليه السلام عند تبرئه من عبادة الأوثان أمام قومه، وإنما حاول نصحهم بتركها معتمدا في ذلك على تحطيمها لعلمهم يرجعون إلى جادة الصواب، سعيًا منه إلى تنبيه قومه إلى سفاهة ما يعبدونه من أوثان، والتي لا تضر ولا تنفع، بل إنها لا تنفع نفسها، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها، فما كان جزاؤه على ذلك سوى إقرار قومه بإلقاءه في النار عقابا له على تحطيمه لألهتهم - الأصنام-.

ب- المقطع الثاني: الإلقاء في النار (مكيدة قومه).

قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء، 68).

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت، 24).

قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصفات، 97).

1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
الزيادة والنقصان	قالوا	//	الأنبياء، الصافات
		أن	العنكبوت

زيدت (أن) في سورة العنكبوت، وسقطت هذه الزيادة في سورتي الأنبياء والصافات، فماسبب وقوع الزيادة والنقصان في هذا الموضع؟.

التحليل اعتماداً على السياق النحوي (السياق اللغوي):

سبب ورود زيادة(أن) في سورة العنكبوت عائد إلى ما تطلبه السياق النحوي للآية الكريمة، فقولهُ ﴿أَنْ قَالُوا﴾ مصدر مؤول وقع موقع اسم كان مرفوع، وتقدير الكلام (فما كان جواب قومه إلا قولهم)، و(أن) التي سبقت (قالوا) هي أن المصدرية، وشكلت مع (قالوا) مصدراً مؤولاً وقع موقع اسم كان، فلهذا زيدت (أن) لتكتمل عناصر المصدر المؤول (أن قالوا).

وحذفت أن المصدرية في سورتي الأنبياء والصافات لعدم تطلبها في التركيب النحوي لآيتي الأنبياء والصافات، إذ بدئت القصة (قصة الإلقاء والتنحية) بقوله تعالى ﴿قَالُوا﴾ على عكس ما وقع في سورة العنكبوت ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾.

2) موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
زيادة كلمة	حرّقه	//	الأنبياء
		اقتلوه أو	العنكبوت
إبدال الجملة	ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم		الصافات

اختلفت إجابة قوم إبراهيم عليه السلام باختلاف السور الواردة فيها، فكان قرارهم بالحرق واضحاً في سورة الأنبياء، ومتردداً بين الحرق والقتل في سورة العنكبوت، وجاء قرارهم في سورة الصافات مختلفاً عما ورد في سورتي الأنبياء والعنكبوت، فما سبب هذا الاختلاف في الاجابات والقصة واحدة؟.

التحليل اعتماداً على سياق النظم:

1. بين سورتي الأنبياء والعنكبوت:

ورد قرار التخلص من إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء متمثلاً في الحرق، وفي سورة العنكبوت متردداً بين القتل والحرق ﴿قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾، فما وجه زيادة ﴿اقْتُلُوهُ﴾ في سورة العنكبوت؟.

-سورة العنكبوت :

كما ورد سابقاً* أن القصة في سورة العنكبوت ذكرت موجزةً بجملة، طوت كثيراً من التفاصيل؛ إذ لم يتم فيها الإفصاح أن الخطاب الذي وجهه إبراهيم عليه السلام لقومه كان في عيدهم الخاص، وذلك في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون. وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين. أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير. قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير. يعذب من يشاء

* - عد إلى المبحث السابق المقطع الأول، موضع التشابه د.

وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ¹.

فلا يوجد في سياق القصة الواردة في سورة العنكبوت ما يظهر أن الخطاب الذي وجهه إبراهيم عليه السلام لقومه وما تضمنه من دعوة إلى عبادة الله وتوكل على عبادة الأوثان، واقع في عيدهم الخاص والذي حطم فيه أصنامهم.

ونظرا لطبي القصة في هذه السورة واقعة تحطيم إبراهيم عليه السلام لأهنتهم، جاء حكم قومه مترددا بين القتل والحرق ليناسب الإجمال والإيجاز الواقع في سرد القصة، وتابعه في ذلك حذف كيفية إنجاء الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام، واكتفى بقوله ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ليناسب السرد الموجز للقصة في سورة العنكبوت.

وبهذا يمكن القول: أن التردد بين القتل والحرق جاء متناسبا ومتناسقا مع الإيجاز والإجمال الوارد في سرد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة العنكبوت، وما طوي من واقعة تحطيم الأوثان من قبل إبراهيم عليه السلام.

—سورة الأنبياء:

ورد في سورة الأنبياء قرار قوم إبراهيم عليه السلام بحرقه واضحا، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء، 68)، وجاء هذا القرار واضحا ومقتصرًا على الحرق والذي هو أعنف من القتل، لملاءمة ما تقدمه من ذكر حادثة تحطيم إبراهيم عليه

¹ - سورة العنكبوت، الآيات 16 - 24.

السلام لآلهة قومه واستهزائه بما يعبدون من أوثان، وذلك في قوله تعالى على لسان نبيه الخليل ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ. أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾¹.

فتوعد إبراهيم عليه السلام بكيد أصنامهم ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾، وتنفيذه لهذا التوعد ﴿فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، واستهزائه بما يعبدونه في خطابه الموجه لقومه، اقتضى كل ذلك ردا عنيفا من قبل قومه والمتمثل في الحرق ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ جزاءً على ما فعله إبراهيم عليه السلام بألتهم (أصنامهم).

وجاء قولهم ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ تعقيبا على ما فعله إبراهيم عليه السلام بألتهم، وما قدمه من براهين حول سفة معبودهم وجعلهم عاجزين عن الرد عليه، وهذا ما وضح في قوله تعالى ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾²، فلما أيقنوا بصواب دعوة إبراهيم عليه السلام نظرا لما قدمه من براهين تؤكد على أن أصنامهم لا تنفع ولا تضر، وعجزوا - بعد ذلك - عن الرد عليه، لم يجدوا ما يدافعون به عن

¹ - سورة الأنبياء، الآيات 57 - 69.

² - سورة الأنبياء، الآيات 64 - 65.

آلهم المزعومة إلا حرقه - عليه السلام - انتصارا لآلهم ودفاعا عن أحقيتها في العبادة فقالوا:
﴿وَانصُرُوا آلَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

2. سورة الصافات:

ورد قرار معاقبة إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات بإلقاءه في النار، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾، وجاء قرار قوم إبراهيم بالتخلص منه مختلفا في سورة الصافات عما ذكر في سورتي العنكبوت والأنبياء (القتل/ الحرق)، فما سبب هذا الاختلاف والقصة واحدة؟.

الجواب :

ورد القرار في سورة الصافات مختلفا عما ورد في سورتي العنكبوت والأنبياء ليتناسب مع ما تقدم من السرد، فالإلقاء كما هو معروف هو الرمي من الأعلى إلى الأسفل، وهذه الدلالة تقابلت مع ما تقدمها في قوله تعالى ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (الصافات، 93)، إذ أفاد « اقتران راغ مع على معنى استعلاء إبراهيم عليه السلام المتناسق مع ضربه المستعلي على الآلهة»¹، فلما استعلى إبراهيم عليه السلام على أصنامهم في قوله تعالى ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ جاء ردهم بقولهم ﴿ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾، رغبة منهم في رد الاعتبار لآلهم التي استعلى عليها إبراهيم عليه السلام، وذلك يجعله أسفل السافلين من خلال رميه من الأعلى إلى الأسفل، فوردت القصة بهذه الصيغة ﴿ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾، لتقابل الداليتين (الأسفل/ الأعلى).

فاختلف التصريح بالقرار في سور العنكبوت، الأنبياء، الصافات، اقتضاه اختلاف السياق العام للقصة المسرودة في كل سورة.

¹ - أحمد عبد الستار الجوارى، نحو القرآن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، 1974، ص 58.

ج- المقطع الثالث: (الإنجاء).

أنجى الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام من كيد قومه الضالين، وأبطل مكائدهم الشنيعة، وجعلهم أسفل السافلين ..

قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء، 70)

قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (الصفات، 98).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأنبياء	و	إبدال حرف بحرف
الصفات	ف	

عطف (أرادوا) في سورة الصفات بالفاء الدالة على التعقيب والترتيب الزمني، وفي سورة

الأنبياء بحرف الواو، فما سبب الاختلاف في العطفين؟

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

تمثل قرار قوم إبراهيم عليه السلام- في سورة الصفات - بالتخلص منه، وذلك بإلقائه في الجحيم في قوله تعالى ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾¹، ووضحت هذه الآية الكريمة الطريقة التي اعتمدها قوم إبراهيم عليه السلام في تطبيق كيدهم وعقابهم، وكيفية إنجازهم وتنفيذهم لهذا الكيد الشنيع، إذ استقروا على بناء بنيان عميق وإلقاء إبراهيم عليه السلام فيه، وذلك بعد إضرار النار فيه.

¹ -سورة الصفات، الآية 97.

ومعلوم أن إنجاز هذا البيان يتطلب وقتاً زمنياً طويلاً، إضافة إلى استغراق حادثة الإلقاء في النار فترة زمنية معينة، فأعقبت (أرادوا) بالفاء لتتناسق مع ما تقدمها في قوله تعالى ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾، الدالة على التسلسل الزمني في سير الأحداث (البناء، الإلقاء).

أما ما ورد في سورة الأنبياء من عطف (أرادوا) بالواو لعدم تقدم تفصيل عن الكيفية التي اعتمدها قوم إبراهيم في معاقبته وإلقائه في النار، بل اقتصر على التصريح بفعل الحرق الوارد في قوله تعالى ﴿ حَرَّقُوهُ وَأَنْصُرُوا آهْتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾¹، دون ذكر كيفية التحضير والتنفيذ لهذا الكيد الشنيع، فناسبها عطف (أرادوا) بالواو الجامعة لا الفاء المعقبة.

1) موضع التشابه ب:

نوع التشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
إبدال كلمة بكلمة	الأحسرين	به كيدا فجعلناهم	الأنبياء
	الأسفلين		الصفات

ختمت الآية الكريمة بالأحسرين في سورة الأنبياء، وبالأسفلين في سورة الصفات، فما سبب

الاختلاف بين الوصفين؟.

يجيب الكرمانى على هذا السؤال موضحاً سبب اختلاف الوصفين قائلاً: « لأن في هذه

السورة - الأنبياء- كادهم إبراهيم عليه السلام بقوله ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾*، وكادوا هم

¹ -سورة الأنبياء، الآية 68.

* - سورة الأنبياء، الآية 57.

إبراهيم بقوله ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، فجرت بينهما مكايده، فغلبهم إبراهيم لأنه كسر أصنامهم ولم يغلبوه لأنهم لم يبلغوا من إحراقه مرادهم فكانوا الأخسرين»¹.

فتطلب السياق استعمال لفظ الأخسرين في سورة الأنبياء، وذلك لتصريحه بوجود مكايده متقابلة بين إبراهيم عليه السلام في قوله ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الأنبياء، 57)، وبين قومه في قوله ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾، ولعدم نجاحهم في إحراقه الوارد في قوله تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾²، وخسارتهم في المكايده في قوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، فناسب ذلك لفظ الأخسرين.

أما ورود لفظ (الأسفلين) في سورة الصافات في قوله تعالى ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾، يفسره الكرمانى وذلك بالاستعانة بما تقدم من قولته على ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات، 97)، فيقول: « فأجحوا نارا عظيمة وبنوا بنيانا عاليا ورفعوه إليه ورموه منه إلى أسفل فرفعه الله، فجعلهم في الدنيا من الأسفلين وردهم في العقبى أسفل السافلين فخصت الصافات بالأسفلين»³.

فأعقب قوله تعالى ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ في سورة الصافات بقوله ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾ ليتلاءم وما سبق الآية من قوله ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات، 97) الدالة على معنى السفول، إذ كان هدف قوم إبراهيم جعل نبي الله أسفل، فخيّب الله ظنهم وأفشل كيدهم، وجعلهم هم الأسفلين، وعلا نبيه عليه السلام ورفعوه وأنجاه من النار.

¹ - الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 178.

² - سورة الأنبياء، الآية 69.

³ - الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 179.

د- المقطع الرابع:

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت، 24).

قال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (العنكبوت، 44).

ختمت قصة نجات إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت بقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وتقاطعت هذه الخاتمة مع خاتمة الآية الرابعة والأربعين "44" في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		الآية
الإفراد والجمع	آيات	إن في ذلك لـ	العنكبوت 24
	آية		العنكبوت 44

وردت كلمة (آية) في الآية الرابعة والعشرين من سورة العنكبوت بصيغة الجمع (آيات)، وفي الآية الرابعة والأربعين من نفس السورة -سورة العنكبوت- بصيغة المفرد (آية)، فما سبب هذا الإفراد والجمع؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

يرى ابن جماعة أن الاختلاف في الإفراد والجمع في الآيتين سببه ما اقتضاه السياق اللغوي لكل آية، فيقول: « إن المراد هنا - الآية 24- قصة إبراهيم عليه السلام، وما فيها من تفاصيل

أحواله مع قومه، وفي الثانية - الآية 44- المراد خلق السموات والأرض فقط، وما فيها من آيات¹.

فقد سردت الآية الرابعة والعشرون (24) من سورة العنكبوت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ما لاقاه إبراهيم عليه السلام مع قومه من تكذيب، وما فعلوه به من عزمهم على قتله أوحرقه ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ (العنكبوت، 24)، وإنجاء الله تعالى له في قوله تعالى ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ (العنكبوت، 24)، فتطلب كل هذا السرد المطنب للوقائع التعبير عنه ب(آيات)، لتناسب التفاصيل المذكورة آنفا من تكذيب وحرق وإنجاء.

وثبت لفظ (آية) بالإفراد في قوله تعالى ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليناسب ما ذكر عن خلق السموات والأرض، فقصده بقوله (آية) معجزة خلق السموات والأرض، وليس ما يميزهما من تفاصيل.

1) موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		الآية
إبدال صيغة	المؤمنين	ل	العنكبوت 44
	قوم يؤمنون		العنكبوت 24

عُيِّرَ بين الآيتين في صيغة المؤمنين، إذ ذكرت بالصيغة الاسمية معرفة باللف واللام في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (العنكبوت، 44)، وبالصيغة الفعلية مسبوقه باسم نكرة (قوم) في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت، 24).

¹ - ابن جماعة، كشف المعاني، ص 289.

ويعزو ابن جماعة سبب الاختلاف في الصيغتين إلى ما تطلبه معنى سياق كل آية، فيرى أن المراد « لقوم يؤمنون العموم لتكثيره، فيدخل فيه كل مؤمن من الصحابة وغيرهم، ومعناه أنها آية لكل قوم مؤمنين والذي بعده بالتعريف وبالآف اللام للمتصفين بالإيمان حال نزول الآية، وهم الصحابة»¹.

فقوله (قوم) بالتكثير دال على العموم، واقتترانه بـ (يؤمنون) الدال على التجدد والاستمرار، متصل بقصة إبراهيم عليه السلام، ومعناه أن كل من يعرف بقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، والمعجزات التي صاحبته هذه القصة - كإنجائه من النار - فإنه يؤمن مهما تغيرت الأزمان والأوطان، فناسب هذا العموم والاستمرارية في الدخول في زمرة المؤمنين قوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الدال على العموم والتجدد.

أما ورود لفظ (للمؤمنين) معرفاً بالآف واللام في قوله تعالى ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فسببه اقتصار المعنى على فئة معينة، لأن تعريف (المؤمنين) بالآف واللام جعله محصوراً ومقصوراً على فئة معينة، والمراد بـ (المؤمنين) في هذه الآية - كما أشار ابن جماعة آنفاً - هم الصحابة الكرام الذين كانوا مؤمنين في تلك الحقبة الزمنية التي رافقت زمن نزول الآية الكريمة.

وربما يعود سبب ورود (لقوم يؤمنون) الدال على الكثرة ليتلاءم ويتناسق مع كثرة الآيات الواردة في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وورود (للمؤمنين) الدال على القلة ليتوافق مع أفراد لفظ (الآية) في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

¹ - ابن جماعة، كشف المعاني، المصدر السابق، ص 289.

ثالثا-وقوع البشرى:

كافأ الله عز وجل نبيه وعبد الخليل إبراهيم عليه السلام بتبشيره بولادة إسحاق عليه السلام، وذلك بارساله عز وجل للملائكة الكرام إلى إبراهيم عليه السلام ليبلغوه بهذه البشرى، جزاءً له على صبره وتجلده -عليه السلام - في سبيل نشر دين الحق ومحاربه لضلال قومه.

أ-المقطع الأول: (مجيء الرسل).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ (هود، 69).

قال تعالى: ﴿وَنَبَّئْتُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ﴾ (الحجر، 51- 52).

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (العنكبوت، 31).

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (الذاريات، 24- 25).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
هود	لقد	و	إبدال حرف بحرف
العنكبوت	لما		
	جاءت رسلنا بالبشرى		

وردت (لقد) في سورة هود في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾، وعدل عنها في سورة العنكبوت إلى (لما) في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾، فما سبب هذا الإبدال بين الحروف؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم (السياق اللغوي):

إن الوارد في سورة هود هو عطف على قصة شعيب عليه السلام، وبداية وافتتاح لحكي قصة بشارة إبراهيم عليه السلام، وما جرى من قصة لوط عليه السلام مع قومه، وافتتاح القصة بـ (لقد) « للاهتمام به كما تقدم الاهتمام بقصة شعيب ونوح ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾¹.

أما عطف ﴿جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بـ (لما) في سورة العنكبوت مواصلة لما تقدم هذه الآية من سرد تفاصيل قصة لوط عليه السلام مع قومه، حينما دعاهم إلى ترك المنكرات، فكذبوه واستهزأوا به، وذلك اهربي قوله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. أَأَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ. وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾².

فاستجاب الله لدعاء لوط عليه السلام الوارد في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾، وأرسل ملائكته الكرام لإهلاك قوم لوط وإنزال العقاب بهم، وأمرهم أن يبشروا إبراهيم عليه السلام بالذرية الصالحة فجاءوا أولا إلى إبراهيم، « ولما ظرفية حينية»³، وجاءت لتلاءم

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص 115.

² - سورة العنكبوت، الآيات 28- 31.

³ - محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1999، مج5، ج20، ص 693.

التسلسل الزمني في السرد؛ لأن الواقع في سورة العنكبوت هو سرد لقصة لوط عليه السلام، ووقوع البشارة هو فصل من فصولها، ومقطع من مقاطع السرد القصصي.

2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الحجر	ضعيف إبراهيم	//
الذاريات		المكرمين

وصف ضعيف إبراهيم في سورة الذاريات ب (المكرمين)، وحذف هذا الوصف في سورة الحجر، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

يعلل فاضل صالح السامرائي ورود الوصف في سورة الذاريات (المكرمين)، وحذفها في سورة الحجر بسبب ما يتطلبه سياق النظم في كل سورة، فقد ذكر في سورة الذاريات « أن إبراهيم عليه السلام حين حيوه فقال: ﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾، ولم يذكر ذلك في الحجر، وإنما ذكر أنهم حيوه ولم يذكر أنه رد التحية عليهم،، ولا شك أن رد التحية هو الذي يقتضيه الإكرام»¹.

فوصف ضعيف إبراهيم عليه السلام في سورة الذاريات بالمكرمين؛ لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم برد التحية أحسن مما حيوه، وحذف الوصف في سورة الحجر لعدم تضمن سياق السرد ردا للتحية بل اقتصر الرد على قوله ت ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ ﴾، فحذف وصف المكرمين لأن ليس في السورة ما يظهر أو يصرح بإكرام إبراهيم عليه السلام لضيوفه.

¹ - فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 86.

3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الحجر، الذاريات	ف	الحذف والذكر
هود	//	

أعقت (قالوا) في سورتي الحجر والذاريات بالفاء، وأسقطت في (قالوا) الواردة في سورة هود، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتماداً على سياق الآية:

ورد في سورتي الذاريات والحجر ﴿فَقَالُوا﴾ بثبوت الفاء الدالة على الترتيب الزمني في تسلسل الأحداث؛ لأن ما قبلها تطلب ورود الفاء؛ إذ قال في سورتي الذاريات والحجر ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾؛ أي أنهم دخلوا عليه ثم قالوا سلاماً، بمعنى أن إلقاء التحية أتى بعد الدخول، ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَالُوا﴾ بذكر الفاء لمناسبة الترتيب الزمني في مراحل الحكى أو القص.

ولما لم يذكر في سورة هود دخول الملائكة على إبراهيم عليه السلام واقتصر على الإعلام بمجيئهم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا﴾ ناسب ذلك حذف حرف الفاء، وقوله ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ وما تلا الآية من السرد هو تفسير وتفصيل لقصة البشرى التي أخبر عنها الله عز وجل في بداية القصة ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾.

4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الذاريات، هود	قال سلام	حذف جملة
الحجر	//	

رد إبراهيم عليه السلام التحية في سورتي الذاريات وهود، ولم يقع الرد في سورة الحجر، فما سبب حذف التحية في سورة الحجر؟.

التحليل:

- اعتمادا على السياق المقامي (زمن النزول):

يرى الكرمانى أن سبب وقوع حذف (سلام) في سورة الحجر عائد إلى تأخرها في النزول عن سورة هود، فيقول: «لأن هذه السورة -سورة الحجر- متأخرة فاكتفى بها عما في هود، لأن التقدير: فقالوا سلاما قال سلام»¹، فما ورد في سورة هود - حسب الكرمانى - في قوله تعالى ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ هو تفسير للحذف الواقع في سورة الحجر، ووقوع هذا الحذف راجع إلى الاكتفاء بما ذكر في سورة هود، لكون هذه الأخيرة أسبق نزولا من سورة الحجر.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام، إن كان ما طرحه الكرمانى صحيحا، وأن وقوع الحذف في سورة الحجر عائد إلى زمن النزول، فلماذا ذكر في سورة الذاريات ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾، مع أن هذه الأخيرة متأخرة في النزول عن سورة الحجر؟.

الجواب : السبب في وقوع الحذف في سورة الحجر وعدمه في سورتي هود والذاريات عائد إلى السياق العام للقصة في كل سورة.

- السياق اللغوي:

لا جرم أن التحية صفة من صفات الإكرام والإحسان، وورد ذكر إبراهيم عليه السلام للتحية في سورة الذاريات؛ «لأن رد التحية هو الذي يقتضيه الإكرام، فلما وصفهم بأنهم (مكرمون)

¹ - الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 156.

ناسب ذلك ذكر التحية «¹، فثبت رد التحية في سورة الذاريات لمناسبة ما تقدمها من وصف ضيف إبراهيم عليه السلام بالمكرمين، وذلك في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات، 24).

وورد رد التحية في سورة هود ليتناسب مع ما ذكر من إكرام إبراهيم عليه السلام لضيوفه بالعجل الحنيد، وذلك في قوله تعالى ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾²، الدالة على الإكرام والإحسان فسبق ذلك إكرام برد التحية، وكل هذا الإكرام والإحسان تناسق مع التصريح بالبشرى الوارد في بداية القصة في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ (هود، 69).

وكان رد إبراهيم عليه السلام على التحية في سورة الحجر بقوله ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ عوضاً عن قوله (سلام)؛ لأن ليس في سياق السورة ما يدل على إكرام إبراهيم عليه السلام للملائكة³، فصريح بقوله ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ للتعبير عن خوفه، وليس هناك ما يمنع تصريحه بهذا الخوف والفرع-الوجل-، كورود وصف الإكرام أو أوجه الإكرام من إطعام الضيف، كما هو وارد في سورتي هود والذاريات.

ملاحظة:

للسائل أن يسأل - في هذا الصدد- عن سبب ورود قوله تعالى ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ مُنْكَرُونَ﴾ في سورة الذاريات، فإن كان ما ورد في سورة الذاريات من وصف للإكرام في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾، فلماذا رد عليهم التحية ثم قال: ﴿قَوْمٍ مُنْكَرُونَ﴾؟، فقد يتبادر

¹ - فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص84.

² - سورة هود، الآية 69.

³ - ينظر: فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص84.

إلى الذهن للوهلة الأولى أن هذا الرد متناقض مع وصف الإكرام ورد التحية إكراما للملائكة، فما سبب ورود ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾؟.

الجواب:

الواقع أن قول إبراهيم عليه السلام ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لم يصرح به لضيوفه، وإنما قاله «تخفتنا إذ ليس من الإكرام أن يجاهر الزائر بذلك، فتقدير الكلام هم قوم منكرون»¹، فقوله ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لم يناقض ما تقدم من وصف الإكرام الوارد في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾، ولم ينقص من فعل الإحسان المتمثل في رد التحية ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾.

(5) موضع التشابه هـ:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
هود	سلاما	سلام	تغيير الحركة الإعرابية
الذاريات			

وردت (سلاما) الأولى بالنصب في قوله تعالى ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، والثانية بالرفع في قوله

تعالى ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾، فما سبب هذا التغيير في الحركة الإعرابية؟

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي (النحوي):

يعمل الزمخشري نصب (سلاما) في الأولى ورفعها في الثانية تعليلا نحويا دلاليا، فيقول: «إنه

نصب الأول لأنه مصدر سد مسد الفعل، والأصل نسلم عليكم سلاما، وهي عبارة مؤذنة بحدوث

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج26، ص 358.

التسليم عليهم، وأما سلام إبراهيم بالرفع أي عليكم سلام للدلالة على إثبات السلام، كأنه قصد أن يحيهم بأحسن مما حيوه»¹.

فالرفع كما أشار الزمخشري دال على الثبات، على عكس النصب الدال على التجدد بتجدد حدث إلقاء التحية، ومنه فالرفع أبلغ وأؤكد وأقوى معنى ودلالة من النصب، لهذا وردت تحية إبراهيم عليه السلام بالرفع لتكون تحيته أحسن وأبلغ من تحية الملائكة، وذلك من باب الإكرام، وتناسب هذا مع الإكرام الذي أحاطهم به الوارد في سورة الذاريات في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات، 24)، والوارد في سورة هود من إطعامه لضيوفه في قوله تعالى ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ (هود، 69).

ب-المقطع الثاني: الإكرام.

قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (الذاريات، 26).

قال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ (هود، 69).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الذاريات	ف	إبدال حرف بحرف
هود	أن	

سبق الفعل جاء في سورة الذاريات بالفاء، وفي سورة هود بأن، فما سبب الإبدال بين

الحرفين؟.

¹ - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 48.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

ورد قوله تعالى ﴿فَجَاءَ﴾ في سورة الذاريات بالفاء المفيدة للتراخي والترتيب الزمني؛ لأن ما في السورة يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾¹، فقوله ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ يدل على أن إبراهيم عليه السلام خاف من الملائكة حين دخولهم عليه، وهذا الخوف جعله يبطئ - قليلا - في إكرامهم، فأتبعت بالفاء الدالة على التراخي الزمني فقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾؛ أي ذهب إلى أهله وأخبرهم - خفية - بخوفه من ضيوفه المجهولين (الملائكة - قوم منكرون)، وبعدها جاءهم بعجل سمين فقال تعالى: ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ بورود الفاء، لاستلزام التسلسل في سير الأحداث ووقوع الفارق الزمني بين حدث وآخر ذكر حرف الفاء، لتؤدي معنى التعقيب والترتيب في سير الأحداث.

أما تقدم (جاء) بأن المصدرية في سورة هود لعدم التصريح في هذه الأخيرة بخوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة، بل باشر إلى إكرامهم دون إبطاء، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ الدالة على الإسراع بإكرام الضيف، و«انتفاء اللبث مبالغة في العجل»²؛ أي أنه عليه السلام عجل في إكرام الضيف وإطعامه دون إبطاء، ولهذا لم تسبق جاء بالفاء وقال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾، وشكلت (أن) مع (جاء) مصدر مؤولا سد مسد الفاعل، وتقدير الكلام فما لبث مجيء إبراهيم بعجل حنيد؛ أي ما أبطأ في إكرام ضيوفه.

¹ - سورة الذاريات، الآيات 24 - 26.

² - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص 117.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الذاريات	سمين	إبدال كلمة بكلمة
هود	حنيد	

وصف العجل في سورة الذاريات بالسمين وفي سورة هود بالحنيد، فما سبب الاختلاف فيالوصفين، و ما سبب اختصاص كل سورة بوصف معين؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

1. سورة هود :

قبل التحليل لا بد من شرح معنى كلمة حنيد الواردة في سورة هود في قوله تعالى ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾، إذ يشرح طاهر بن عاشور معناها قائلا: «العجل الحنيد هو المشوي وهو الخنوذ والشوي أسرع من الطبخ فهو أعون على تعجيل إحضار الطعام للضيف»¹.

فاستعمال لفظ (حنيد) الدال على التعجيل في الضيافة اقتضاه ما ورد من مبالغة في تعجيل إبراهيم عليه السلام في إكرام ضيوفه وذلك في قوله تعالى ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ الدالة على التعجيل بأسرع مما ورد في قوله تعالى ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ الوارد في سورة الذاريات، لأن انتفاء اللبث (فما لبث) أقوى وأبلغ دلالة وأسرع وقوعا من قوله ﴿فَجَاءَ﴾، وهذا الإسراع والتعجيل في إكرام الضيوف لزم تعجيلا في طبخ الطعام وتقديمه، وحصول ذلك يكون بطبخ العجل مخنوذا، إذ تعد هذه الطريقة في الطبخ أسرع وأعون على تعجيل إحضار الطعام للضيف، وهذا التعجيل في الضيافة تقدم ذكرها في قوله تعالى ﴿فَمَا لَبِثَ﴾.

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المرجع السابق، ج12، ص 117.

وخلاصة القول : أن وصف العجل بالحنيد في سورة هود، وذلك قوله تعالى ﴿بِعَجَلٍ حَنِيدٍ﴾¹ الدال على طريقة الطبخ السريعة استلزمته سرعة إبراهيم عليه السلام في التعجيل في إكرام ضيوفه- الملائكة-، والواضح في قوله تعالى ﴿فَمَا لَبِثَ﴾.

2. سورة الذاريات:

أما اختصاص وصف العجل بأنه سمين في سورة الذاريات، الوارد في قوله تعالى ﴿فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾، للدلالة على حسن ضيافة إبراهيم عليه السلام وكرمه وجوده، إذ اختار إبراهيم عليه السلام عجلا سمينا لإكرام ضيوفه، وهذا ما جاء مناسبا لما تقدمه من وصف ضيوفه عليه السلام بأنهم مُكْرَمُونَ، وذلك في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾¹.

أي أن إبراهيم عليه السلام أكرم الملائكة عن طريق تضييفهم بعجل سمين، وكأن قوله تعالى ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ يفسر معنى قوله ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾، واختياره-عليه السلام- عجلا سمينا دليل على إكرامه للملائكة، وذلك عن طريق تقديم أجود ما لديه من الماشية ﴿بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ ، ولهذا وصفوا بالْمُكْرَمِينَ.

ملاحظة:

قد يسأل السائل عن سبب عدم الإخبار بإكرام إبراهيم عليه السلام للملائكة وتقديم العجل لهم في سورة الحجر، على عكس ما ورد من تصريح وإعلام في سورتي هود والذاريات، فما سبب حذف هذا المقطع من القصة في سورة الحجر؟.

الجواب : إن السبب في طي خبر إطعام إبراهيم عليه السلام لضيوفه في سورة الحجر عائد إلى «الحالة النفسية لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وما صرَّح به من شدة الفزع، جعلت المقام لا يتناسب

¹ - سورة الذاريات، الآية 24.

وذكر التكريم، فإن التكريم يحتاج إلى انشراح نفسي وانفتاح، وهو غير موجود في آيات الحجر، بل إن كل تعبير فيها يدل على القلق وعدم الارتياح»¹.

فمقام سورة الحجر وما تضمنه من إعلام عن القلق والخوف الكبير الذي اعترى إبراهيم عليه السلام وأهله، وتصريحه بذلك في قوله ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ اقتضى حذف فصل الإكرام وتقديم العجل؛ لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن في حالة نفسية تسمح له بتقديم الأكل لهم، نظرا لفرعه وخوفه الكبير من إقبال الملائكة عليه.

ج- المقطع الثالث: امتناع الملائكة عن الأكل.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود، 70).

قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات، 28).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	نكرهم	الحذف والذكر
الذاريات	//	

ذكر الفعل (نكرهم في سورة هود وحذف في سورة الذاريات، فما سبب الحذف والذكر

الواقع في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

¹ - فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 86.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

حذف (نكرهم) في سورة الذاريات لتقدم ذكره في بداية القصة في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾¹، ولما لم يتقدم ذكر (النكر) في بداية القصة في سورة هود حسن ذكر ذلك في قوله تعالى ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

ويقود هذا التحليل إلى سؤال آخر هو: لماذا قال في سورة هود ﴿نَكِرَهُمْ﴾ بالصيغة الفعلية، وفي سورة الذاريات بالصيغة الاسمية ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، وما الداعي إلى هذا الاختلاف في الصيغتين؟.

الجواب: إنّ ما وقع في سورة الذاريات أسبق وجودا مما وقع في قوله ﴿نَكِرَهُمْ﴾ الواردة في سورة هود، بمعنى آخر أن التعبير عن (النكر) بالصيغة الاسمية في قوله ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أثبت دلالة من التعبير عنه بالفعل (نكرهم)؛ ذلك أن إبراهيم عليه السلام - في سورة الذاريات - نكر الملائكة حين دخلوا عليه ودام ذلك إلى حين تبشيره بالغلام، فكان النكر هنا أطول زمنا وحالا مما وقع في سورة هود في قوله ﴿نَكِرَهُمْ﴾؛ إذ لم يتم فعل (النكر) في هذه السورة إلا بعد أن رأى أيديهم لا تصل إلى العجل، وذلك في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾، فلم يقع فعل (النكر) في سورة هود إلا بعد إكرامهم بالأكل على عكس ما ورد في الذاريات، إذ وقع في هذه الأخيرة فعل النكر قبل إكرامهم، بل حين دخولهم عليه.

ولهذا لاءم ذكر ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ بالصيغة الاسمية - في سورة الذاريات - الدالة على الثبات والدوام؛ لأن الذكر فيها أسبق وقوعا وأدوم حالا وأثبت حدوثا، مما ورد في سورة هود، إذ ناسب التعبير على النكر فيها بالصيغة الفعلية ﴿نَكِرَهُمْ﴾ الدالة على التجدد والاقتران على زمن حدوث الفعل.

¹ - سورة الذاريات، الآيتان 24 - 25.

إضافة إلى التحليل السابق، يمكن إضافة توجيه آخر، مفاده أن المعنى الذي تضمنه قوله ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ يختلف عن المعنى الذي أفاده قوله ﴿نَكَرَهُمْ﴾، إذ يفيد الأول - الوارد في سورة الذاريات - بأن إبراهيم عليه السلام نكرهم لكونهم غرباء لا يعرفهم، وأما ما ورد في سورة هود في قوله ﴿نَكَرَهُمْ﴾ فإنه يدل على أن إبراهيم عليه السلام نكرهم لما رأهم لا يأكلون، أي ارتاب منهم ولم يعرف إن كانوا يضمرون له الشر أو الخير.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الذاريات	ف	إبدال حرف بحرف
هود	و	

عطف الفعل (أوجس) بالفاء في سورة الذاريات وبالواو في سورة هود، فما وجه الاختلاف في العطف في السورتين؟

التحليل اعتماداً على سياق الآية:

اقتضت الآية الواردة في سورة الذاريات عطف (أوجس) بالفاء، لأن الوجس أو الخوف - هنا- وقع بعدما رأى إبراهيم عليه السلام امتناع ضيوفه عن الأكل، و«عادة الناس في ذلك الزمان إذا كان النازل بالبيت يضمراً شراً لمضيفه لا يأكل، لأن أكل طعام القرى كالعهد على السلامة من الأذى»¹، فلما لاحظ إبراهيم عليه السلام عزوف ضيوفه - الملائكة- عن الأكل خاف منهم، لأنه ظنهم أناساً يضمرون له الشر، ورفضوا الأكل حتى لا تكون مسالمة -أو عهد سلام- بينهم.

¹ - طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص 117.

وبذلك كان الخوف مرحلة تابعة لملاحظة إبراهيم عليه السلام امتناع الملائكة عن الأكل، لهذا عطفت (أوجس) الواقعة في سورة الذاريات بالفاء الدالة على التعقيب والترتيب الزمني، لأنها - أوجس - مرحلة ناتجة عن الملاحظة.

أما عطف (أوجس) بالواو الجامعة في سورة هود، لأن معنى (نكرهم) و(أوجس) متعلقان ببعضهما بعضاً؛ فقله ﴿نَكْرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أنه ارتاب لأمرهم وأحس بالخوف منهم، فالفعلان متعلقان ببعضهما بعضاً، ولهذا تم عطف (أوجس) بالواو الجامعة على (نكرهم) لتعلقه بها.

د- المقطع الرابع: البشارة.

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ (هود، 70).

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات، 28).

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الحجر، 53).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
هود، الذاريات	تخف	قالوا لا	إبدال كلمة بكلمة
الحجر	توجل		

وردت طمأننة الملائكة لإبراهيم عليه السلام في سورتي هود والذاريات بقولهم (لا تخف)، وفي

سورة الحجر بقولهم (لا توجل)، فماسبب الإبدال بين الكلمتين؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

ورد في سورتي هود والذاريات قوله ﴿لَا تَخَفْ﴾ لمناسبة ما تقدمها في كلتي السورتين، فقال تعالى في سورة هود: ﴿نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ (هود، 70)، وفي سورة الذاريات: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ (الذاريات، 28)، فاقتضى الخوف الذي أحس به إبراهيم عليه السلام وأخفاه عن ضيوفه - الملائكة - إكراما لهم، أن تكون إجابة الملائكة بطمأنته حسب درجة خوفه الصامت، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾.

أما ورود إجابة الملائكة الكرام في سورة الحجر في قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ بهذه الصيغة اقتضاها ما تقدمها في قوله تعالى ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾¹، فلما صرح إبراهيم عليه السلام بفرعه وروعه - هو وأهله- من دخول الملائكة عليه بالصيغة الاسمية (وجلون) وأداة التوكيد (إنا) في قوله ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ للمبالغة في التعبير عن خوف أهل البيت من الضيوف، ناسب ذلك إجابة الملائكة المطمئنة له بقولهم: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾، والتي وردت حسب درجة خوفه الكبيرة المعبر عنه بالوجل، لأنه أبلغ وأكبر درجة من الخوف.

(2) موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
إبدال جملة بجملة	إنا أرسلنا إلى قوم لوط	هود
	وبشروه بسلام عليم	الحجر
	إنا نبشرك بسلام عليم	الذاريات

¹ - سورة الحجر، الآية 52.

وردت البشارة في سورتي الحجر والذاريات، وعدل عن ذلك في سورة هود في قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾، فماسبب الإبدال بي الجملتين ؟.

التحليل: إنَّ عدم ورود البشارة في سورة هود راجع إلى سببين:

- السياق الخارجي (الغرض):

لم ترد البشارة في سورة هود وإنما أردف بقوله تعالى ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾؛ لأن الغرض من ذكر القصة في سورة هود هو « الموعظة بمصير قوم لوط إذ عصوا رسول ربهم فحل عليهم العذاب، ولم تغن عنهم مجادلة إبراهيم، وقدمت قصة إبراهيم لذلك للتبويه بمقامه عند ربه على وجه الإدماج»¹.

فتقدّم في سورة هود إخبار الملائكة بإبراهيم عليه السلام بأنهم أرسلوا إلى قوم لوط عن إعلامه بالبشارة، لأن المقام - هنا - هو مقام خاص بسرد قصة سيدنا لوط عليه السلام ومصير قومه الكافرين، ولهذا أختصر التصريح بالبشارة، وقدّم الإعلام بقرب هلاك قوم لوط، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ. وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود، 70 - 71).

- السياق اللغوي:

قد يكون عدم ذكر البشارة في سورة هود بعد قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ لتقدم الإخبار عنها في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾²، فقوله (البشرى) أغنت عن ذكرها مرة أخرى بعد قوله تعالى ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، وما وقع بعد إعلام قرب هلاك قوم لوط من بشارة كان مختصاً بامرأة إبراهيم عليه السلام، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا

¹ - طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 117.

² - سورة هود، الآية 69 .

يٰٓاِسْحٰقَ وَمِنْ وَّرَآءِ اِسْحٰقَ يٰعِثْبُوْبَ. قَالَتْ يَا وَيْلَتَىْ اَآلِدُ وَاَنَا عَجُوْزٌ وِهٰذَا بَعْلِى شَيْخًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيْبٌ ﴿٧١-٧٢﴾ (هود، 71-72).

ونظير ذلك ما وقع في سورة العنكبوت في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيْمَ بِالْبَشْرِىْ قَالُوْا اِنَّا مُهْلِكُوْكُمْ اَهْلَ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ اِنَّ اَهْلَهَا كَانُوْا ظٰلِمِيْنَ﴾ (العنكبوت 31)، فلم يرد في هذه الآية إعلام الملائكة بالبشارة لإبراهيم عليه السلام لتقدم التصريح بها في بداية الآية في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيْمَ بِالْبَشْرِىْ﴾، وما تقدم - أيضا- من إعلام البشارة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَجَعَلْنَا فِيْ ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتٰبَ وَآتَيْنَاهُ اَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَاِنَّهٗ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰحِحِيْنَ﴾¹، فنظرا لسبق التصريح بالبشرى في قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ﴾ طوى ذلك في الآية الواحدة والثلاثين.

هـ- المقطع الخامس:

قال تعالى: ﴿اِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰمٍ عَلِيْمٍ﴾ (الحجر 53).

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلٰمٍ حَلِيْمٍ﴾ (الصافات 101).

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرُوْهُ بِغُلٰمٍ عَلِيْمٍ﴾ (الذاريات 28).

1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير صيغة	إنا نبشرك	الحجر
	فبشرناه	الصافات
	وبشروه	الذاريات

¹ - سورة العنكبوت، الآية 27.

وردت البشارة بصيغة فعلية في سورة الصافات ﴿فَبَشِّرْنَاهُ﴾، وفي سورة الذاريات ﴿وَبَشِّرُوهُ﴾، وبصيغة اسمية مؤكدة في سورة الحجر ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾، فما سبب الاختلاف في هذه الصيغ؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

1. بين سورتي الذاريات والحجر:

قال تعالى الذاريات ﴿وَبَشِّرُوهُ﴾ بصيغة فعلية مقترنة بضمير الغائب، وفي سورة الحجر ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ بصيغة اسمية مؤكدة مكوّنة من (إِنَّا) والفعل (نُبَشِّرُكَ) بصيغة المتكلم، فما سبب هذا الاختلاف؟.

الجواب: يعيد فاضل صالح السامرائي اختلاف الصيغتين في الآيتين الكريمتين إلى سببين:

أولهما: أن إبراهيم عليه السلام لما واجه الملائكة « بالوجل منهم في سورة الحجر واجهوه بالبشرى، فإنه لما قال لهم ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ قالوا له: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾، ولما لم يواجههم بذلك في سورة الذاريات ذكره بصيغة الغيبة ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لم يواجهوه بالبشرى، بل وردت بصيغة الغيبة أيضا ﴿وَبَشِّرُوهُ﴾¹.

فاختلاف طبيعة البشارة بين المتكلم والغائب، سببه الاختلاف في التعبير عن الخوف الذي سبق كل آية، فقال في سورة الذاريات: ﴿فَأَوْجَسَ﴾ فقابلتها البشارة بالصيغة المناسبة لها ﴿وَبَشِّرُوهُ﴾، وقال في سورة الحجر ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ فقابلتها بشارة بالصيغة المشابهة لها ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾.

¹ - فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 86.

وثانيهما: أن وقوع البشرى في سورة الذاريات بالصيغة الفعلية وفي سورة الحجر بالصيغة الاسمية، ليناسب ما قبلها من سرد خوف إبراهيم عليه السلام، فلما « ذكر الوجل منهم بالصيغة الاسمية الموكدة في سورة الحجر في قوله ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ بشروه بالصيغة الاسمية أيضا ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكُمْ﴾، ولما ذكر الخوف منهم بالصيغة الفعلية في سورة الذاريات ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ بشروه بالصيغة الفعلية - أيضا- ﴿وَبَشَّرُوهُ﴾¹ .

والأمر في هذه النقطة لا يتوقف فقط على المناسبة اللفظية بين صيغة الخوف والبشارة، وإنما يكمن السر في استعمال الصيغة الاسمية ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكُمْ﴾ في سورة الحجر، والصيغة الفعلية في ﴿وَبَشَّرُوهُ﴾ في سورة الذاريات إلى ما تتميز به الجملة الاسمية عن الفعلية من الثبات والدوام، على عكس الفعلية التي تفيد التجدد والاختصار على زمن الحدوث، فالجملة الاسمية - كما هو معلوم-أبلغ دلالة وأقوى تعبيراً ومعنى من الجملة الفعلية.

ولأن حالة الخوف في سورة الحجر ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ كانت أقوى درجة مما وردت في سورة الذاريات ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قابلتها زيادة في طمأنة إبراهيم عليه السلام وأهله، وذلك بالتصريح بالبشارة بالصيغة الاسمية ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكُمْ﴾؛ لأنها أعون على طمأنة إبراهيم عليه السلام وأهله من الفرع الكبير الذي حلّ بهم حين دخول الملائكة عليهم، وقابل الإحساس بالخوف غير المصرح به في سورة الذاريات ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ التصريح بالبشارة بالصيغة الفعلية لأنها أخف دلالة من الجملة الاسمية، وذلك ليناسب درجة الخوف الخفيفة المعبر عنها في قوله تعالى ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

¹ - فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، المرجع السابق، ص 87.

2. سورة الصافات:

وردت البشارة في سورة الصافات بقوله تعالى ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ على عكس ما ورد في سورتي الحجر والذاريات ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ ﴿وَبَشِّرُوهُ﴾؛ لأن البشارة هنا - في سورة الصافات - مسندة إلى الله عز وجل، أما البشارة في سورتي الحجر والذاريات فهي مسندة إلى الملائكة، أي أن الملائكة هم الذين حلّوا ضيوفا على إبراهيم عليه السلام وبشروه بالغلام، ولهذا السبب لم تقص سورة الصافات تفاصيل واقعة البشري على عكس ما حكي في سورتي الذاريات والحجر.

وعطف قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْنَاهُ﴾ في سورة الصافات بالفاء التي تفيد الجزاء؛ لأن الله تعالى لما ذكر في سورة الصافات ما أصاب إبراهيم عليه السلام من ابتلاءات في سبيل نشر دين الحق ومثيل ذلك إلقاءه في النار ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات، 97)، كافأه الله عز وجل على صبره وتجلده بأن رزقه بغلام حلِيم، فقال عز وجل: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ جزاءً لإبراهيم عليه السلام على ما تكبده من ظلم وجور من قبل قومه.

وقد تكون الآية الكريمة ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ جواباً لدعاء إبراهيم عليه السلام الوارد في قوله تعالى ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾¹، فكانت استجابة الله عز وجل لدعاء إبراهيم عليه السلام بأن رزقه بغلام حلِيم.

(2) موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
إبدال كلمة بكلمة	عليم	بغلام	الحجر، الذاريات
	حلِيم		الصافات

¹ - سورة الصافات، الآية 100.

وصف الغلام في سورتي الحجر والذاريات بالعليم، وفي سورة الصافات بالحليم، فما سبب اختلاف الوصف في سورة الصافات عما ورد في سورتي الحجر والذاريات؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (السياق اللغوي):

يعزو الغرناطي سبب وصف الغلام بالحليم في سورة الصافات إلى ما تلا الآية من قص لحكاية الذبيح الواردة في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (الصافات، 102)، فيقول: «تلقى الذبيح عليه السلام ما أخبره به أبوه لعلمه أنه من أمر الله بالرضا والصبر (...) ومعنى حليم صابر محتمل عظيم العقل (...)، فأحسن عليه السلام جواب أبيه معزيا محتسبا بنفسه، فناسب ورود هذا الموضع ورود وصف الذبيح بالحلم»¹.

فوصف الغلام بالحليم لمناسبة ما أبرزه الذبيح من صبر على الابتلاء العظيم المتمثل في الذبح، وذلك ظاهر في قوله تعالى على لسان الذبيح عليه السلام ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات، 102)، وبذلك تطلب السياق في آية الصافات ورود وصف (الحليم) لمناسبة ما ذكر من صبر الذبيح على الابتلاء الذي حلّ به وبوالده الخليل عليهما السلام، لأن الصبر العظيم هو معنى الحلم وعينه.

أما وصف الغلام بالعليم في سورتي الحجر والذاريات؛ «لأنه لم يرد في الآيتين (...) ذكر الأمر بالذبح، ناسبها الوصف بالعلم وصفه بالأنبياء»²، فنظرا لعدم تضمن سياق سورتي الحجر والذاريات سردا لقصة الذبيح عليه السلام أغنى ذلك عن وصف الغلام بالحليم، لحذف هذه القصة في السورتين، وأكتفي بوصفه بالعليم لكونها صفة الأنبياء.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج2، ص726.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

رابعاً-متفرقات:

يتناول هذا الجزء من البحث تحليل مقاطع مختلفة من قصة إبراهيم عليه السلام وردت في مواضع متفرقة من سور القرآن الكريم.

أ- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة، 114).

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود، 75).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
التوبة	أواه	حلِيم	التقديم والتأخير
هود	حلِيم	أواه	

قدم وصف (أواه) على (حلِيم) في سورة التوبة، وجرى عكس ذلك في سورة هود، فما سبب وقوع التقديم والتأخير في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتماداً على سياق النظم (سياق المقال):

يعود سبب التقديم والتأخير بين كلمتي (حلِيم) و(أواه) إلى سياق النظم للسورتين، ففي سورة التوبة وصف إبراهيم عليه السلام أولاً بالأواه ثم الحلِيم، لأن الآية تبين «أن إبراهيم عليه السلام مع غلظة أبيه وقساوته (...). لفرط ترحمه ورأفته وعلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له، فناسب هذا المراد مع ما وصف به إبراهيم (أواه) الذي هو معنى التفجع»¹.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، المصدر السابق، ج1، ص604.

ولهذا قدمت (أواه) على (حليم)، لأن الآية تحمل دلالة التأوه والرحمة والشفقة، ولكونها أنسب لاستغفار إبراهيم عليه السلام، الوارد في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ (التوبة، 114)، وهذا الاستغفار وجه من أوجه التأوه والرحمة والشفقة.

أما تقديم وصف (حليم) عن (أواه) في سورة هود لمناسبة ما ذكر فيها من « مجادلته في قوم لوط، لأن الحليم بطيء الغضب لا يجب المعاجلة بالعقاب بل يفضل التأني والتأخير والعفو، وذلك موضوع مجادلته في قوم لوط»¹، فتقدم وصفه-عليه السلام- بالحليم في سورة هود، لملاءمة ما جرى من مجادلته للملائكة في قوم لوط، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود، 74)، وأردفت هذه الآية بوصف الحليم وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود، 75)، فناسب كل وصف الموضع والموطن الذي ورد فيه.

2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
التوبة	لأواه حليم	إن إبراهيم	الزيادة والنقصان
هود	حليم أواه		

زيد في وصف إبراهيم عليه السلام في سورة هود بقوله تعالى ﴿مُنِيبٌ﴾، ونقصت هذه الزيادة

في سورة التوبة، فما سبب وقوع الزيادة والنقصان في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

¹ - محمد فاروق الزين، بيان النظم في القرآن الكريم، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004، الربع 2، ص 342.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

زاد في الوصف في سورة هود بقوله ﴿مُنِيبٌ﴾، ونقصت هذه الزيادة في سورة التوبة؛ وذلك لأنه « لم يذكر في سورة التوبة عن إبراهيم إلا آية واحدة (...) وليس قبلها أو بعدها شيء يتعلق بذكر إبراهيم، في حين فصل في ذكر إبراهيم في سورة هود وذكر شأنه مع الملائكة (...) فلما زاد في الكلام على إبراهيم زاد في وصفه»¹، فرافقت الزيادة في التفصيل زيادة في الوصف، وقابل الإيجاز في السرد إيجازا في الوصف.

ب- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام، 84).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم، 49).

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (الأنبياء، 72).

1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
الزيادة والنقصان	وهبنا	و	الأنعام، الأنبياء
		//	مريم

¹ - فاضل صالح السامرائي، من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، ط1، 2009، ص 107.

عطف قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا﴾ في سورتي الأنعام والأنبياء بالواو ونقصت الواو العاطفة في سورة مريم، فما سبب هذه الزيادة والنقصان؟.

التحليل اعتمادا على السياق النحوي:

عطف فعل (وهبنا) في سورتي الأنعام والأنبياء بحرف الواو، ولم يقع ذلك في سورة مريم؛ وذلك بسبب ما استدعاه السياق النحوي لكل آية، إذ عطف قوله ﴿وَوَهَبْنَا﴾ في سورة الأنعام على ﴿آتَيْنَا﴾¹، أي عطف على قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام، 83)، وهذا معناه أن الله عز وجل آتى إبراهيم عليه السلام الحجج الذي قارع بها قومه، وأضاف إلى ذلك أن وهب له إسحاق ويعقوب عليهما، فلزم ذلك عطف ﴿وَوَهَبْنَا﴾ على الآية المتقدمة عنها.

ووقع عطف ﴿وَوَهَبْنَا﴾ في سورة الأنبياء على قوله تعالى ﴿وَوَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾²، فجمعت الواو بين الإنجاء والهبة (الرزق)، ومعنى الكلام (إضافة إلى إنجائه وهبنا له إسحاق ويعقوب)، فجمع بين الجزئين لتعلقهما بإبراهيم عليه السلام.

وحذفت الواو في سورة مريم في قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾، بسبب ما تقدم في هذه الآية الكريمة من قوله عز وجل ﴿فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (مريم، 49)؛ أي أنه لما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه وما يعبدونه من أوثان «آنسنا وحشته بولد»³، فكان قوله ﴿وَوَهَبْنَا﴾ متصلا بما سبقه من حكي ومكملا للسرد، ولهذا لم يلزم ثبوت (واو العاطفة) لاتصال ﴿وَوَهَبْنَا﴾ بقوله ﴿فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

¹ - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص 316.

² - سورة الأنبياء، الآية 71.

³ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، ج13، ص 461.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأنعام، مريم	إسحاق ويعقوب	الزيادة والنقصان (زيادة كلمة)
الأنبياء	نافلة	

زيدت في سورة الأنبياء كلمة (نافلة) في قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، ونقصت هذه الزيادة في سورتي الأنعام ومريم، واكتفى بقوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، فما سبب هذه الزيادة؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

ورد في تفسير القرطبي (ت671هـ) أن معنى (نافلة) «زيادة (...). ويقال لولد الولد نافلة لأنه زيادة»¹، فوردت لفظة (نافلة) - والتي تعني الزيادة- في سورة الأنبياء لتتناسق مع ما صرح به - في هذه السورة- من الابتلاءات التي تعرض إليها إبراهيم عليه السلام، ابتداءً من تحطيمه للأصنام الوارد في قوله تعالى ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء، 57- 58)، وعزم قومه على حرقه ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء، 68)، وصولاً إلى تنجيته من كيدهم المريع ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء، 69- 70).

فهذه الزيادة في سرد الأحداث والتصريح بالابتلاءات التي أصابت إبراهيم عليه السلام، ناسبها ذكر لفظ (نافلة) دلالة على زيادة الجزاء، فكأنه قال وهبنا له يعقوب كزيادة في الجزاء على ما لقيه

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج14، ص 230.

من قومه، وصبره وتجلده على ذلك البلاء المريع، فلزمت الزيادة في البلاء زيادةً في الجزاء، ولهذا قال:
﴿ نَافِلَةٌ ﴾.

وحذفت (نافلة) في سورتي الأنعام ومريم لعدم التصريح فيهما بما لقيه إبراهيم عليه السلام من كيد قومه المتمثل في حرقه، إذ اكتفى في سورة الأنعام بسرد تويخ إبراهيم عليه السلام لأبيه على عبادته للأصنام وتبرئه مما يشركون، واقتصر في سورة مريم بسرد نصح إبراهيم عليه السلام لأبيه بترك عبادة الأوثان، فتطلب طي بلاء الحرق إجمالاً في الجزاء، ولهذا السبب حذفت (نافلة) في سورتي الأنعام ومريم.

3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأنعام	//	الزيادة والنقصان
مريم، الأنبياء	و	

عطف ﴿كُلًّا﴾ في سورتي مريم والأنبياء بالواو، ولم يقع ذلك في سورة الأنعام، فما سبب ورود الزيادة والنقصان في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتماداً على سياق النظم:

سبقت (كلا) بالواو في سورة مريم وذلك في قوله تعالى ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾؛ لأن قوله: ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ متعلق بإسحاق ويعقوب فقط؛ أي أننا وهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلناهما أنبياء، ولذلك وجب ورود حرف الواو هنا.

وعطف قوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ بالواو العاطفة؛ لأن قوله ﴿كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ متعلق بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، ومعنى الكلام (وهبنا له إسحاق

ويعقوب وجعلناها صالحين)، فحسن ورود الواو العاطفة التي جمعت بين الهبة وصلاح الأولاد (إسحاق ويعقوب).

وحذفت الواو في سورة الأنعام في قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾؛ لأن الهداية هنا متعلقة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، فلم ترد الواو في هذه الآية حتى لا يتوهم أن الهداية متعلقة بإسحاق ويعقوب فقط، وما يعضد هذا الرأي - بأن الهداية تخص إبراهيم وذريته ومن سبقه من أنبياء- قوله تعالى ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾¹، فتعلقت الهداية - هنا- بالجميع ولم تقتصر على إسحاق ويعقوب فقط، ولهذا السبب لم تعطف ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ بالواو، لعدم تطلب سياق الآية ذلك.

4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
الأنعام	هدينا		إبدال كلمة بكلمة
مريم	كلا	نجيا	
الأنبياء		صالحين	

أتبع قوله تعالى ﴿كُلًّا﴾ في سورة الأنعام بقوله ﴿هَدَيْنَا﴾، وفي سورة مريم بقوله ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾، وفي سورة الأنبياء بقوله ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾، فما سبب التغيير في هذه العبارات؟.

¹ - سورة الأنعام، الآية 84.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

1. سورة الأنعام:

اختصت آية الأنعام بقوله ﴿هَدَيْنَا﴾ لتناسب مع ما تقدمها من سرد لقصة هداية الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام في رحلة بحثه عن حقيقة المعبود؛ إذ ظنه في الأول كوكبا ثم قمرا ثم شمسا، وبعد هذه الرحلة طلب إبراهيم عليه السلام الهداية لمعرفة دين الحق، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ لئن لم يهدينِّي ربِّي لأكوننَّ من القوم الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام، 77)، فاستجاب الله لدعائه، وهداه إلى دين الحق وعبادة الله وحده سبحانه وتعالى، وذلك وارد في قوله تعالى ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾¹، وقوله تعالى ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ بمعنى أننا هدينا الرسل مثلما هدينا إبراهيم إلى دين الحق، فوافق ورود ﴿هَدَيْنَا﴾ مع ما تقدم من سرد لقصة الهداية إبراهيم عليه السلام في أول الحكى.

2. سورة مريم:

قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ لمواءمة ما تقدم في فاتحة قصة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾²، فلما صرَّح في بداية القصة بنبوة إبراهيم عليه السلام، تابع ذلك التصريح بنبوة إسحاق ويعقوب عليهما السلام في قوله تعالى ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ فجاءت خاتمة القصة متناسقة مع فاتحتها.

3. سورة الأنبياء:

أما ورود قوله ﴿صَالِحِينَ﴾ في سورة الأنبياء في قوله تعالى ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ عوضا عن ﴿نَبِيًّا﴾ الواردة في سورة مريم، لعدم التصريح في هذه السورة - سورة الأنبياء - بنبوة إبراهيم عليه السلام.

¹ - سورة الأنعام، الآية 77.

² - سورة مريم، الآية 41.

ويفسر القرطبي قوله تعالى ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ قائلاً: « أي جعلناه صالحاً عاملاً بطاعة الله، وجعلهم صالحين إنما يتحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم، وتخلق القدرة على الطاعة»¹، وجاء هذا المعنى متناسباً ومتلائماً مع ما حكى - آنفأ - عن تجلد إبراهيم عليه السلام وصبره ومقدرته على طاعة الله سبحانه وتعالى، وذلك بالرغم مما واجهه من مكائد ومصائب من قبل قومه.

ج- المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام، 84).

قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصفات، 80 / 105 / 121 / 131)

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصفات 110).

1 موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأنعام	و	الزيادة والنقصان
الصفات 110	//	(زيادة حرف)

عطف آية الأنعام بالواو وذلك في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ولم يفع ذلك في آية الصفات في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصفات، 110)، فما سبب هذه الزيادة؟.

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص 231.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

سبقت آية الأنعام في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بالواو الرابطة تكملة لما قبلها، وربطاً مع ما تقدمها من قوله عز وجل ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾¹؛ أي أننا جازيناه وكافأناه على رفضه لعبادة الأوثان بوهبنا له إسحاق ويعقوب وداوود وسليمان وهارون.

أما حذف الواو في آية الصافات في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات، 110)؛ لأنها آية مستأنفة غير معطوفة على ما قبلها، ومعنى الآية أننا نكافئ كل من صبر ولم يعترض على ما أصابه من ابتلاءات بالإحسان.

2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأنعام	//	توكيد
الصافات 105	إِنَّا	

وقع التوكيد ب(إِنَّا) في سورة الصافات في قوله تعالى ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات، 105)، ولم يقع ذلك في سورة الأنعام، فماسبب التوكيد الحاصل في آية الصافات؟.

¹ - سورة الأنعام، الآية 84.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (القصة):

وكّد قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في سورة الصافات ب(إنا) وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات، 105)، ولم يقع هذا التوكيد في آية الأنعام، واكتفى بقوله ﴿وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ دون توكيد، لأن السياق في آية الصافات تطلب ذلك؛ إذ ذكرت سورة الصافات مجموع الابتلاءات التي مر بها إبراهيم عليه السلام من إلقائه في النار ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات، 97)، وأمر الله عز وجل له بذبح ابنه في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى. قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات، 102)، فناسب تعداد البلاءات التي أصابت إبراهيم عليه السلام توكيدا على الجزاء، وذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ليكون الجزاء أبلغ وأقوى وأوكد، وذلك تلاؤما مع عظم ما ابتلي به إبراهيم عليه السلام.

واكتفى في سورة الأنعام بقوله ﴿وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ دون توكيد، لعدم ذكر تلك الابتلاءات التي مر بها إبراهيم عليه السلام في هذه السورة الكريمة، فلم يقتض ذلك ثبوت التوكيد.

3) موضع التشابه ج:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	الآية
الحذف والذكر	كذلك نجزي المحسنين	إنا الصافات 131/121/80
		// الصافات 110

اختتمت قصص الرسل التي وردت في سورة الصفات بقوله تعالى ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ومنها قصة نوح، وقصة موسى وهارون، وقصة إيلياس، واختتمت قصة إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بحذف (إنّا)، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

وقع حذف (إنّا) في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصفات، 110) « اختصارا واكتفاء بذكره له قبل في قصته بقوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾¹، فنظرا لسبق التصريح بالتوكيد في قوله تعالى ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصفات، 105)، اكتفى بها دون إعادة ذكرها في الآية المتأخرة عنها، وذلك في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصفات، 110) تجنباً للتكرار.

د- المقطع الرابع:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَانَّخُدُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة، 125).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج، 26).

1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير الضمير	أن طهرا	البقرة
	طهر	الحج

¹ - الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، ص 483.

ورد الفعل (طَهَّر) بصيغة المفرد في آية الحج، وبصيغة المثنى في آية البقرة، فما سبب التغيير في

الصيغتين؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

يمكن تحليل هذا الموضوع من المتشابه اللفظي وتوجيهه من ثلاث زوايا:

- زمن السرد:

إن الكلام الوارد في آية الحج واقع قبل وجود البيت، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾؛ أي «دللنا لإبراهيم موضع البيت فبناه ولم يكن له أثر ولا أساس، لأن البيت كان أيام الطوفان مرفوعا قد رفعه الله إلى السماء، وهو البيت المعمور»¹، وهذا يحتمل وقوع الخطاب قبل ولادة إسماعيل عليه السلام بالنظر إلى زمن السرد المتمثل في الفترة التي سبقت وجود البيت، ولهذا خصص قوله عز وجل لإبراهيم عليه السلام دون ابنه لعدم ولادة هذا الأخير في الحقبة الزمنية المحكية عنها في آية الحج (قبل وجود البيت).

أما الكلام الوارد في آية البقرة فوقع بعد وجود البيت، ودليل ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي « مرجعا يثوب إليه أعيان الزوار أو أمثالهم، أو موضع ثواب يثابون بحجة واعتماد»²، فيحتمل أن يكون الكلام الواقع - هنا - بعد ولادة إسماعيل عليه السلام، لما يدل عليه السرد من وجود البيت وعمارته، ولهذا أدخل في الحكى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فجاءت صيغة التطهير بالمثنى في قوله ﴿أَنْ طَهَّرَا﴾ لتعلقها بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

¹ - السمرقندي، بحر العلوم، تح: علي محمد عوض وآخران، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993، ج2، ص 391.

² - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص 105.

- متلقي الخطاب:

وجه الله عز وجل الخطاب في آية الحج إلى إبراهيم عليه السلام وحده دون ابنه في قوله ﴿طَهَّرْ بَيْتِي﴾؛ لأن الخطاب هنا مباشر وصريح؛ إذ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بعبادته وتطهير بيته، وذلك واضح في قوله عز وجل ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي﴾، فكان الأمر مخصصاً له بوصفه أباً للأنبياء وأول من تبرأ من عبادة دون الله، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾¹، وأول من أعلن الإسلام ديناً له، ولهذا قال: ﴿طَهَّرْ بَيْتِي﴾ المتعلق بإبراهيم عليه السلام.

أما ما ورد في سورة البقرة من قوله تعالى ﴿أَنْ طَهَّرَا﴾، فإنه لم يرد تصريح بأمر التطهير قولاً، وإنما عبر عنه كناية بالمعنى، فقوله تعالى ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾؛ أي أننا سلّمنا مهمة التطهير لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فلم يكن الأمر هنا مصرحاً به بالقول وإنما بالمعنى، لهذا شمل المعنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

- صيغة الخطاب:

قد سبق قوله ﴿طَهَّرْ﴾ في آية الحج التصريح بإبراهيم عليه السلام دون ابنه، وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي﴾، فلما اقتصر التصريح على إبراهيم عليه السلام دون ابنه اكتفى بالتعبير عن فعل التطهير بصيغة المفرد (طَهَّر) العائدة على إبراهيم عليه السلام فقط.

¹ - سورة الزخرف، الآيات 26-28.

ولما سبق قوله ﴿أَنْ طَهَّرَا﴾ في آية البقرة ذكر لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله تعالى ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾، ناسبه ورود فعل التطهير بصيغة المثنى ﴿طَهَّرَا﴾ لدالاتها على إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام المخبر عنهما فيما تقدم من سرد في قوله تعالى ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
الحج	القائمين	للطائفين و العاكفين	إبدال كلمة بكلمة
البقرة	والركع السجود		

وردت كلمة (القائمين) في سورة الحج في قوله تعالى ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، وعدل عنها في سورة البقرة إلى كلمة (العاكفين)، وذلك في قوله تعالى ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، فما سبب هذا الإبدال بين الكلمتين؟.

التحليل اعتمادا على سياق السورة:

يرى الغرناطي أن (القائمين) و(العاكفين) معنيان متعلقان ببعضهما بعضا، ويعيد سبب الإبدال بينهما إلى سياق كل سورة، فيشرح ذلك قائلاً: « إن المراد بالقائمين هنا ذوو الإقامة والملازمة على صفة مخصوصة، وإذا أريد بالقائمين هذا فهو والعاكوف مما يصح أن يعبر بأحدهما عن الآخر (...)، ولما ذكر لفظ العكوف في قوله قبل الآية ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (الحج، 25)، وقع الاكتفاء بذلك، فكأنه قال في آية الحج والقائمين معتكفين، فأغنى ذكرهم متقدما عن الإتيان به حالا مبينة، وأغنى قوله في آية البقرة (والعاكفين) عن قوله (والقائمين)»¹.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج 1، ص 332.

فالعكوف -هنا- حالة من حالات الإقامة، أو صفة ملازمة لها، فهي أخص من الإقامة ومتعلقة بها في نفس الوقت، إذ يمكن القول (القائمون معتكفون)، ولذلك فإن ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر، فلما سبقت آية الحج بذكر العكوف في قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ أغنى ذلك عن ذكره مرة أخرى، واقتصر على قوله القائمين، ولما لم يقع ذلك في آية البقرة صرح به - الإقامة- بالعكوف في قوله تعالى ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة، 125).

ه- المقطع الخامس:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة، 126).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم، 35).

1) موضع التشابه:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
البقرة	بلدا	رب اجعل هذا	التعريف والتنكير
إبراهيم	البلد		

ذكرت لفظة (البلد) نكرة في سورة البقرة، ومعرفة بالألف واللام في سورة إبراهيم، فماسب التنكير والتعريف الواقع في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

ورد لفظ (البلد) نكرة في سورة البقرة ومعرفا بالألف واللام في سورة إبراهيم؛ « لأن الأول دعا به قبل مصيره بلدا عند تركه هاجر (...)، والثاني دعا به بعد عودته وسكنى جرّهم به، ومصيره بلدا فدعا بأمنه»¹، فاختلف لفظ (البلد) بين التنكير والتعريف لاختلاف ما يرمي إليه في كل سياق، فورد بالنكرة في سورة البقرة لأن مقصود الكلام (رب اجعل هذا المكان المهجور بلدا آمنا)، وكان ذلك عند تركه هاجر فيه، أما وروده معرّفا (البلد) في سورة الحج ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾، فكان ذلك بعد أن صار المكان عامرا وذلك بعد عودته إليه.

و- المقطع السادس:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة، 129).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران، 164).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
البقرة	منهم	فيهم رسولا	الزيادة والنقصان
آل عمران	من		
	//		
	أنفسهم		

¹ - السيوطي، معترك الأقران، ج1، ص 69.

زيد قوله ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، ونقصت هذه الزيادة في سورة البقرة، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتماداً على السياق اللغوي:

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بزيادة ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾، ولم يرد ذلك في سورة البقرة، بل اقتصر على قوله ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾؛ لأن ما ذكر في البقرة «كان في سياق دعاء إبراهيم عليه السلام، وما ذكر في آل عمران كان في سياق المنة عليهم والرحمة والإشفاق منه عليهم، فناسب ذلك ذكر أنفسهم»¹.

فزاد ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ في سورة آل عمران لبيان منة الله عز وجل على المؤمنين بإرسال رسول من أنفسهم (أي من صلبهم)، فكونه (من أنفسهم) زيادة كرامة وتشريف لهم؛ فتناسب ذلك مع الحنو والمنة الذي تقدم ذكره في بداية الآية في قوله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران، 124)، ولم ترد هذه الزيادة في آية البقرة، لأن الكلام في هذه الآية اختص بدعاء إبراهيم عليه السلام، فلم يتطلب ذلك ورود هذه الزيادة.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
البقرة	ويعلمهم الكتاب والحكمة	التقديم والتأخير
آل عمران	ويزكيهم	
	ويزكيهم	ويعلمهم الكتاب والحكمة

¹ - ابن جماعة، كشف المعاني، ص 111.

قدم الله عز وجل في آية البقرة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ على قوله ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾،
وجرى عكس ذلك في آية آل عمران، فما سبب هذا التقديم والتأخير؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

يعيد الغرناطي سبب هذا التقديم والتأخير الحاصل في السورتين إلى ما يقصد به سياق كل
سورة، فقد قدم في سورة البقرة التعليم على التزكية « لأنه لما كانت دعوة إبراهيم عليه السلام قبل
وجود الضلال في الذرية المدعو لها، وإنما تحصل لهم تزكيتهم ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يمنحونه من
التعليم، وما يتلى عليهم من الآيات، لأن ذلك هو السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال
(...)، فأخر ذكر التزكية المسببة عما به تحصل، وذلك بعد هدايتهم للإيمان»¹.

فتقديم التعليم على التزكية في سورة البقرة كونها السبب في حصول التزكية والهداية، ولما تمثل سياق آية
البقرة في سرد دعوة إبراهيم عليه السلام لأمة لم توجد بعد أحر التزكية؛ لأن هذه الأمة لم يرد
ضلالها بعد، كونها غير موجودة بعد، بل متوقع وجودها، فقال - أولا- ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ﴾ أملا منه ألا يكون أهل هذه الأمة ضالين.

أما تقديم التزكية في آية آل عمران لأنه ثبت حصول ضلالهم، فكان سياق هذه الآية « ذكر
الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وجد منها (...) فأخر ذكر تعليمهم الكتاب
والحكمة المنزلين لضلالهم»².

فلزم اختلاف مقام السرد في السورتين تقديم هذا وتأخير ذاك، حسب ما يقتضيه مراد كل
سورة.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص236.

² - المصدر نفسه، ج1، الصفحة نفسها.

ي- المقطع السابع*:

قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة، 136).

قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران، 84).

(1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
تغيير الضمير	آمنا بالله	قولوا	البقرة
		قل	آل عمران

أسند فعل القول في سورة البقرة إلى ضمير الجمع، وفي سورة آل عمران إلى ضمير المفرد، فما سبب التغيير في الإسناد؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

يعود سبب اختلاف إسناد فعل القول في سورتي البقرة وآل عمران إلى اختلاف المخاطبين في السورتين، « فقوله ﴿قُولُوا﴾ أمر لجميع المخاطبين المقصودين بهذا، وأما قوله ﴿قُلْ﴾ فأمر للنبي

* -عدّ عبد الله بن أحمد الطيار هذه الآيات مقطعا من مقاطع قصة إبراهيم عليه السلام وفصلا من فصولها، يتظر: عبد الله بن أحمد الطيار، الآيات المتشابهات- التشابه اللفظي للآيات حكم و أسرار فوائد و أحكام -، دار التدمرية، ط1، 2009، ص79.

عليه السلام، فلحق ضمير الجمع أولاً بخطابهم، ولم يلحق ضمير في الثاني لإفراد الخطاب وضمير الواحد لا يبرز»¹.

فكان القصد من الخطاب الوارد في آية البقرة مجموع المسلمين، والذين عبر عنهم بضمير الجمع في قوله تعالى ﴿قُولُوا﴾، وكان المقصود من الخطاب الواقع آية آل عمران هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال: ﴿قُلْ﴾.

(2) موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
إبدال حرف بحرف	إلينا	آمنا بالله وما أنزل	البقرة
	علينا		آل عمران

وقع في سورة البقرة ﴿إِلَيْنَا﴾، وفي سورة آل عمران ﴿عَلَيْنَا﴾، فما سبب إبدال الحروف في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتماداً على السياق اللغوي:

يعود سبب هذا الإبدال الواقع في سورتي البقرة وآل عمران إلى اختلاف المعنى الذي يؤديه كل حرف، فكان ورود (إلى) في آية البقرة بسبب ما تفيد من معنى انتهاء الغاية، ومناسبا للخطاب الموجه لجميع المسلمين، «فالمؤمنون لم ينزل الوحي في الحقيقة عليهم من السماء، وإنما نزل على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ثم انتهى من عندهم إليهم»²، وبذلك فإن وقوع (إلى) - هنا -

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج1، ص 299.

² - المصدر نفسه، ج1، ص 300.

أنسب من وقوع (على) لما يتضمنه الخطاب من توجيه الأمر إلى جميع المسلمين، ولهذا قال عز وجل:
﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾.

ووردت (على) الدالة على الاستعلاء في آية آل عمران تناسبا مع المعنى بالخطاب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم،، « فقال ﴿عَلَيْنَا﴾ لأن ذلك لما كان خطابا للنبي (ص) كان واصلا إليه من الملاء الأعلى بلا واسطة بشر، كان لفظ المختص بالعلو أولى به»¹؛ لأن الوحي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نازل عليه من جهة العلو، فناسب ذلك ورود (على) الدالة على العلو في خطاب آية آل عمران المختص بالرسول صلى الله عليه وسلم.

(3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
البقرة	وما أوتي	الزيادة والنقصان
آل عمران	//	

زيد قوله ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ في سورة البقرة، ونقصت هذه الزيادة في سورة آل عمران، فما سبب وقوع الزيادة والنقصان في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

يعيد الكرمانى سبب ثبوت زيادة ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ في سورة البقرة، وسقوطها في سورة آل عمران إلى تقدم هذه الأخيرة « ذكر الأنبياء حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ

¹ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص 539.

مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ»، فقوله: ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾* هو معنى ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾، فكان هنا مغنيا عنه عن تكرار إيتاء ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾¹.

فسبب حذف ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ في آية آل عمران عائد إلى سبق ذكرها في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾، فاكتفى بهذا عن إعادة تكرار ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾، ولما لم يتقدم ذكر ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ فيما سبق آية البقرة حسن ذكره في قوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾.

أما الغرناطي فيقدم توجيهها آخر أعمق مما طرحه الكرمانى - آنفاء-، إذ لا يقف على مجرد تفادي التكرار، بل يذهب إلى أبعد من ذلك حين يرى أن وقوع الزيادة وحذفها سببه اختلاف نوعية المخاطبين في كل آية، فلما كان الخطاب في آية البقرة مختصا بالمسلمين « ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم، وقد فرق غيرهم، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجميع تأكيد مقالهم وتثبيت اعتقادهم قالوا ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾»².

فلتثبيت الاعتقاد وترسيخه في عقول المسلمين قال تعالى ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾، تأكيدا على اختلافهم عن غيرهم من الذين فرقوا بين الأنبياء والرسل، فلزم ذلك تأكيد عقيدتهم، والمتمثلة في الإيمان بجميع الرسل وعدم التفريق بينهم.

* - سورة آل عمران، الآية 81.

¹ - الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 79.

² - الغرناطي، ملاك التأويل، ج 1، ص 240.

أما الحذف الواقع في آية آل عمران لاختصاص الخطاب في هذه الآية بالرسول صلى الله عليه وسلم، « فناسبه عدم التأكيد لتنزه الرسول حالا ومقاما عن التفريق بين أحد من الرسل»¹، فعصم الله الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل من الوقوع في زلل التفريق بين الأنبياء.

وبالانتهاء من تحليل هذا المقطع تنتهي قصة إبراهيم عليه السلام وما جرى له مع قومه من مصائب ومكائد، وما وقع من تنجية الله عز وجل إياه من النار، وهجرته عليه السلام إلى أرض الله الواسعة بحثا عن السكينة، ولمواصلة مسيرة دعوته الشريفة، فأمن له لوط عليه السلام وهاجر معه، وذلك وارد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (العنكبوت، 26).

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، المصدر السابق، ج1، ص240.

خلاصة الفصل:

بعد الدراسة التطبيقية لمواضع المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام، يمكن استخلاص

النتائج الآتية:

- 1- لقد أثر النزول المتأخر للسور في إجمال السرد وإيجاز القص الواقع فيها، مثل ما جرى في سورة العنكبوت، والتي هي آخر سورة - نزولا - حكت قصة إبراهيم عليه السلام.
- 2- لقد أثر التسلسل الزمني لنزول السور على تغير الصيغ واختلاف مقاصدها في المواطن التي ذكرت فيها قصة إبراهيم عليه السلام، ومثال ذلك ما وقع بين سورتَي مريم والأنعام من تغير مقصود الخطاب من النصح اللطيف إلى التوبيخ الشديد.
- 3- لقد أثرت قصدية خطاب التوبيخ ودرجته على التركيب النحوي للتعبير القرآنية، ومن ذلك ما خص الأدوات النحوية (ماذا، ما، بل) الواقعة في سور الشعراء، الأنبياء، الصافات.
- 4- إن تغير الوصف بين الصفة المشبهة وصيغة المبالغة سببه ما اقتضاه سياق كل سورة ومقصوده العام من إيجاز أو إطباب، أو توكيد أو مبالغة، ومثال ذلك لفظ البراءة الذي ورد في سورة الأنعام بصيغة الصفة المشبهة (بريء)، وفي سورة الزخرف بصيغة المبالغة (براء).
- 5- لقد فرض سياق الآيات ورود أوصاف دون غيرها في بعض المواطن، منها ما وقع في إبدال لوصف العجل، فورد تارة بالحنيذ في سورة هود، وتارة أخرى بالسامين في سورة الذاريات.
- 6- لقد تمَّ التغيير بين الصيغتين الاسمية والفعلية حسب مقصود السرد في سياق كل مقطع وكل سورة، ومثال ذلك ما وقع في حكاية البشارة.
- 7- إنَّ وقوع الأفراد والثنية والجمع عائداً إلى ما فرضه سياق كل مقطع من السرد ومقصوده.
- 8- لقد فرض الإيجاز والإطباب في السرد الزيادة والنقصان في ورود الصفات، ومنها لفظ "منيب" الذي نقص في سورة التوبة، بسبب السرد الموجز لقصة إبراهيم عليه السلام في هذه السورة.

9- إنَّ وقوع التقديم والتأخير في مواطن معينة سببه ما اقتضاه المعنى العام لسياق كل مقطع، ومن ذلك ما ذكر في وصف إبراهيم عليه السلام تارة بالحليم الأواه، وتارة أخرى بالأواه الحليم.

10 - إنَّ وقوع التوكيد في مواطن وسقوطه في مواطن أخرى لزمه المقصود العام لسياق كل سورة أو مقطع، ومثال ذلك التوكيد الواقع في سورة الصافات في قوله تعالى ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات، 105)، وعدم وقوعه في سورة الانعام ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام، 84).

11- إنَّ الإبدال في (الحروف، الكلمات، الجمل) فرضته الدلالة العامة لسياق كل آية أو مقطع أو سورة، والتي وقعت فيها قصة إبراهيم عليه السلام.

ومن بين الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام و صدقوا دعوته لوط عليه السلام، و الذي هاجر معه وذلك ظاهر في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت، 26)، وبعث لوط عليه السلام- هو الآخر- إلى قوم يعملون القبائح من الأفعال، فلبث فيهم دهرًا من الزمن ينصحهم تارة و يوتجهم تارة أخرى، داعيًا إياهم إلى ترك قبيح فعلهم وشنيع مرتكبهم، ولكنهم تكبروا وعاندوا وأصرروا على البقاء في ضلالهم وانحرافهم، فكان مصيرهم العذاب الأليم.

ويتناول الفصل الموالي دراسة هذه القصة ووقائع أحداثها، وذلك بتحليل وتوجيه مواضع المتشابه اللفظي الواقعة في هذه القصة.

الفصل الرابع

دلالة المتشابه اللفظي

في قصة لوط عليه السلام

الفصل الرابع

دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

تمهيد.

أولا-دعوة لوط عليه السلام.

ثانيا- نزول الملائكة على لوط عليه السلام.

ثالثا- تنجية لوط عليه السلام.

رابعا- وقوع العقاب على قوم لوط.

خلاصة الفصل

تمهيد:

كان لوط عليه السلام من بين الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام وصدقوا دعوته، وذلك ما ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (العنكبوت 26)، وبعث لوط عليه السلام - هو الآخر- رسولا ونذيرا إلى قوم يعملون الخبائث ما سبقهم إليها من أحد، فمكث فيهم يدعوهم إلى ترك المنكرات، و يحذرهم وينذرهم بعاقبة انحرافهم و فسادهم، فما كان جواب قومه على هذه الدعوة سوى عزمهم على طرده ونفيه من القرية، فأنجاه الله عز وجل من فساد قومه وظلمهم، وسلط عليهم عذابا مريعا نكالا لهم على فسقهم وإسرافهم في ارتكاب المنكرات.

و وردت هذه القصة في عشرة سور وهي - مرتبة حسب النزول-: (القمر، الأعراف، الشعراء، النمل، هود، الحجر، الصافات، الذاريات، الأنبياء، العنكبوت) ، ووقع المتشابه اللفظي فيها في اثني عشر (12) مقطعاً، تراوح بين الزيادة والنقصان، الحذف والذكر، الإضمار والإظهار، إبدال الحروف، إبدال الكلمات وإبدال الجمل.

ويتناول هذا الفصل دراسة هذه المواضع بالتحليل والتوجيه حسب الترتيب التسلسلي لأحداث القصة، إذ تكون البداية بدعوة لوط عليه السلام لقومه، فنزول الملائكة ضيوفا عليه، ثم تنجيته من قومه المجرمين، وصولاً إلى إنزال العذاب المريع بقومه الفاسدين.

أولا- دعوة لوط عليه السلام:

استنكر لوط عليه السلام ما يرتكبه قومه من فواحش و منكرات، فنصحهم بالانتهاء عنها وتركها ونبذها، ودعاهم إلى طاعة الله عز وجل وعبادته، وذكرت هذه الدعوة في أربع سور و هي: الأعراف، النمل، الشعراء، العنكبوت.

أ- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف، 80).

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (النمل، 54).

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت 28).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف، النمل	أ	الإبدال
العنكبوت	إِنَّكُمْ لَ	

ورد قوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ بالصيغة الاستفهامية في سورتي الأعراف و النمل، و بالصيغة التوكيدية في سورة العنكبوت في قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، فماسبب الإبدال بين الصيغتين؟.

التحليل اعتمادا على سياق الموقف:

يشرح الغرناطي سبب ورود ﴿أَتَأْتُونَ﴾ بالصيغة الاستفهامية في سورتي الأعراف والنمل ، وبصيغة التوكيد ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ في سورة العنكبوت، قائلا: « ... لأنه لما تقدم في سورتي الأعراف والنمل تقريعهم وتوبيخهم تقريعا وتوبيخا ، وعرفوا بذلك مرة بعد مرة وردت قصتهم في العنكبوت مؤكدة بأن واللام لثبوتها (...) إذ تقدم تقريعهم التوبيخي مرتين، فجاء الإخبار عن التقرير الثابت، ولم يكن ليناسب العكس هذا على مقتضى الترتيب والثابت في السور والآي، فجاء كل على ما يجب»¹.

فوجه الغرناطي هذا الموضع من المتشابه اللفظي اعتمادا على السياق الخارجي (زمن نزول السور)، فمعلوم أن سورة العنكبوت هي آخر سورة نزولا ذكرت فيها قصة لوط عليه السلام مع قومه، فجاءت مؤكدة ومثبتة لما تقدم سرده في السورتين اللتين سبقتهما نزولا (الأعراف، النمل).

2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف ، العنكبوت	ما سبقكم بها من أحد من العالمين	إبدال جملة بجملة
النمل	وأنتم تبصرون	

اختلفت تنمة الكلام في سورتي الأعراف والعنكبوت ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ عما ورد في سورة النمل ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، فما سبب هذا الاختلاف؟.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص 547.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

يعيد الغرناطي سبب هذا الاختلاف في التتمة إلى ما سبق كل سورة - قصة - من حكي، فيقول: «فقوله في سورة الأعراف جاء مناسبا لما تقدمها من ذكر الأمم المكذبين، كذكر قوم نوح وهود وصالح وذكرت مرتكباتهم السيئة (...)، وذلك مما يطلع عليه من أتى بعدهم (...) فناسب ما قدم من أحوال من قبلهم (...)»، وذكر الأمم المكذبين من قبلهم تقريع هؤلاء بكونهم أول من فعل تلك الشناعة وأنهم لم يسبقهم أحد إلى هذا الفعل الشنيع»¹.

فكأنه قال (إن الأقسام الذين سبقوكم - كقوم نوح وهود وصالح- وما اقترفوه من تكذيب لرسلمهم ومعاندتهم لهم وإصرارهم على ضلالهم، وقد عوقبوا بالتدمير، وما زالت أدلة هلاكهم ظاهرة بآئنة لكم، إلا أنهم لم يسبقوكم إلى كبير فحشهم)، فتناسب قوله تعالى ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ مع الذكر المتقدم لتفاصيل تكذيب الأمم التي سبقتهم لرسلمهم، لأن المقام في سورة الأعراف يوضح أن قوم لوط كانوا على دراية بما لحق أسلافهم الغابرين من هلاك عقابا لهم على تكذبيهم لرسلمهم.

أما ما ورد في سورة النمل من قوله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ والذي معناه «أي تدركون قصتها ببصائرکم وأمرها غير خاف على كل ذي عقل، فهل يصدر هذا من معاند متصف بأعظم الجهل (...)»، والمراد ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي ترون ذلك بأعينكم لا يستنير بعضكم من بعض تهكما واستهتارا»²، جاء متناسقا مع ما سبقه في حكي قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، المصدر السابق، ج1، ص 546.

² - المصدر نفسه، ج1، ص 547.

جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴿ (النمل، 13) « أي بينة واضحة أو مرئية مشاهدة بالأبصار جحدوا بها وهذا من أقبح مرتكب»¹.

فلما تقدم ذكر الآيات البينات في قصة موسى عليه السلام ناسبه ذكر قوله ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ الواردة في قصة لوط عليه السلام، لارتكابهم هذا القبح أمام مرأى الناس دون استنكار أو استحياء، فكان أمر فجورهم واضحا مرئيا للناس مثلما كانت الآيات الواردة في قصة موسى عليه السلام واضحة بائلة.

أما ورود تنمة الكلام في سورة العنكبوت بقوله ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ والذي جاء مطابقا لما ورد في سورة الأعراف في قوله ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف، 80) عائد إلى زمن نزول السورتين؛ ذلك أن سورة الأعراف هي أول سورة قصت حكاية لوط عليه السلام، وسورة العنكبوت هي آخر سورة حكمت تفاصيل نفس القصة ، وجاءت كلتا السورتين بتعبير مطابق ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾؛ لأن سورة العنكبوت - بوصفها آخر سورة نزولا حكمت قصة لوط عليه السلام - جاءت لتؤكد وتثبت تفاصيل ما ذكر في أول سورة نزلت فيها قصة لوط عليه السلام، وهي سورة الأعراف.

فجاء السرد الأخير لقصة لوط عليه السلام في سورة العنكبوت مطابقا للسرد الأول للقصة في سورة الأعراف ومؤكدا لما فصل وذكر في هذه السورة - الأعراف -، وهذا هو مكنم الإعجاز القرآني.

ب- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (الأعراف، 81).

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، المصدر السابق، ج1، ص 547.

قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء، 165).

قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (النمل، 55).

قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ (العنكبوت، 29).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الشعراء	الذكران	إبدال كلمة بكلمة
الأعراف، النمل، العنكبوت	الرجال	

قال تعالى على لسان نبيه الكريم في سورة الشعراء ﴿الذُّكْرَانَ﴾، وفي باقي السور ﴿الرِّجَالَ﴾،

فما سبب الاختلاف في الوصفين؟

التحليل اعتماداً على السياق اللغوي:

ورد قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿الذُّكْرَانَ﴾ بسبب ما اقتضته الآية المتأخرة عنها، والمتمثلة

في قوله تعالى ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء، 166)،

فلما ذكر الخلق في هذه الآية ناسبها ذكر أصل خلق الرجل وهو الذكر، لأن الذكر هو أصل الخلق،

ودليل ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾¹، ولما لم تذكر كلمة الخلق في القصة الواردة

في سور الأعراف والنمل والعنكبوت، ناسبها ذكر (الرجل).

¹ - سورة المحجرات، الآية 13.

كما أن كلمة (رجل) أقوى دلالة من كلمة (ذكر)، فإن « قولنا رجل يفيد القوة على الأعمال، ولهذا يقال في مدح الإنسان إنه رجل»¹، وهذه الدلالة القوية للفظ الرجل تناسق ورودها مع المقامات المؤكدة في سورة الأعراف: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾، وفي سورة النمل: ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾، وفي سورة العنكبوت: ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، فكل هذه الآيات الواردة تضمنت مؤكدات (أنتكم ل/ إنكم ل)، وتناسبت قوة التوكيد في هذه الآيات مع قوة دلالة لفظ الرجل.

ولما لم يرد توكيد في سورة الشعراء، بل صرح عن التوبيخ بسؤال استنكاري الواضح في قوله تعالى على لسان نبيه لوط عليه السلام ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ناسبه لفظ (الذكران)، والذي هو أخف وقعا وأضعف دلالة من لفظ الرجل.

2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	إِنَّكُمْ	زيادة حرف
النمل، العنكبوت	أَنْتُمْ	

زيد في التوكيد في سورتي النمل والعنكبوت بالهمزة (د)، ونقصت هذه الزيادة في سورة

الأعراف، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

وردت زيادة الهمزة (د) في قوله تعالى ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ في سورة العنكبوت - والتي

أفادت التوكيد - لملاءمة ما سبقها من توكيد في قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ

¹ - العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 277.

الفصل الرابع.....دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ¹، فتبع هذا التأكيد على سبقهم في ارتكاب الفواحش تأكيد آخر على شناعة مرتكبيهم، واشتمزاز لوط عليه السلام مما يفعله قومه دون استحياء أو خجل.

و وقوع التوكيد في سورة النمل عن طريق زيادة الهمزة (ئ) في قوله تعالى ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ﴾ نظرا لما تطلبه المعنى الذي رمت إليه الآية الكريمة المتقدمة في قوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾²، فكأنه قال: (إنكم لم تكتفوا بارتكاب هذا الفعل الشنيع فحسب، بل تجاوزتم ذلك إلى ارتكابه أمام أعين الناس "وأنتم تبصرون")، فتضمنت هذه الآية معنيين (ارتكاب الفاحشة/ المجاهرة بها)، والزيادة في هذه الدلالة تطلبت التوكيد في قوله ﴿أَنْتُمْ﴾ بزيادة الهمزة (ئ) مناسبة لزيادة وصف حال ارتكابهم لفعلهم الشنيع.

أما حذف الزيادة (زيادة الهمزة) في سورة الأعراف في قولها تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ﴾ لعدم تطلب السياق اللغوي لتلك الزيادة، فنظرا لعدم ورود التوكيد في الآية المتقدمة - في سورة الأعراف- وذلك في قوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾³ لزم ذلك الاستغناء عن الزيادة الدالة على التوكيد .

(3) موضع التشابه ج:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
الزيادة والنقصان (زيادة جملة)	شهوة من دون النساء	لتأتون الرجال	الأعراف، النمل
	//		العنكبوت

¹ - سورة العنكبوت، الآية 28.

² - سورة النمل، الآية 54.

³ - سورة الأعراف، الآية 80.

ثبت قوله ﴿شَهْوَةٌ مِنْ دُونِ النَّسَاءِ﴾ في سورتي الأعراف والنمل، ونقصت هذه الزيادة في سورة العنكبوت، فما سبب ذلك؟.

التحليل استنادا على السياق الخارجي (زمن النزول):

يعود سبب الحذف الواقع في سورة العنكبوت إلى نزول هذه الأخيرة متأخرة عن سورتي الأعراف والنمل، فحسن حذف ﴿شَهْوَةٌ مِنْ دُونِ النَّسَاءِ﴾ في سورة العنكبوت إجازا لأنها آخر سورة وردت فيها قصة لوط عليه السلام مع قومه، وأجمل فيها التفصيل في هذا المقطع لسبق الإعلام في سورتي الأعراف والنمل.

(4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف، النمل	//	الزيادة والنقصان
العنكبوت	وتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ	(زيادة جملة)

ورد قوله تعالى على لسان نبيه الكريم ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، وحذف ذلك في سورتي الأعراف و النمل، فما سبب ذلك؟.

التحليل استنادا على سياق المقطع:

وقعت زيادة ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ في سورة العنكبوت كسرد مفصل لما يقتضيه قوم لوط من منكرات وأفعال شنيعة، وجاءت هذه الزيادة في التفصيل لتخدم التوكيد الذي سبق الآية، والوارد في قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ

الْعَالَمِينَ¹، فقوله ﴿أَنْتُمْ﴾ يؤكد على شناعة ما يقترفونه من معاص، وفصل في سرد معاصيهم بقوله: ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، فتناسبت الزيادة في التفصيل مع ما اقتضته الزيادة-زيادة الهمزة (د)- في التوكيد ﴿أَنْتُمْ﴾.

5) موضع التشابه هـ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	بل أنتم قوم	إبدال كلمة بكلمة
النمل		

وصف الله عز وجل قوم لوط عليه السلام بالإسراف في سورة الأعراف في قوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، وبالجهل في سورة النمل في قوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، فما سبب اختصاص كل سورة بوصف معين؟، وما سبب مجيء الوصف في سورة الأعراف بالصيغة الاسمية ﴿مُسْرِفُونَ﴾، وفي سورة النمل بالصيغة الفعلية ﴿تَجْهَلُونَ﴾؟.

التحليل اعتماداً على السياق اللغوي (سياق المقطع):

- اختلاف الوصفين:

يرى الغرناطي أن سبب اختلاف الوصفين عائد إلى اختلاف المقصود في كل سورة، فالقصد بما « ذكر في سورة الأعراف الإشارة بالتعريف بانهماكهم في الجرائم وقبيح المرتكبات، فنص على

¹ - سورة العنكبوت، الآية 28.

فحشها وحل الإيماء إلى ما وراء ذلك من إسرافهم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾¹، فكان المراد مما سرد في سورة الأعراف التعريف بإسراف قوم لوط عليه السلام في ارتكابهم للقبائح والمعاصي.

و لعلّ مجيء وصفهم بالمسرفين ليتناسب مع ما تقدم من ذكر الأمم و الأقوام التي سبقت قوم لوط في ارتكابهم للمعاصي وإسرافهم في معاندتهم وتكذيبهم للرسول. ، فتتقاطع الأقوام السابقة (قوم نوح، قوم هود، قوم صالح) مع قوم لوط في الإسراف في ارتكاب المعاصي، فجاء وصف المسرفين ليتناسب مع كل من عاند وتكبر وأسرف في اقتراف المنكرات.

أما وصف قوم لوط بالجهل في سورة النمل في قوله تعالى ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَّهْلُونَ﴾ ليتناسب مع ما سبق من قوله ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ، « أي ترون ذلك بأعينكم لا يستتر بعضكم من بعض تكما واستهتارا، وهذا أعظم الجهل، فلستم مما يعقل أو يعلم شيئا ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَّهْلُونَ﴾²، فجاء وصفهم بالجهل متوافقا مع وصف الحال التي يرتكبون فيها قبيح فعلهم (ييصرون)، وارتكاب هذا الفحش مجاهرة وعلى مرأى الأبصار هو قمة الجهل وتغييب العقل.

- الاختلاف في صيغة الوصف:

وصف الله عز وجل قوم لوط عليه السلام في سورة الأعراف بالإسراف مستعملا الصيغة الاسمية ﴿مُسْرِفُونَ﴾ وفي سورة النمل بالجهل مستعملا الصيغة الفعلية ﴿جَّهْلُونَ﴾ فما سبب التغيير في صيغة الوصف؟.

الجواب : يعلل الإسكافي سبب اختلاف الصيغتين بما تطلبتة الفاصلة القرآنية في كل سورة، فقال في سورة الأعراف ﴿مُسْرِفُونَ﴾ بالصيغة الاسمية « لأن الآيات التي قبلها فواصلها أسماء جمعت هذا الجمع (...) ﴿مُفْسِدِينَ﴾ وفاصلة ما بعدها ﴿مؤمنون﴾، وما بعدها ﴿كافرون﴾، وبعدها

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص548.

² - المصدر نفسه، ج1، ص547.

﴿المرسلين﴾، وبعدها ﴿جاثمين﴾ وبعدها ﴿ناصحين﴾، أحق بالوضع في هذا المكان لتساوي الفواصل¹، فجاء وصف الإسراف بالصيغة الاسمية ليتناسب لفظاً مع الفواصل السابقة ذات الصيغة الاسمية.

و جاء الوصف الوارد في سورة النمل بالصيغة الفعلية « لمناسبة ما تقدم في قوله ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾*، فلما تناسقت هذه الأفعال في هذه الفواصل التي قبل هذه الفاصلة كان بناؤها على ما قبلها بلفظ الفعل أولى من الأول².

و لا يقتصر سبب ورود هذا الاختلاف في صيغة الوصف على المناسبة اللفظية - كما ذهب إليه الإسكافي- وإنما على المعنى الذي تؤديه كل صيغة منهما. فمعلوم أن الصيغة الاسمية من سماتها الثبات والدوام، على عكس الصيغة الفعلية التي تفيد التجدد حال حدوث الفعل، وجاء الإسراف بالصيغة الاسمية لأنه أعم دلالة من الجهل؛ ذلك أن « الإسراف مجاوزة الحد الواجب إلى الفساد»³، فالجهل في هذه القصة وجه من أوجه إسراف قوم لوط، وجهل قومه بفداحة مرتكبهم ما هو إلا مظهر من مظاهر إسرافهم.

وبذلك يكون جهلهم - هنا- أخف دلالة وأقل معنى من الإسراف، والذي هو أعم وأشمل دلالة من الجهل، فنطلب معنى العموم والشمول للفظ الإسراف التعبير عنه بالصيغة الاسمية الدالة على الدوام والشمول (مسرفون)، و لزم معنى الخصوص لكلمة (جهل) - التي هي حالة واصفة للإسراف- التعبير عنه بالصيغة الفعلية التي تفيد التجدد حال حدوث الفعل (تجهلون).

¹ -الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج2، ص 633.

* - سورة النمل، الآيات 52- 54.

² -الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج2، ص634.

³ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج1، ص548.

ج- المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف، 82).

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (الشعراء، 167).

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل، 56).

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (العنكبوت، 29).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	و	إبدال حرف بحرف ما كان جواب قومه
النمل، العنكبوت	ف	

ورد جواب قوم لوط عليه السلام في سورة الأعراف مسبوقا بحرف الواو، وفي سورتي النمل والعنكبوت بحرف الفاء، فما سبب هذا الإبدال؟.

التحليل اعتمادا على السياق النحوي:

يعود وقوع الإبدال -هنا- إلى ما سبق كل آية من سرد، فعطف الجواب في سورتي النمل والعنكبوت بحرف الفاء « لأن الفاء للتعقيب والتعقيب يكون مع الأفعال، فقال في سورة النمل

﴿جَهَلُونَ. فَمَا كَانَ﴾ (النمل، 55)، وكذلك في العنكبوت ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ﴾ (العنكبوت، 29) وفي سورة الأعراف ﴿مُسْرِفُونَ﴾ ﴿وَمَا كَانَ﴾¹.

فكان التغيير في العطف تارة بالواو وتارة بالفاء بسبب ما لزمه التركيب النحوي من إيراد حرف العطف المناسب للسياق النحوي لكل آية؛ إذ انتهى التركيب النحوي لآية الأعراف باسم (مسرفون)، فلزم ذلك العطف بحرف الواو في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، وانتهى التركيب النحوي في آيتي النمل والعنكبوت بالفعل، فتطلب ذلك العطف بحرف الفاء لملاءمتها في العطف على الأفعال، لأن التعقيب يصلح مع الأفعال لا مع الأسماء، ففرضت الدلالة النحوية لكل آية التغيير في قرائن أو وسائل العطف (دوال العطف).

2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	أخرجوهم	الإضمار والإظهار
النمل	أخرجوا آل لوط	

أضمر ﴿آل لُوطٍ﴾ في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، وأظهر في سورة النمل في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، فما سبب هذا الإضمار والإظهار؟

¹ - الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص 125.

التحليل اعتمادا على السياق الخارجي واللغوي:

- السياق الخارجي (زمن النزول):

يذهب الخطيب الإسكافي إلى أن سبب إضمار (آل لوط) في سورة الأعراف، وإظهاره في سورة النمل راجع إلى كون « ما جاء فيه الإظهار نازلا قبل ما جاء فيه الإضمار، فلما اظهر في الآية المنزلة قبل اعتمد في القصة التي هي عدم ذكرهم على الإضمار الذي أصله أن يكون بعدم تقدم الذكر»¹.

فوقع إضمار (آل لوط) في سورة الأعراف بسبب تقدم ذكره في القصة التي سبقت نزولا في سورة النمل ، وذلك في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، فاكتفى بذلك عن إعادة ذكره في القصة متأخرة نزولا و الواقعة في سورة الأعراف.

ومما تجدر الإشارة إليه - هنا- أن المقصود بأسبوعية النزول هي القصة لا السورة، ذلك أن سورة الأعراف - في الحقيقة- متقدمة في النزول عن سورة النمل، و لأن القرآن الكريم كان ينزل منجما - أي متفرقا- على الرسول صلى الله عليه وسلم، فيحتمل أن تكون القصة في سورة الأعراف تأخرت في النزول، وتقدم سردها في سورة النمل لحكمة أرادها الله عز وجل وهو وحده الأعلّم بها سبحانه وتعالى.

- السياق اللغوي:

يعزو الغرناطي سبب الإضمار والإظهار الواقع في الآيتين الكريمتين إلى الإيجاز والإطناب في وصف شناعة فعل قوم لوط في كلتي السورتين، فلما « زيد في تعنيفهم في النمل وتعريفهم بإتيانهم

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج2، ص ص 635- 636.

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

الفاحشة على علم بها، وذلك أفدح في المرتكب، فلما زيد في تعريفهم، زيد في تعليل الإخراج بالتنصيص على آل لوط، لأن قوله ﴿آل لُوطٍ﴾ نص في إخراج جميع من هم من آل لوط عليه السلام وذويه وأهله من قوله ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾، بزيادة التنصيص الأعم بإزاء الأزيد في التقرير¹.

فلما فصل في سورة النمل في وصف حال مرتكبهم الشنيع، وذلك في قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (النمل، 54)، أي أنهم يرتكبون فعلهم الشنيع مجاهرة وعلى مرأى الناس، صاحب هذه الزيادة في الوصف التي مفادها التقرير والتوبيخ زيادة في تخصيص الإخراج بقوله ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾.

ولما اكتفى في سورة الأعراف بتوبيخهم على فعلهم الشنيع دون وصف حال مرتكبهم، اقتصر جواب قومه بإضمار المعنيين بالإخراج، وذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ إيجازا وإجمالا وتواؤما مع الإيجاز في توبيخ لوط عليه السلام لهم.

3) موضع التشابه ج:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير في الصيغة	أخرجوهم	الأعراف
	لتكونن من المخرجين	الشعراء

عبر عن جواب قوم لوط المتمثل في الإخراج في سورة الأعراف بقوله: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾ وفي

سورة الشعراء بقوله ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾، فما سبب الاختلاف في الصيغتين؟

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج 1، ص 549.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

عبر عن الإخراج بالاسم في سورة الشعراء ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ وبالفعل ﴿أَخْرَجُوهُمْ﴾ في سورة الأعراف، وذلك راجع إلى سياق نظم كل سورة، فقوله ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ الوارد في سورة الشعراء أقوى دلالة وأبلغ معنى من قوله ﴿أَخْرَجُوهُمْ﴾ الوارد في سورة الأعراف؛ لأن الاسم - كما هو معلوم - أثبت دلالة وأدوم حالا من الفعل الدال على التجدد، وإدماج فعل الكون المؤكد المتمثل في ﴿لَتَكُونَنَّ﴾ مع قوله ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ جعل عقاب الإخراج أعنف وقعا مما ورد في سورة الأعراف في قوله ﴿أَخْرَجُوهُمْ﴾.

وتناسب هذه القوة في الإخراج والعنف في الطرد مع ما تقدم من إلحاح وإصرار لوط عليه السلام في نصحه لقومه، وذلك عن طريق تعنيفهم وتوبيخهم على شناعة فعلهم وإسرافهم في ارتكاب المنكرات، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ. قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾¹.

وجاء جواب قوم لوط ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ متناسقا مع قوله تعالى ﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ الوارد في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾، إذ توحى كلمة (أخوهم) بالترابط والتأخي والقربة التي تجمع بين لوط وقومه، والتي لم يراعها قومه حينما أرادوا إخراجه، مما جعل أمر الإخراج أشد وأعنف مما وقع في سورة الأعراف، ولهذا ورد جواب قوم لوط بقولهم ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ للدلالة على تعنتهم وتجبرهم وتنكرهم لرابط الأخوة التي تجمعهم بلوط عليه السلام.

¹ - سورة الشعراء، الآيات 160 - 167.

ولما لم ترد هذه الوقائع والروابط في سورة الأعراف، واكتفاء لوط عليه السلام - في هذه السورة- بتعريفهم بقبیح فعلهم وفداحتہ دون مبالغة في تعنيفهم وتقريعهم، جاء جواب قومه مقتصرًا على فعل الإخراج ﴿أَخْرَجُوهُمْ﴾ دون توكيد أو مبالغة في أمر الطرد.

4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون	إبدال جملة بجملة
العنكبوت	أئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين	

تمثل جواب قوم لوط في سورة الأعراف بإخراجه من القرية وذلك وارد في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرَجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، وعدل عن هذا الجواب في سورة العنكبوت إلى طلب العذاب من السماء، وذلك في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فما سبب التغير في الإجابتين؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

اختص جواب قوم لوط في سورة الأعراف بإخراجه وأهله كونهم ﴿أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾؛ لأن المقام في هذه السورة كان مقام تعريف بالفحش الذي يرتكبونه، ولم يرد أي سرد لمعاصيهم الأخرى، فقابل ذكر الفحش الإخراج لأنهم أناس يتطهرون (أي يشمئزون مما نفع)، فكان معنى الطهارة مناقضا لمعنى الفحش.

ونظير ذلك ما ورد في سورة النمل في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرَجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، إذ صدر قرار الطرد - هنا - ردا على ما وصفهم به لوط عليه السلام من الجهل، وعلى ما ورد من وصف لفعلهم الشنيع الذي يبعث على

الاشتمزاز في النفس والعقل، وذلك واضح في قوله تعالى على لسان نبيه الكريم ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، فلزم اشتمزاز آل لوط من الفحش الذي يرتكبه قومه طردهم وإخراجهم كونهم يتطهرون.

و وقع جواب قوم لوط في سورة العنكبوت مغايرا عما وقع في سورتي الأعراف والنمل، وذلك سببه ما تقدم آية العنكبوت من تعداد منكراتهم في قوله تعالى على لسان نبيه الكريم ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ (العنكبوت، 29)، « فكان تعداد مرتكباتهم أشد توبيخا في تعريفهم وأنكأ (لتمييز) أفئدتهم، كان مظنة تهيج أخلاقهم وقبيح جوارهم فجاوبوا جواب من استحکم حذقه وطبع على قلبه، فقالوا ﴿أَتِنَّا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ تحكيما وتحقيقا لتكذيبهم وشاهدا على تصميمهم على المعاندة والكفر»¹.

فصاحب التوكيد على توبيخ لوط عليه السلام لقومه وتقريعه لهم، توكيدا على معاندتهم واستخفافهم بعظم ما يرتكبونه من معاص، وقولهم ﴿أَتِنَّا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ دليل على إصرارهم على البقاء في ضلالهم وكفرهم، وهذا التوكيد ناسب ما تقدم في بداية القصة في قولته تعالى على لسان لوط عليه السلام ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

و نجم عن كبر عنادهم وشناعة مرتكبهم وفضاعة منكراتهم حلول العقاب والعذاب بهم نكالا وعقابا على تكذيبهم للوط عليه السلام واستهزائهم بدعوته الشريفة، ولأجل ذلك بعث الله عز وجل الملائكة الكرام لإنزال العقاب المريع بقوم لوط، وهذا ما سيتم تناوله ودراسته فيما يلي..

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج 1، ص 548.

ثانيا- نزول الملائكة على لوط عليه السلام:

بعد إصرار قوم لوط عليه السلام على فسقهم، وتصميمهم على البقاء في جهلهم الكبير وعزمهم على إخراج لوط وأهله من القرية لاشتمزاز آل لوط من قبيح فعلهم، أرسل الله عز وجل الملائكة إلى لوط عليه السلام ليخبروه بقرب هلاك قومه الفاسقين، وإنجائه من ظلمهم وضلالهم.

أ- المقطع الأول: مجيء الرسل.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (هود، 77).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ. قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (الحجر، 61- 62).

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ﴾ (العنكبوت، 33).

1) موضع التشابه أ:

نوع التشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
التقديم والتأخير	المرسلون	آل لوط	الحجر
	لوطا	رسلنا	هود، العنكبوت

وقع التشابه اللفظي في هذا الموضع في نقطتين:

1. آل لوط/ لوط:

قال تعالى في سورة الحجر: ﴿جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ﴾ بزيادة (آل)، ولم يرد ذلك في سورتي

هود والعنكبوت، وسبب وقوع هذه الزيادة في سورة الحجر هو ذكر (آل لوط) في الآية المتقدمة

عنها ، وذلك في قوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ . قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ¹ ، فلما تقدم ذكر ﴿ آل لوط ﴾ في سورة الحجر في قوله تعالى ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ناسبها ذكر ﴿ آل لوط ﴾ في الآية التي بعدها في قوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

و قوله ﴿ آل لوط ﴾ أقوى دلالة من قوله (لوطا)، ولعل سبب ورود ﴿ آل لوط ﴾ في سورة الحجر ليتناسب مع قوة التعبير والتوكيد الغالبة على هذه السورة، وذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ (الحجر، 52)، و ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (الحجر، 53)، و ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر، 58- 59).

و وصف قوم لوط بالمجرمين أشد وصفا وأقوى دلالة فناسبه قوله ﴿ آل لوط ﴾ الذي يدل على التكريم والتشريف، فقابل معنى التشريف مع معنى الإجماع الوارد في قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ .

ولما لم يرد هذا الوصف في سورتي هود والعنكبوت حين وقوع البشري لإبراهيم عليه السلام، والاكتفاء بالتعابير غير المؤكدة ناسب ذلك قوله (لوطا)، إذ لم يتقدم ذكر (آل لوط) في السورتين، و اقتصر بذكر (لوط) دون (آل)، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (هود، 74)، و ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ . قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (العنكبوت، 31- 32)، فناسبهما الاكتفاء بذكر (لوط) توافقا مع ما سبقهما من التصريح بلفظ (لوط).

¹ - سورة الحجر، الآيات 57- 59.

2. التقديم والتأخير.

قُدِّم في سورة الحجر ﴿آل لُوطٍ﴾ على ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾، ولم يرد هذا العدول النحوي في سورتي هود والعنكبوت؛ ذلك لأن دلالة ﴿آل لُوطٍ﴾ أكثر تكرّماً وتشريفاً من قوله (لوطا)، فقدّمت هذه الدلالة لأهميتها وقوتها على قوله ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ الواردة في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾.

و نظراً للاهتمام بإنجاء (آل لوط) في قوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وتشريفهم بقوله (آل)، فكان الأولى تقديم هذه الدلالة على ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ للأهمية التي اكتسبتها من السياق العام لسرد القصة.

و لم يعدل في سورتي هود والعنكبوت عن القاعدة النحوية، إذ وقع كل لفظ في موقعه النحوي الخاص به في قوله تعالى ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾، لأن قوله ﴿رُسُلُنَا﴾ المضافة إلى ضمير الشأن الرجوع إلى الله عز وجل كانت أكثر أهمية وأعلى شأنًا من قوله ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾، ولهذا تم تقديمه على (لوطا).

فحصل التقديم والتأخير في هذا الموضوع من المتشابه اللفظي حسب ما تقتضيه أهمية وقوة دلالة العنصر المقدم عن العنصر المؤخر.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الحجر	ف	إبدال حرف بحرف
هود، العنكبوت	و	

سبقت (لما) في سورة الحجر بالفاء، وفي سورتي العنكبوت وهود بالواو، فما سبب الإبدال بين أداتي العطف في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

من المعلوم أن الفاء تفيد الترتيب الزمني وعدم الترتيب، والواو تفيد الجمع والربط، وعطف (لما) بالفاء في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ يدل على أن نزول الملائكة على آل لوط لم يستغرق زمنا طويلا، بل قدموا إليه مباشرة بعد خروجهم من بيت إبراهيم عليه السلام وإسراعهم في الهجاء إلى آل لوط عليه السلام للإسراع في تنجيئه وإنزال العقاب بقومه المجرمين، وهذا ما دلت عليه الآيات المتقدمة في قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾¹، فلزم هذا الإسراع العطف بالفاء الدالة على عدم الاستغراق الزمني والإسراع في تنفيذ الفعل-التنجية-.

وما يعضد هذا الرأي الصورة المفزعة التي دخلت بها الملائكة على إبراهيم عليه السلام الواضحة في قوله تعالى ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾²، وهذا الدخول المفزع يدل على أن الملائكة كانوا مسرعين في إلقاء العذاب وإنقاذ لوط عليه السلام، فناسب هذا الإسراع في سير الأحداث العطف بحرف الفاء الدالة على الترتيب الزمني وعدم الترتيب في وقوع الأحداث.

أما عطف (لما) في سورتي هود والعنكبوت بحرف الواو الجامعة؛ لأنه لم يقصد في السورتين الإسراع في الإنجاء، وإنما الإعلام والإخبار بالإنجاء دون الإسراع في تنفيذه، فناسب ذلك العطف بحرف الواو الرابطة للأحداث والجامعة لوقائع القصة.

¹ - سورة الحجر، الآيات 57- 59.

² - سورة الحجر، الآيات 51- 52.

فاختلاف المراد في السور كان السبب في الاختلاف في العطف، إذ كان المراد من القصة الواقعة في سورة الحجر الإسراع في الإنقاذ وإنزال العقاب، وفي سورتي هود والعنكبوت الإخبار عن حدث الهلاك دون تبيين أن الملائكة يريدون إنزال العذاب في أسرع وقت ممكن، فأثر اختلاف المقاصد على اختلاف العطف في السور، فعطف كل بما يناسب مراد السرد ومقصوده.

3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
هود	//	ولما	الزيادة والنقصان
العنكبوت	أن	جاءت رسلنا لوطاً	

زيدت (أن) في سورة العنكبوت في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ ونقصت في سورة هود في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾، فما سبب هذه الزيادة ونقصانها؟.

التحليل اعتماداً على سياق النظم (سياق المقطع):

يرى الإسكافي أن ورود زيادة (أن) في سورة العنكبوت عائد إلى عدم الفصل في الجواب، وحذفت هذه الزيادة في سورة هود لوجود فواصل في السرد، فيقول موضحاً ذلك: « اقتران أن بلماً في سورة العنكبوت؛ لأنه قد اقترن جوابها متصلًا بما يكمله ويخلصه لتحقيق أو بطلان، فالذي في سورة العنكبوت قد اتصل بجوابها ﴿سِيءٌ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ ما يكمله ويخلصه ببطلان الروع السابق إليه (...).، و في سورة هود لم يتصل بجوابها ما يخلصه لتحقيق أو بطلان إلا في الآية الخامسة عند قوله ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ (هود، 81) فيعد هذا عن الجواب ولم يتصل به اتصال ما يكون من تمامه»¹.

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج3، ص 1029.

فلما لم يباعد بين دخول الملائكة وتصريحهم بالإنجاء، ورد كلا الأمرين في آية واحدة ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ﴾ (العنكبوت 33)، وأضيفت (أن) ل (لما) لتفيد دلالة الاقتران والاتصال بين الحدثين، ونظرا لبعده التصريح بالإنجاء في سورة هود عن قوله ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، وعدم التصريح بحدث الإنجاء إلا في الآية الخامسة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ (هود، 81)، استغنى عن (أن) لوجود فواصل بين الحدثين والآيتين.

يلاحظ مما سبق أن الخطيب الإسكافي وجه هذا الموضوع توجيهها نحويا محضا، معتمدا في ذلك على وجود الفواصل الجمالية - الآيات - في سورة هود، وعدم وقوعها في سورة العنكبوت.

و لا يقف محمد فاضل صالح السامرائي عند هذا التوجيه النحوي، وإنما يفسر زيادة (أن) في سورة العنكبوت انطلاقا من الدلالة التي تفيدها مع اقترانها ب (لما) ، فيرى أنها «تأتي للدلالة على استطالة الوقت وطول الترقب والانتظار (..)» ، كما يبدو أن ترقب لوط من التخلص من قومه في سياق العنكبوت كان أظهر منها في سورة هود (...). ، فدعاؤه ربه أن ينصره على قومه بعدما كذبوه وتعجلوا العذاب قائلين: ﴿اٰتٰنَا بِعَذَابِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾¹.

فاقتضى التأكيد وطلب الإنجاء الوارد في سورة العنكبوت الإسراع في الاستجابة لدعاء لوط عليه السلام وإنجائه من قومه المفسدين، وتناسق ذلك مع الدلالة التي عنتها (أن) باقترانها مع (لما) المفيدة للترقب والانتظار، أي ترقب الاستجابة للنصرة وانتظار الإنجاء، وأسقطت (أن) في سورة هود لأنه ليس فيها ما يظهر ترقب لوط عليه السلام للنجاة والاستجابة لدعاء النصره على قومه.

¹ - محمد فاضل صالح السامرائي، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، دار عمار، الأردن، ط3، 2011، ص ص 223 - 224.

4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الحجر	قال إنكم قوم منكرون	إبدال جملة بجملة
هود	وقال هذا يوم عصيب	
العنكبوت	قالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك	

اختلفت إجابة لوط عليه السلام حين دخول الملائكة عليه باختلاف السياقات القرآنية التي حكى قصة لوط عليه السلام؛ إذ وردت إجابته عليه السلام في سورة الحجر بقوله ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾، ووردت إجابته في سورة هود بعد قوله تعالى ﴿ سَيِّئٌ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ بقوله ﴿ وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾، و عدل عن هذه الإجابة في سورة العنكبوت إلى قوله تعالى -على لسان ملائكته الكرام- ﴿ وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ ﴾، فما سبب وقوع الإبدال في الجمل في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على :

-السياق اللغوي:

1. سورة الحجر:

ورد قوله في سورة الحجر ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ للدلالة على الصورة المفزعة التي دخل بها الرسل على لوط عليه السلام، وهي نفس الصورة التي نزلوا بها على إبراهيم عليه السلام في السرد

المتقدم ، وذلك في قوله تعالى ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾¹ ، فتناسب الوصف الأول مع الوصف الثاني .

2. سورتا هود والعنكبوت:

إنّ قوله في سورة هود ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ يفسره ما تلاه من سرد تفاصيل إقبال قومه على مرادة ضيوفه الكرام ، والوارد في قوله تعالى ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ . قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ . قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾² .

فالسرد المفصل لقبیح فعلهم یوضح سبب قول لوط علیه السلام ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ ، لإدراكه بعظم ما ينتظر ضيوفه ، وما يضره قومه من شر لضيوفه الكرام ، ولعجزه الكبير عن الدفاع عن ضيوفه ، والواضح في قوله تعالى ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ .

أما قوله تعالى في سورة العنكبوت ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكُ﴾ سببه ما ذكر من مساوئ قوم لوط المتعددة والإيجاز في ذكر فعلهم الشنيع؛ إذ لم تركز سورة العنكبوت في سردها لهذه المساوئ على ذكر فعلهم القبيح، بل اقتصر على ذكر قطعهم السبيل وإتيان المنكر دون تفصيل في وصف فعلهم الشنيع، وذلك في قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام ﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾³ .

¹ - سورة الحجر، الآيتان 51 - 52 .

² - سورة هود، الآيات 78 - 80 .

³ - سورة العنكبوت ، الآية 29 .

ف نظرًا لعدم التفصيل في وصف فعلهم الشنيع حذفت واقعة رغبة قومه في إتيان ضيوفه الكرام، وكان الغرض من مجيء الملائكة إلى لوط عليه السلام في هذه السورة -سورة العنكبوت- تنجيته تلبية واستجابة لدعائه الوارد في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾¹، وإنزالهم العقاب بقومه ردا على استهزائهم بلوط عليه السلام، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾²، فجاء قول الملائكة الكرام ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ﴾ كرد على دعائه بالنصرة، واستجابة لرغبته في النجاة من قومه الوارد في قوله ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

- السياق الخارجي:

إن سورة العنكبوت هي آخر سورة نزولا قصت حكاية لوط عليه السلام مع قومه ، فأجملت واقعة رغبة قوم لوط بإلحاق الضرر بضيوفه، لتقدم ذكر تفاصيلها في السور التي سبقتها نزولا ومنها سورة هود، ولهذا تم حذف هذا المقطع من القصة في سورة العنكبوت إيجازا وإجمالا، ولسبق الإعلام بها في السور المتقدمة عنها نزولا.

ب- المقطع الثاني: (إقبال القوم).

قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي صَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ. قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (هود، 78- 79).

¹ - سورة العنكبوت، الآية 30.

² - سورة العنكبوت، الآية 29.

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ. قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ. قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الحجر، 67- 71).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	قومه	إبدال كلمة بكلمة
الحجر	أهل المدينة	

ورد الإعلام بمجيء قوم لوط عليه السلام بقوله تعالى ﴿قَوْمُهُ﴾ في سورة هود ، و بقوله تعالى ﴿أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ في سورة الحجر، فماسبب التغيير في التعبيرين ؟

التحليل استنادا على سياق المقطع:

إن قوله في سورة الحجر ﴿أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ يبين أن لوط عليه السلام لا ينتمي إليهم ولا إلى بيتهم، و توافق هذا مع قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾¹، فدلالة التشريف والتكريم في قوله ﴿آلَ لُوطٍ﴾ اقتضت إخراج لوط من زمرة قومه الفاسقين والفصل بينهم في الانتماء البيئي والعملية، فقال تعالى: ﴿أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ ليوضح أن (آل لوط) لا ينتمون إلى القوم الفاسدين لا عملا ولا بيئة.

وأما قوله ﴿قَوْمُهُ﴾ في سورة هود فإنه يبين أن لوطا عليه السلام ينتمي إلى قومه ويعيش معهم، وهذا المعنى لا يتناقض مع قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾²؛ لأن قوله - هنا-

¹ - سورة الحجر، الآية 61.

² - سورة هود، الآية 77.

(لوطا) لا يتضمن معنى التعظيم والتشريف الوارد في قوله (آل لوط)، فحسن ذكر قومه لعدم تناقض المعنيين.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	يهرعون	إبدال كلمة بكلمة
الحجر	يستبشرون	

ورد مجيء قوم لوط في سورة هود بقول ﴿يُهْرَعُونَ﴾، وفي سورة الحجر بقوله ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فما سر الاختلاف في الوصف؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، وعبر عن مجيئهم بالهرع الذي هو من «هرع وأهرع ساقه سوق بعنف وتخويف»¹، فمعنى ﴿يُهْرَعُونَ﴾ أي ركضوا إليه مسرعين مخيفين إياه، وجاء هذا المعنى متناسبا مع ما تقدم من قول لوط عليه السلام ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾²، فقوله ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يفسر سبب قول لوط عليه السلام ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، ومعنى اليوم العصيب «اليوم الذي شدّ بالبلاء شدا لا يقبل الانحلال»³، فكان قوله أن هذا اليوم عصيب شديد البلاء لعلمه بما يضمه قومه لضيوفه الكرام، وقوله ﴿وَجَاءَهُ

¹ - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج5، ص 705 (مادة هرع).

² - سورة هود، الآية 77.

³ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1997، ج12، ص

قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ ﴿٥٨﴾ أي يسرعون إليه بعنف وخوف ما هو إلا دليل على البلاء الشديد الذي تنبأ به لوط عليه السلام حينما قال: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

أما قوله تعالى في سورة الحجر ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ للدلالة على أن أهل المدينة يعملون القبائح وهم فرحين مستبشرين بفعل منكرهم القبيح، وجاء هذا المعنى متناسقا متوافقا مع ما تقدم من وصفهم بالإجرام في قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾¹؛ لأن الاستبشار بارتكاب المعصية يمثل أعلى درجات الجرم وأفدحها، فقال: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لبيان مدى جرمهم، واستبشارهم ما هو إلا دليل من دلائل جرمهم، ووجه من وجوه فداحة معصيتهم التي جعلتهم يوصفون بالإجرام.

3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه		نوع المتشابه اللفظي
هود	قال	يا قوم	الحذف والذكر
الحجر		//	

ورد قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام لدى مخاطبته لقومه الفاسقين ﴿يَا قَوْمِ﴾ في سورة هود، وحذفت في سورة الحجر، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

ورد قوله ﴿يَا قَوْمِ﴾ في سورة هود لتقدم ثبوته في قوله تعالى ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾²، وقوله (يا قوم) يبين أن لوطا عليه السلام ينتمي إليهم ويعيش معهم، وحذف (يا قوم) في سورة

¹ -سورة الحجر، الآية 58.

² -سورة هود، الآية 78.

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

الحجر، لأن ما تقدمها يظهر أن لوطا لا ينتمي إلى قومه، وذلك في قوله تعالى ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾¹، ومعنى أهل المدينة ليس كمعنى قوم، فالأخيرة أخص دلالة من الأولى.

(4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	هؤلاء بناتي	هنّ أطهر لكم
الحجر		إن كنتم فاعلين

أتبع قوله ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ في سورة هود بقوله ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ وفي سورة الحجر بقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، فما سبب التغيير في الجملتين؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

قال في سورة هود: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ تعقيا على قوله تعالى ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾²، فكأنه قال: (هؤلاء بناتي تزوجوهم فهن أطهر لكم مما تفعلون من قبائح وسيئات)، فقابل عمل السيئات والإسراع إليها الوارد في قوله تعالى ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾ التطهر منها وذلك بالزواج من بناته، فجاء معنى التطهر متقابلا مع معنى عمل السيئات والإسراع إلى ارتكابها.

و ما يعضد هذا التحليل جواب فومه بعد ذلك ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾³ الذي يدل على إصرارهم على ارتكابهم لفحشهم، فجاء معنى التطهر متقابلا مع معنى ارتكاب السيئات والإسراع إليها.

¹ -سورة الحجر، الآية67.

² -سورة هود، الآية78.

³ -سورة هود، الآية79.

وقال في سورة الحجر ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ لتقدم قوله تعالى ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾¹، لأن قوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ متعلق بقوله ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾، وكأنه قال لهم: (إن جئتم تبحثون مستبشرين عما يسعدكم ويفرحكم، فتزوجوا بناتي، وتناولون بذلك ما ترغبونه من سعادة واستبشار وفرح)، فجاء كل تعقيب متلائما ومتناسبا مع ما اقتضاه سياق كل آية.

5) موضع التشابه هـ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	ف	إبدال حرف بحرف
الحجر	و	

عطف قوله تعالى على لسان نبيه الكريم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ بالفاء في سورة هود ، و بالواو في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ في سورة الحجر، فما سبب الإبدال بين أداتي العطف .؟

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (السياق المقالي):

عطف قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ بالفاء في سورة هود تعقبيا على قوله السابق ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾²، فالآية -هنا- جاءت معقبة مفسرة لما تقدمها من قوله ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، فكأنه قال: (تزوجوا بناتي تطهرا)، والتطهر ناجم عن تقوى الله عز وجل، فناسب هذا المقطع العطف بحرف الفاء الدال على التعقيب، وعطف قوله بالواو في سورة الحجر لربطها بما سبقها واتصالها بما تقدمها من قوله ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾³.

¹ - سورة الحجر ، الآية 67.

² - سورة هود، الآية 78.

³ - سورة الحجر، الآية 68.

ج- المقطع الثالث: (الإعلام بالإنجاء).

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود، 81).

قال تعالى: ﴿فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (الحجر، 65).

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت، 33).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك	الحذف والذكر
الحجر	//	

أفصح الرسل عن هويتهم في سورة هود في قوله تعالى ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، وحذف هذا الإفصاح في سورة الحجر، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

إن وقوع الإفصاح عن هوية الملائكة الوارد في قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾: جاء بعد إقبال قوم لوط عليهم السلام وعزمهم على إلحاق الضرر بضيوفه الكرام، وذلك

في قوله تعالى ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾ إلى غاية قوله ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

وقوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ دليل على أن الإعلام بهويتهم جاء بعد عزم قوم لوط على ارتكاب فحشهم، و عجز لوط عليه السلام عن الدفاع عن ضيوفه وخوفه من قومه المجرمين، فكان إفصاح الملائكة عن هويتهم لطمأنته وإعلامه بقرب النجاة.

ولما تقدم في سورة الحجر الإعلام بهوية الرسل قبل إقبال قومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ. قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ. وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾¹، حسن عدم تكرار الإعلام عن هوية الملائكة وحذفه فيما تلاه من آيات احترازا من التكرار الذي لا طائل منه.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	//	الزيادة والنقصان
الحجر	واتبع أدبارهم	

وردت زيادة قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿وَاتَّبَعُوا أَدْبَارَهُمْ﴾ في سورة الحجر، ونقصت هذه الزيادة في سورة هود، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

زاد في سورة الحجر قوله ﴿وَاتَّبَعُوا أَدْبَارَهُمْ﴾، ولم ترد هذه الزيادة في سورة هود؛ ذلك أن ورود ﴿وَاتَّبَعُوا أَدْبَارَهُمْ﴾ في سورة الحجر للتأكيد على تحقيق وعد الملائكة بتنحية لوط وأهله، والوارد في

¹ - سورة الحجر، الآيات 61-64.

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

قوله ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾¹، وقوله ﴿وَاتَّبَعْ أَذْبَارَهُمْ﴾ « ليكون وراء أهله في السير فيحقق نجاتهم مما أصاب قومه، فيتحقق ما وعده الملائكة المرسلون إليه»²، و بذلك يكون سير لوط عليه السلام وراء أهله وتحققه من نجاتهم، هو دليل على صدق وعد الرسل بإنجائه المتقدم في قوله ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ولما لم يتقدم تصريح بوعد الملائكة بإنجاء لوط عليه السلام وأهله في سورة هود، واكتفى بذكر وقوع العذاب على قومه الفاسقين، وذلك في قوله تعالى ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾³، ناسبه إيجازاً في وصف النجاة، وحذف قوله ﴿وَاتَّبَعْ أَذْبَارَهُمْ﴾ تلاؤماً مع التصوير الموجز لقصة نجاة لوط عليه السلام.

(3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	//	الزيادة والنقصان
الحجر	وامضوا حيث تؤمرون	

ورد قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ في سورة الحجر، ونقص هذا الجزء سورة هود، فماسبب وقوع الزيادة و النقصان في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

- التحليل اعتماداً على السياق الخارجي (زمن النزول):

يرى الغرناطي أن سبب وقوع ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ في سورة الحجر عائد إلى كونها متأخرة نزولاً عن سورة هود، فجاءت مفصلة لما أجمل في السورة المتقدمة عنها - نزولاً -، فيقول: «

¹ - سورة الحجر، الآية 59.

² - ابن جماعة، كشف المعاني، ص 218.

³ - سورة هود، الآية 76.

...زيادة إخبار بما ليس في سورة هود، وقد تأخرت سورة الحجر عنها فوفت بما لم يذكر في سورة هود»¹، فنزلت سورة الحجر لتفصل ما أجمل في سورة هود.

- التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

زاد في سورة الحجر قوله ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ دلالة على الزيادة في وصف كيفية إنجاء الملائكة للوط عليه السلام وأهله، وهذه الزيادة في الوصف اقتضاها وعد الملائكة المؤكد بإنجاء لوط عليه السلام وأهله، وذلك في قوله تعالى ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾²، فتطلب التوكيد على حصول التنجية زيادة في البرهنة عليها والتدليل عليها، وذلك بقوله ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾، ولما لم يرد هذا الوعد المؤكد بالإنجاء في سورة هود، لم يقتض ذلك زيادة في وصف عملية الإنجاء.

(4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	إلا امرأتك	الحذف والذكر
الحجر	//	

استثنى الله عزوجل امرأة لوط من النجاة في سورة هود وذلك في قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ ، ولم يرد هذا الاستثناء في سورة الحجر، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي (سياق النظم):

وقع حذف الاستثناء في سورة الحجر ، لأنه « ورد قبلها قوله في قصة إبراهيم عليه ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ.﴾

¹ -الغرناطي، ملاك التأويل، ج2، ص666.

² -سورة الحجر، الآية 59.

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾* ، فلما ورد -هنا- استثناء المرأة وذكر حالها وقع لذلك الاكتفاء، فلم يذكر في الآية التي بعدها، فذلك كله كلام متصل بعبءه ببعض ولما لم يتقدم ذكر امرأة لوط عليه السلام في هود فصّح باستثناءها¹.

فلما سبق ذكر هلاك امرأة لوط عليه السلام واستثناءها من الناجين في آية الحجر، وذلك في مقام إخبار الملائكة لإبراهيم عليه السلام بسبب مجيئهم الوارد في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ. إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾، اكتفى بتقدم ذكرها عن إعادة استثناءها.

ولما لم يتقدم الإفصاح عن هلاك امرأة لوط عليه السلام مع الهالكين في سورة هود ، حسن الإعلام والتصريح بذلك في قوله تعالى ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾.

5- موضع التشابه هـ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	إلا امرأتك	إبدال جملة بجملة
العنكبوت		كانت من الغابرين

ورد قوله تعالى لسان ملائكته الكرام ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ في سورة هود، و﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ في سورة العنكبوت، فما سبب الإبدال في الجملتين مع أن المرأة المتحدّث عنها واحدة؟.

* - سورة الحجر، الآيات 57-60.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج2، ص666.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

لما تقدم في سورة هود ذكر قرب نزول العقاب على قوم لوط عليه السلام في قوله تعالى - على لسان ملائكته الكرام- ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (هود، 76)، وأمر الملائكة للوط عليه السلام بمغادرة القرية وذلك في قولهم ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ (هود، 81)، وما تلا من وصف مريع لنوعية العقاب الذي حلّ بقوم لوط عليه السلام في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ (هود، 81)، فتناسب كل هذا السرد المفصل لكيفية نزول العقاب وإنجاء لوط عليه السلام وأهله مع قوله تعالى - على لسان لائكته الكرام- ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾، وذلك لسبق الإعلام بنزول عذاب شديد، وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾، و جاء قوله ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ للدلالة على شدة ما سيناها من عذاب، و تلاءم هذا مع المشهد المريع الذي صورته القصة في هذه السورة-سورة هود-عن العذاب النازل بقوم لوط عليه السلام .

ولما لم يتقدم في سورة العنكبوت ذكر مفصل عن نوعية العقاب النازل وشدته ولم يتم الإعلام عن وقت نزوله اكتفى بقوله: ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، ليتلاءم مع الإيجاز الوارد في سرد قصة عقاب قوم لوط.

ملاحظة:

تم إجمال تفاصيل وقوع العقاب المسلط على قوم لوط عليه السلام في سورة العنكبوت، لعدم تطرقها لتفاصيل مرادة قوم لوط لضيوفه الكرام، إذ اقتصر الحديث في هذه السورة على دخول الملائكة على لوط عليه السلام وإخباره بقرب نزول العقاب، واستجابة الله عز وجل لدعائه المذكور

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾¹، فجاءت الإجابة لدعائه بتنجيته وإنزال العقاب بقومه الفاسدين.

ويعود سبب إجمال هذه الواقعة - أيضا- إلى كون سورة العنكبوت آخر سورة - نزولا- قصت حكاية لوط عليه السلام، فما فصل في السور التي سبقتها نزولا أجمل هنا ، نظرا لإحراز الفائدة من الحكيم الوارد -مثلا- في سورتي الحجر وهود، كونهما أسبق نزولا من سورة العنكبوت.

¹ -سورة العنكبوت ، الآية 30.

ثالثاً- تنجية لوط عليه السلام:

ذكرت تنجية الله سبحانه وتعالى لنبيه لوط عليه السلام وأهله من قومه الفاسدين في عدة مواطن من القرآن الكريم، إذ ورد فعل الإنجاء بصيغ مختلفة ومتنوعة في عدة سور من القرآن الكريم.

أ- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء، 169).

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت، 30).

(1) موضع التشابه:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
إبدال كلمة بكلمة	نجني	الشعراء
	انصُرني	العنكبوت

كان دعاء لوط عليه السلام بالإنجاء في سورة الشعراء، وبالنصرة في سورة العنكبوت، فما

سبب الاختلاف في الدعاءين؟.

التحليل استناداً على سياق النظم:

يعود الاختلاف في الدعاء إلى ما سبقه من سرد في كل سورة، ففي سورة الشعراء قال

﴿نَجِّنِي﴾ لتقدم التصريح بالفعل القبيح الذي يمارسه قومه، وذلك في قوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ

الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾¹، وقوله ﴿عَادُونَ﴾

يحمل معنى التجاوز لحدود الله وطمس للعقول، فكأنهم سلبت عقولهم وباتوا يتصرفون دون منطق أو

¹ - سورة الشعراء، الآيتان 165 - 166.

عقل، وهذا الأمر قد يحملهم على إحقاق الضرر بلوط عليه السلام وأهله، لأنهم لا يميزون بين الحق والباطل، فتناسب قوله ﴿عَادُونَ﴾ مع ما دعا به لوط عليه السلام الله تعالى بإنجائه وأهله مما يعملون، لخوفه الكبير أن يلحقوا الضرر به أو بأهله، ولهذا قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

أما دعاء لوط عليه السلام بالنصرة في سورة العنكبوت جاء تعقيباً على تكذيب قومه له، والوارد في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾¹، فدل جوابهم على استهزائهم بتوبيخ لوط عليه السلام لهم، وعدم تصديقهم لما يدعو إليه من صلاح عمل وتقوى الله، فكأنه قال (رب إنهم كذبوني واستهزأوا بما دعوتهم، فانصرتني على تكذيبهم لي)، ولهذا قال ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ رداً على استهزائهم وتكذيبهم له، والظاهر في قوله تعالى ﴿قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

ب- المقطع الثاني: حصول النجاة.

استجاب الله لدعاء لوط عليه السلام، وأنجاه من ضلال قومه وفسقهم، وورد حدث الإنجاء في عدة مواطن من سور القرآن، بصيغ مختلفة ومتنوعة:

قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الأعراف، 83).

قال تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر، 59).

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ (الأنبياء، 74).

قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء، 170).

¹ - سورة العنكبوت، الآية 29.

قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (النمل، 57).

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت، 32).

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ﴾ (العنكبوت، 33).

قال تعالى: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (الصفات، 134).

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (القمر، 34).

1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
الإبدال في حرف	فأنجيناه	الأعراف، النمل
الزيادة	نجيناه	الأنبياء، الشعراء، الصفات، القمر

عبر عن التنجية في سورتي الأعراف والنمل بفعل (أنجى)، وهو فعل مزيد بحرف الألف (أ)، وورد في بقية السور (الأنبياء، الشعراء، الصفات، القمر) بفعل (نجى) وهو فعل مزيد بالتضعيف، فما السر في التعبير عن حدث الإنجاء تارة بفعل (أنجى)، وتارة أخرى بفعل (نجى) والقصة واحدة؟

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

يذكر فاضل صالح السامرائي أن « القرآن الكريم كثيرا ما يستعمل (نجى) للتلبث والتمهل في التنجية، ويستعمل (أنجى) للإسراع فيها، فإن (أنجى) أسرع من (نجى) في التخليص من الشدة

والكرب»¹، ويتوضح من هذا الكلام أن (أنجى) أقوى دلالة من (نجى)، فالأولى (أنجى) أسرع في الوقوع من الثانية (نجى)، والسياق اللغوي (المقالي) هو الفيصل في تحديد الصيغة المناسبة لكل موطن. وانطلاقاً مما سبق يمكن تحليل وتفسير سبب ورود (نجى) في سور معينة، و(أنجى) في سور أخرى وذلك اعتماداً على سياق النظم في كل سورة:

-الفعل أنجى:

1. سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الأعراف، 83).

يدل فعل (أنجى) - كما ذكر السامرائي - على الإسراع في الإنجاء والإنقاذ، واستعمل في سورة الأعراف فعل (أنجى)؛ لأنه الأنسب لما سبق حكيه من عزم قوم لوط على إخراجه، وذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾²، فلما كان قرار قوم لوط بإخراج لوط عليه السلام وأهله ونفيه من القرية، سارع الله عز وجل في إنجائه، فكان قوله (أنجى) الدال على الإسراع في الإنقاذ من الشدة والكرب متناسقاً مع الكرب الذي حلّ بلوط عليه السلام، حينما عزم قومه على طرده ونفيه من القرية.

2. سورة النمل:

ونظير ذلك ما وقع في سورة النمل، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (النمل، 57)، فورد حدث الإنجاء بالفعل (أنجى) الدال على الإسراع في الإنقاذ تلاؤماً وتعقياً على تصميم قوم لوط على طرده وأهله من القرية، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ

¹ - فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في القرآن الكريم، ص 70.

² - سورة الأعراف، الآية 82.

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ¹، فكان الإسراع في التنجية بالفعل (أنجى) من الكرب متناسبا مع الكرب الذي أصاب لوطا عليه السلام، والمتمثل في إقرار قومه على طرده والوارد في سورتي الأعراف والنمل.

-الفعل (نجى):

تفيد (نجى) - كما تقدم آنفا- دلالة التمهل والترث في الإنجاء، فهي أبطأ في الوقوع من الفعل (أنجى) ، و يتوضح ذلك فيما يلي :

1. سورة الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأنبياء، 74).

ورد فعل (نجى) - هنا- والذال على التمهل والتلبث، ليناسب المعنى العام للآية، والذي يدل على أن لوطا عليه السلام مكث طويلا في قومه، وذلك ظاهر في قوله تعالى ﴿مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾؛ إذ تظهر هذه الآية المكوث المطول للوط عليه السلام في القرية ،فكان ينصح قومه ويدعوهم إلى ترك الخبائث وذلك واضح في قوله تعالى ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ، ونصحه لهم نابع عن علمه وحكمته التي تقتضي نبد الخبائث وتركها، فجاءت دلالة التمهل في التنجية متلائمة مع طول زمن مكوث لوط عليه السلام مع قومه و بقائه في هذه القرية.

كما أن فعل (نجى) أعم دلالة من (أنجى)، فكان ورود الأول (نجى) متناسبا مع الإجمال والإيجاز في سرد قصة لوط عليه السلام في هذه السورة- سورة الأنبياء-، نظرا لما يرمي إليه فعل (نجى) من العموم، على عكس فعل (أنجى) الدال على خصوصية الحدث.

¹ - سورة النمل، الآية 56.

2. سورة الشعراء:

قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء، 170).

عبر عن التنجية بالفعل (نَجَّى) الدال على التريث في التنجية ليتناسب مع مقام السرد في هذه السورة؛ إذ يظهر من القص في هذه السورة أن لوطا عليه السلام نصح قومه ودعاهم إلى تقوى الله عزَّ وجلَّ مرات ومرات دون كلل أو ملل، وهذا واضح في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾¹.

وتظهر هذه الآيات أن هذا النصح والتوبيخ لم يرد مرة واحدة وفي مقام واحد، وإنما تكرر توبيخه وتقريعه لهم في عدة مناسبات ومقامات، وهذا يدل على أن لوطا عليه السلام مكث طويلا في قومه ينصحهم بتقوى الله عزوجل وترك الخبائث، وإعمال العقل والبصيرة، فجاءت التنجية بفعل (نَجَّى) الدال على التمهل والتلبث، ليلائم طول المدة التي مكثها لوط عليه السلام في قومه ينصحهم ويوبخهم.

3. سورة الصافات:

قال تعالى: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (الصافات، 134).

جاء فعل (نَجَّى) - هنا- لملاءمة الإجمال في السرد والطي في الحكي؛ ذلك أن دلالة (نَجَّى) أعم من (أُنجى)، ودلالة العموم - هذه- اقتضاها الإيجاز في القص، إذ لم ترد في هذه السورة تفاصيل عن قصة لوط عليه السلام سوى أنه رسول لقومه، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ

¹ - سورة الشعراء، الآيات 160 - 166.

الْمُرْسَلِينَ. إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ¹، فلزم هذا الإجمال في السرد ورود (نجى) الدالة على العموم.

4. سورة القمر:

ونظير ذلك ما وقع في سورة القمر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾ (القمر، 34)؛ إذ اقتضى الإجمال في سرد قصة لوط عليه السلام مع قومه في سورة القمر أن يرد فعل التنجية بصيغة (نجى)، الباث على دلالة العموم، وذلك في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾²، فإن الإجمال والإيجاز في السرد يقابله العموم في فعل التنجية المعبر عنه بصيغة (نجى).

ونستنتج مما سبق أن الفعل (أنجى) ذكر مقترنا مع فعل (الإخراج) الوارد في سورتي الأعراف والنمل، فهو أخص دلالة من الفعل (نجى) الدال على العموم، فقد ذكر هذا الأخير في مقامات الإجمال والإيجاز، والطبي، كما أنه دلّ على طول اللبث والمكوث.

ملاحظة:

تقدم آنفاً أن فعل (أنجى) أخص دلالة من (نجى)، وأنه وقع بهذه الصيغة (أنجى) للتنجية من حدث (الإخراج)* الواقع في سورتي الأعراف والنمل.

وهذه النقطة تقودنا إلى طرح سؤال مهم: إن كان هذا التحليل صائبا، فلماذا ذكر (نجى) في سورة الشعراء بالرغم من ورود حادثة الإخراج؟، ولماذا لم يقل (أنجى) كما ورد في سورتي الأعراف

¹ - سورة الصافات، الآيات 133 - 135.

² - سورة القمر، الآيتان 33 - 34.

* - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف، 81)، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل، 56).

والنمل، مع أن هذه السور (الشعراء، الأعراف، النمل) ذكرت فيها واقعة عزم قوم لوط على إخراج لوط عليه السلام وأهله؟.

الجواب:

إن حدث الإخراج الوارد في سورة الشعراء متعلق وقوعه بوقوع فعل آخر، وهو عزوف لوط عليه السلام عن نصح قومه، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يََا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾¹، فقوله ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ متعلق حدوثه بانتهاء لوط عن نصح قومه، أي أن وقوع فعل الإخراج وحدثه معلق، فكأنهم قالوا (إذا واصلت في هذا الكلام - النصح - سيكون مصيرك الإخراج)، فمصير الإخراج - هنا - مرتبط وقوعه بمواصلة لوط عليه السلام لفعل النصح، وهذا يدل على أن فعل الإخراج في سورة الشعراء يحتمل الحدوث وعدمه، على عكس ما ورد في سورتي النمل والأعراف، فإن قرار الإخراج صادر وواقع وذلك في قوله ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾ و﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾، وهذا يفيد أن فعل الطرد في سورتي الأعراف و النمل واقع حدوثه، على عكس سورة الشعراء الذي احتتمل الوقوع من عدمه

و منه فإن التنجية في سورتي الأعراف و النمل كانت مختصة بفعل الطرد الصادر من قوم لوط (الإخراج)، فناسبها ذكر فعل (أنجى) الدال على الخصوصية في الحدث، على عكس ما ورد في سورة الشعراء، إذ لم يكن فعل التنجية فيه مختصا بحدث الإخراج لاحتمالية وقوع هذا الأخير من عدمه، وإنما كان حدث الإنجاء في سورة الشعراء متعلقا بعموم دعوة لوط عليه السلام وطول مكثه مع قومه، فناسبه التعبير عن الإنجاء بصيغة (نجى) الدالة على العموم واللبث والتمهل.

¹ - سورة الشعراء، الآية 167.

(2) موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير صيغة	منجوهم	الحجر
	لننجيته	العنكبوت 32
	منجوك	العنكبوت 33

عبر عن التنجية تارة بالصيغة الاسمية ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في سورة الحجر، و﴿إِنَّا نَجُّوكَ﴾ (العنكبوت، 33)، وتارة بالصيغة الفعلية في قوله ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ (العنكبوت، 32)، فما سر هذا الاختلاف في صيغ التنجية؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم (السياق اللغوي):

1. سورة الحجر:

ورد الإعلام بالتنجية في سورة الحجر بالصيغة الاسمية مؤكدة ب (إنّ، اللام، أجمعين)، وهذا التوكيد قوي الدلالة والملتحم مع الصيغة الاسمية الدالة على الثبات والدوام، اقتضاه سياق الحكمي والذي تضمن شدة في وصف الدخول المفزع للملائكة على إبراهيم عليه السلام وذلك واضح في قوله تعالى ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ (الحجر، 51- 52)، وقوله تعالى-على لسان إبراهيم عليه السلام -بعدها ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر، 57- 59)، وقال تعالى في دخولهم على لوط عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ. قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾ (الحجر، 61- 62).

فالتصوير المنفرد لكيفية دخول الملائكة الكرام على إبراهيم ولوط عليهما السلام وشدة الوصف الظاهرة في سورة الحجر، اقتضتا ورود التوكيد مع الصيغة الاسمية في قوله تعالى ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

كما ناسب ورود قوله: ﴿آلَ لُوطٍ﴾ وما تحمله من دلالة تشريف وتكريم، الإعلام بالتنجية بالصيغة الاسمية، والتي هي أقوى دلالة وأؤكد معنى من الصيغة الفعلية، فنطلبت دلالة التشريف والتكريم زيادة في توكيد خبر الإنجاء وشموله لمناسبة قوله ﴿آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ الدالة على الشمول والعموم، وذلك في قوله ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾.

2. سورة العنكبوت:

-لُنَجِّيَنَّهُ:

وردت التنجية بالصيغة الفعلية (لُنَجِّيَنَّهُ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت، 32)؛ لأن المقام يدل على قرب وقوع حدث جديد، وهو نزول العقاب على قوم لوط، وقد ورد التصريح بوقوع هذا الحدث في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾¹، فلزم الإعلام بوقوع حدث جديد غير متوقع - من قوم لوط- وهو نزول العقاب، التعبير عن الإنجاء بالصيغة الفعلية (لُنَجِّيَنَّهُ)، الدالة على التغير والتجدد، والدخول في مرحلة جديدة والمتمثلة في نزول العقاب وإنجاء لوط وأهله.

-لَمُنَجُّوكُ:

أما قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوكُ﴾ فوردت بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام طمأننة للوط عليه السلام، وذلك ظاهر في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا

¹ - سورة العنكبوت، الآية 31.

سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ¹، فجاء قولهم ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ﴾ كرد مطمئن لوط عليه السلام وإزالة خوفه والتخفيف من حزنه بسبب تكذيب قومه له واستهزائهم بدعوته ونصحه، و ورد الإعلام بالتنجية بالصيغة الاسمية لزيادة الطمأنة والتخفيف على لوط عليه السلام.

فاقتضى السياق العام لكل آية في كلتي السورتين، ورود فعل الإنجاء بالصيغة المناسبة لمقام الحكيم في كل موطن .

ج- المقطع الثالث: استثناء امرأة لوط من النجاة.

قال تعالى: ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الأعراف، 83).

قال تعالى: ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الحجر، 60)

قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (الشعراء، 171)

قال تعالى: ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (النمل، 57)

قال تعالى: ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت، 32)

قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (الصفاء، 135)

(1) موضع التشابه أ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه		السورة
إبدال كلمة بكلمة	قَدَرْنَاها / قَدَرْنَا	إلا امرأته	النمل، الحجر
	كانت		الأعراف، العنكبوت

¹ - سورة العنكبوت، الآية 33.

ورد الإعلام بهلاك امرأة لوط عليه السلام في سورة الحجر بقوله ﴿قَدَرْنَا﴾، وفي سورة النمل بقوله ﴿قَدَرْنَاهَا﴾، وفي سورتي الأعراف والعنكبوت بقوله ﴿كَانَتْ﴾، فما سبب هذا الإبدال؟.

التحليل اعتمادا على السياق الخارجي (زمن النزول):

1. بين سورتي الأعراف والنمل:

يعلل الإسكافي سبب ورود ﴿قَدَرْنَاهَا﴾ في سورة النمل، و﴿كَانَتْ﴾ في سورة الأعراف بأسبقية نزول القصة في سورة النمل عن سورة الأعراف، فقصة لوط عليه السلام مع قومه « في سورة النمل نازلة قبل سورة الأعراف، بدليل الإضمار والإظهار، وإذ بنينا على هذا، فإن قوله ﴿إِلَّا أَمْرًا قَدَرْنَا مِنْ الْغَابِرِينَ﴾، أي كتبنا عليها أن تكون من الباقيين في القرية الهالكين مع أهلها، فلما ذكر في الآية المنزلة أولا، حال في الثابتة على الأولى في البيان، فقال: ﴿كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ﴾، أي في تقدير الله الذي قدره لها، وأخبر فيما قبل عن حكمه عليه»¹.

فلما أخبر الله عز وجل عن مصير امرأة لوط عليه السلام في سورة النمل المتمثل في الهلاك في قوله تعالى ﴿قَدَرْنَاهَا مِنْ الْغَابِرِينَ﴾، وأفصح عن الحكم الصادر في شأنها - في هذه السورة-، اكتفى بقوله ﴿كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ﴾ في القصة الواردة في سورة الأعراف، لتأخر نزول القصة في هذه الأخيرة -سورة الأعراف- عما قص في سورة النمل.

2. بين سورتي الحجر و العنكبوت:

انطلاقا مما ذكره الإسكافي - أنفا- في توجيهه لموضع التشابه الواقع بين سورتي الأعراف و النمل، يمكن إسقاط هذا التحليل على موضع التشابه الواقع بين سورتي الحجر و العنكبوت، فهذه

¹ - الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج2، ص 640.

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

الأخيرة متأخرة نزولا عن سورة الحجر، بل هي آخر سورة حُكيت فيها قصة لوط عليه السلام مع قومه.

ولما سبقتها سورة الحجر في سرد حكاية نزول الملائكة ضيوفا على إبراهيم عليه السلام وإخباره نزول العقاب على قوم لوط، وهلاك امرأته معهم، وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾¹، اكتفى بقوله ﴿كَانَتْ﴾ السورة المتأخرة نزولا والمتمثلة في سورة العنكبوت، وذلك في قوله: ﴿لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، أي سبق تقدير مصيرها المتمثل في هلاكها مع القوم الباقين.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه				نوع المتشابه اللفظي
الحجر	إلا امرأته	إنّ	ها	ل	الزيادة والنقصان
النمل	قدّرنا	//		//	

زيد الموكدان (إنّا) و (ل) في سورة الحجر، و نقصت هذه الزيادة في سورة النمل، فماسبب وقوع الزيادة و النقصان في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

يعيد فاضل صالح السامرائي سبب زيادة الموكدان في سورة الحجر، وسقوطها في سورة النمل إلى عاملين:

¹ - سورة الحجر، الآيات 57- 60.

1. طول القصة: إن القصة في سورة الحجر « أطول مما في النمل فهي عشرون آية (...) أما في النمل فهي خمس آيات (...)، وقوله ﴿قَدَرْنَا مِنْهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أطول من ﴿قَدَرْنَا مِنْهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾¹، فطول الآية في سورة الحجر سببه الإطناب في السرد الواقع في هذه السورة، وقصر الجملة في سورة النمل، اقتضاها الإيجاز في سرد القصة في هذه السورة.

2. زيادة المؤكدات: ذكر السامرائي أن « المؤكدات في قصة الحجر أكثر بكثير مما في سورة النمل (...) فقد ورد التوكيد في الحجر في عشرة مواضع، وفي كل موضع قد يكون أكثر من توكيد، أما في النمل فلم يرد إلا في موضعين»².

فكان التوجيه - حسب فاضل صالح السامرائي - توجيهها لفظيا محضا، تمثل في الإطناب في السرد والزيادة في عدد المؤكدات.

ولا تتوقف الزيادة الواردة في سورة الحجر عند هذا السبب - الإطناب والزيادة في عدد المؤكدات -، وإنما تعود هذه الزيادة إلى سبب آخر يتمثل فيما حكى عن تجرؤ قوم لوط على مراودتهم لضيوفه الكرام وعزمهم على إلحاق الضرر بهم، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾³، إلى غاية نهاية قصة مراودتهم لضيوف لوط عليه السلام، فكانت شناعة الفعل أكثر قوة في سورة الحجر عما هو وارد في سورة النمل، إذ لم يرد في هذه الأخيرة سرد لحكاية المرادة، فكان الإحرام في سورة الحجر أشنع وأفظع مما ورد في سورة النمل.

وبما أن العقاب لم ينزل على امرأة لوط عليه السلام فقط، وإنما شمل قومها الفاسقين، فعوقبت بمثل عقابهم الذي كان أشد وأشنع وأفظع - في سورة الحجر - ليتناسب مع إجرامهم الشنيع،

¹ - فاضل صالح السامرائي، من أسرار البيان القرآني، ص 86.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - سورة الحجر، الآية 67.

ولهذا قال تعالى على لسان ملائكته الكرام: ﴿قَدَرْنَا مِنْهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ تلاؤماً مع الوصف المريع للعقاب المسلط على قوم لوط في هذه السورة ، وذلك في قوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾¹.

ولما كان العقاب المسلط على قوم لوط عليه السلام في سورة النمل أخف وقعا و أقل هولاً ، وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾² ناسبه الإعلام بهلاك امرأة لوط دون توكيد ، وذلك في قوله تعالى ﴿قَدَرْنَا مِنْهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الشعراء ، الصافات	عجوزا	إبدال كلمة بكلمة
الأعراف ، النمل ، الحجر ، العنكبوت	امراته	

عبّر الذكر الحكيم عن امرأة لوط عليه السلام في سورتي الشعراء والصافات بالعجوز ﴿عَجُوزًا﴾ ، وفي سور (الأعراف ، الحجر ، النمل ، والعنكبوت) بقوله ﴿امراته﴾ ، فما سر الاختلاف في هذا التعبير؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (السياق اللغوي):

1. ﴿عَجُوزًا﴾ (الشعراء والصافات):

—سورة الشعراء:

قال تعالى: ﴿فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (الشعراء، 170-171).

¹ - سورة الحجر، الآية 74.

² - سورة النمل، الآية 58.

أخبر الله عز وجل عن هلاك امرأة لوط بقوله ﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ عوضاً عن ﴿امْرَأَتَهُ﴾، لأنه لما تقدم قوله تعالى ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أخرج امرأة لوط من خيانة أهله - أهل لوط عليه السلام- وذلك بقوله ﴿أَجْمَعِينَ﴾، والذي يفيد أن الله عز وجل أنجاه وجميع أهله دون استثناء لأي أحد، فلم يصلح بعد ذلك أن يقول ﴿امْرَأَتَهُ﴾ لأن القول - امرأته - يوحي أنها تنتمي إلى أهل لوط عليه السلام، فتم إقصاؤها من زمرة أهل لوط عليه السلام وذلك بقوله ﴿عَجُوزًا﴾.

وعبر عنها كونها ﴿عَجُوزًا﴾ للتدليل على تحقيرها والتصغير من شأنها، وهذا ما تناسب مع إقصائها من أهل لوط عليه السلام، وما زاد في تحقيرها قوله ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾، الذي هو أبلغ معنى وأؤكد دلالة من قوله ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، فجاء قوله ﴿عَجُوزًا﴾ متناسقا ومتوائما مع ما تقدمها وما تأخرها من سرد.

وجاءت هذه القوة في التعبير متناسقة مع قوة صبر لوط عليه السلام على قومه وتكرار نصحه لهم دون ملل أو كلل، وتوبيخه الطويل لهم على قبيح فعلهم وكثرة عنادهم وإصرارهم على الاستمرار في ضلالهم، فتطلب هذا عقابا أقوى وعذابا أشد، فقال تعالى ﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ كون امرأته تنتمي إلى القوم الفاسدين.

-سورة الصافات:

ورد في سورة الصافات - أيضا- وصف امرأة لوط عليه السلام بالعجوز، وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (الصافات، 133-135)، فقال: ﴿نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بإضافة موكد (أجمعين)، ليتناسب مع التوكيد الذي تقدمه في قوله ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، وذلك بزيادة (إِنَّ) و(اللام).، ويفهم من قوله تعالى ﴿وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾، أن الإنجاء شمل جميع الأهل - كلهم- دون استثناء، فلم يحسن بعد ذلك استثناء

امرأة لوط من النجاة بقوله (امراته) ، والتي تدل على أنها تنتمي إلى أهل لوط، فقال ﴿عَجُوزًا﴾ حتى لا يتناقض المعنى الأول مع المعنى الثاني.

وجاء وصف امرأة لوط عليه السلام بالعجوز - لما لهذا الوصف من زيادة تحقير وتصغير لها- متناسقا مع ما تقدم الوصف من توكيد وما تلاه من مبالغة في التعبير عن هلاك امرأة لوط في قوله تعالى ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾.

2. امراته: (الأعراف، الحجر، النمل، العنكبوت):

-سور الأعراف، النمل، العنكبوت:

عبر عن استثناء امرأة لوط من النجاة في سور (الأعراف والنمل والعنكبوت) بقوله ﴿امْرَأَتُهُ﴾، لأنه لم يتقدم في هذه السور قوله ﴿أَجْمَعِينَ﴾ الذي يدل على شمول النجاة لجميع أهل لوط دون استثناء، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الأعراف، 83)، و﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِمَّنَ الْغَابِرِينَ﴾ (النمل، 57)، و﴿لَنْنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت، 32). ، ولما لم تبيّن هذه الآيات أن الإنجاء شمل جميع الأهل دون استثناء لأي أحد، وذلك بعدم ورود قوله (أجمعين) في الآيات السابقة، حسن ذكر استثناء امرأة لوط من النجاة بقوله ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾، لعدم تناقض هذا المعنى مع ما تقدمه من سرد لإنجاء أهل لوط عليه السلام.

-سورة الحجر:

قال عز وجل في سورة الحجر على لسان ملائكته الكرام: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الحجر، 59- 60).

فبالرغم من سبق التصريح بأن الإنجاء شمل جميع أهل لوط عليه السلام، إلا أنه أتبع استثناء امرأة لوط من النجاة بقوله ﴿امْرَأَتُهُ﴾، مما يطرح في الذهن سؤالاً عن سبب ورود هذا الاستثناء بقوله ﴿امْرَأَتُهُ﴾، مع تقدم الإعلام بأمر الإنجاء الشامل والمتعلق بجميع الأهل وذلك في قوله ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فما سبب ذلك؟

الجواب:

إن الخطاب الواقع في سورة الحجر هو خطاب موجه من الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام، والوارد في مقطع نزولهم ضيوفاً عليه، ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام على صلة قرابة بلوط عليه السلام؛ ذلك أن « لوط عليه السلام ابن أخ إبراهيم عليه السلام»¹، مما يدل على أن إبراهيم عليه السلام على معرفة بلوط وأهله جميعهم فرداً فرداً بما في ذلك امرأة لوط.

فلما سأل إبراهيم عليه السلام الملائكة عن سبب مجيئهم، أخبروه أنهم جاؤوا لإنزال العقاب بقوم لوط، وإنجائهم للوط عليه السلام وأهله إلا امرأته، فإن قالوا ﴿عَجُوزًا﴾ فهو سيتساءل عن من تكون هذه العجوز، فتم التحديد بأنها امرأة لوط لهدف الإعلام والإخبار - أي إخبار إبراهيم عليه السلام -.

وبعد إنجاء لوط عليه السلام وأهله المؤمنين، نزل العقاب المريع على قومه الفاسقين، نكالا لهم على إسرافهم في اقتراف المنكرات وارتكاب الفواحش. وهذا ما سيتم تناوله فيما يلي.

¹ - محمد فاروق الزين، بيان النظم في القرآن الكريم، الربع الثاني، ص 60.

رابعاً- وقوع العقاب على قوم لوط:

أنزل الله عز وجل عذابه الشديد بقوم لوط عليه السلام نكالا لهم على شناعة فعلهم وفداحة مرتكبهم، واستهزائهم بنبيه لوط عليه السلام.

أ- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف، 84).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مَنُضُودٍ﴾ (هود، 82).

قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (الحجر، 74).

قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء، 173).

قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ (النمل، 58).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف، الشعراء، النمل	//	الزيادة و النقصان
هود	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها	
الحجر	فجعلنا عاليها سافلها	

وردت زيادة ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ في سورة الحجر وفي سورة هود في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾، ولم ترد هذه الزيادة في سور الأعراف، الشعراء، النمل، فما سبب هذه الزيادة؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

إن ما ورد في سورتي هود والحجر من زيادة هو تكملة لقصة نزول الملائكة على لوط عليه السلام وإخباره بقرب وقوع العقاب على قومه، وإنجائهم له ولأهله، إذ كانت بداية القصة في سورتي هود والحجر تتمثل في نزول الرسل ضيوفا على لوط عليه السلام، وذلك في قوله تعالى في سورة الحجر ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ﴾ (الحجر، 61)، وفي سورة هود ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (هود، 77)، ثم سرد ما جرى من قومه ومحاولتهم إلحاق الضرر بضيوفه ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾ (هود، 78)، و﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الحجر، 67)، ثم تابعها إعلام الملائكة للوط عليه السلام بقرب وقوع العقاب وحصول نجاته، وذلك في قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ (الحجر 66)، و﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود، 81).

فزاد في وصف العقاب النازل بقوم لوط عليه السلام في سورة هود بقوله تعالى ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾، وفي سورة الحجر بقوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ توافقا مع الإطناب في سرد قصة نزول الملائكة على لوط عليه السلام وإضمار قومه الشر لضيوفه.

ولما تم حذف هذه القصة -قصة نزول الملائكة- في سور الأعراف و الشعراء و النمل ناسبها إيجازا في سرد العقاب بقوله ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ دون تفصيل في كيفية وقوعه، والاكتفاء بقوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	فلما جاء أمرنا	الزيادة والنقصان
الحجر	//	

ورد قوله تعالى في سورة هود ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، ونقصت هذه الزيادة في سورة الحجر، فما سبب وقوع الزيادة و النقصان في هذا الموضع من المتشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

يعزو محمد فاضل صالح السامرائي سبب ورود هذه الزيادة في سورة هود إلى اقتضاه سياقها من سرد، فيوضح ذلك قائلا: « قوله ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ في قصة لوط فقد سبقها قوله ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، والمعنى يستدعي ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أن يكون على تقدير فأصبح تحقيقا لصدق الوعيد»¹.

فلما تقدم التصريح بوقت حلول العذاب في قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود 81)، أعقب بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، أي: لما حان وقت نزول العقاب جعلنا عاليها سافلها، وهذا يدل على حلول وقت العقاب المصرح عن موعده في قوله ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ تحقيقا للوعد السابق (النجاة/ نزول العذاب).

و لما لم يتقدم في سورة الحجر الإعلام بوقت نزول العقاب، حذف قوله ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ لعدم تطلب السياق ذكره، واكتفى بقوله ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾.

¹ - محمد فاضل صالح السامرائي، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ص 157.

3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	//	الحذف والذكر (حذف حرف)
الحجر	ف	

عطف قوله ﴿فَجَعَلْنَا﴾ بالفاء في سورة الحجر، ولم يرد هذا العطف في سورة هود، فما سبب

حذف حرف العطف في سورة هود؟.

التحليل اعتمادا على سياق الآية:

حذف العطف في سورة هود، لأن ما وقع في هذه الأخيرة لا يتطلب العطف، إذ سبق بقوله

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا﴾، بمعنى لما حان وقت نزول العقاب جعلنا عاليها سافلها، فالكلام هنا لا

يستدعي العطف، أما ثبوت العطف في سورة الحجر بالفاء، لاستدعاء السياق ذلك، وذلك في قوله

تعالى ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾¹، فالتسلسل في سير أحداث وقوع

العذاب استلزم ورود الفاء المفيدة للترتيب الزمني والتسلسل في سير الأحداث والوقائع.

4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الأعراف	وأمطرنا	إبدال جملة بجملة
الشعراء، النمل	عليهم مطرا	

¹ - سورة الحجر، الآيتان 73-74.

أتبع قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ بقوله تعالى ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ في سورتي الشعراء والنمل، وبقوله تعالى ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، فما سبب الإبدال في تنمة الكلام؟

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

يعزو الغرناطي سبب الاختلاف في التذييل في كل سورة إلى ما تقدم مروده في سياق كل سورة، فيقول مفصلا ذلك: « فلما تقدم في الأعراف قوله ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف 80) (...) حيث لم يفعل تلك الفعلة الشنعاء من تقدمهم، فأجمع إلى الفحش الإجرام (...)، ولما تقدم في النمل ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (النمل 54) حل منه تعنيف وإنذار لم يقع مثله في الأعراف»¹.

فقال تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ لأن ما سبق هذه الآية يدل على ما ارتكبه قوم لوط عليه السلام من جرم قبيح ما سبقهم إليه من أحد، وذلك ما تقدم الإفصاح عنه في بداية القصة في قوله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، فتناسقت فاتحة القصة مع خاتمتها.

أما وصف قوم لوط بالمنذرين الوارد في سورة النمل في قوله تعالى ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾؛ لأن لوطا عليه السلام أندر قومه ووبخهم وعنفهم على قبيح فعلهم، وذلك في قوله ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (النمل، 54)، و وصف حال مرتكبهم الشنيع الذي يفعلونه أمام أعين الناس، فزيادة التقريع والتوبيخ تدل - في معناها - على الإنذار، ولهذا وصفهم الله عز وجل بالمنذرين في قوله تعالى ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج 1، ص 552.

وجاء قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ متناسبا مع ما ورد من تفصيل وإطناب في سرد توبيخ لوط عليه السلام لقومه ،ونصحهم بترك ما فحش من الفعل وتقوى الله، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾¹.

فدل الإطناب في نصح لوط عليه السلام قومه وتوبيخه لهم على قبيح فعلهم، وإصراره على تبين وإظهار شناعة مرتكبهم ،سعيًا منه إلى توجيههم للطريق الصحيح على معنى الإنذار، وجاء هذا الأخير متناسقا مع ما افتتحت به القصة في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ ذلك أن التكذيب حاصل عن عدم تصديق الإنذار، فتلاءمت خاتمة القصة مع فاتحتها.

(5) موضع التشابه هـ:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
تغيير جملة بجملة	مطرا	الأعراف، الشعراء، النمل
	حجارة من سجيل	هود، الحجر

عبّر الله عزوجل عن العقاب المسلط على قوم لوط الفاسقين بالمطر في سور الأعراف و الشعراء و النمل ،وبكونه حجارة من سجيل في سوتي هود و الحجر، فما سبب الإبدال في التعبيرين؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم (السياق اللغوي):

¹ - سورة الشعراء، الآيات 160 - 166.

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

صَرَّحَ اللهُ تَعَالَى بِمَا هِيَ الْمَطَرُ (حَجَارَةٌ مِنْ سَجِيلٍ) فِي سُورَتِي هُودٍ وَالْحَجْرِ، لِاِقْتِضَاءِ سِيَاقِ السُّورَتَيْنِ ذَلِكَ، فَلَمَّا تَقَدَّمَ فِي سُورَتِي هُودٍ وَالْحَجْرِ ذَكَرَ دُخُولَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِعْلَامَهُ بِقُرْبِ وَقُوعِ الْعِقَابِ عَلَى قَوْمِهِ الْفَاجِرِينَ، رَافِقٌ هَذَا التَّفْصِيلُ فِي السَّرْدِ تَفْصِيلاً فِي سَرْدِ مَا هِيَ الْعِقَابُ (حَجَارَةٌ مِنْ سَجِيلٍ).

كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ ﴿حَجَارَةٌ مِنْ سَجِيلٍ﴾ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِقَابَ النَّازِلَ بِقَوْمِ لُوطٍ أَشَدُّ وَقَعًا مِمَّا وَقَعَ فِي سُورِ (الْأَعْرَافِ وَالشُّعْرَاءِ وَالنَّمْلِ)، وَهَذِهِ الشَّدَّةُ فِي وَقُوعِ الْعِقَابِ لَزِمَهُ تَجَرُّؤُ قَوْمِ لُوطٍ عَلَى الْإِحَاقِ الضَّرْرِ بِضِيُوفِهِ الْكِرَامِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾ (هُود، 78)، وَفِي سُورَةِ الْحَجْرِ ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الْحَجْر، 67)، فَكَانَ إِمْتَازُهُمْ بِحَجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ نَكَالًا لَهُمْ عَلَى فَسْقِهِمْ وَإِقْدَامِهِمْ عَلَى الْإِحَاقِ الضَّرْرِ بِضِيُوفِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمَا لَمْ يَتَقَدَّمَ تَصْرِيحٌ وَسَرْدٌ بِوَاقِعَةِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ ضِيُوفِهِ الْكِرَامِ فِي سُورِ (الْأَعْرَافِ وَالشُّعْرَاءِ وَالنَّمْلِ)، اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ الْعِقَابِ بِوَصْفِ أَحْفَ وَأَقْلَ مِمَّا وَرَدَ فِي سُورَتِي هُودٍ وَالْحَجْرِ، وَاکْتَفَى بِقَوْلِهِ ﴿مَطْرًا﴾ تَلَاؤْمًا مَعَ الْإِجْمَالِ وَالطِّيِّ لِهَذَا الْمَقْطَعِ مِنَ الْقِصَّةِ.

1) موضع التشابه و:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الحجر	وَأَمْطَرْنَا	عليهم
هود		عليها
		إبدال حرف بحرف

قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجْرِ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ قَاصِدًا بـ (عَلَيْهِمْ) قَوْمِ لُوطٍ، وَفِي سُورَةِ هُودٍ:

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ قَاصِدًا بـ (عَلَيْهَا) الْقَرْيَةَ، فَمَا سَبَبُ الْإِبْدَالِ فِي الْمَقْصُودِينَ بِالْعِقَابِ ؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

يعود سبب اختلاف المقصودين في سورتي الحجر وهود إلى ما تقدم كل موضع من سرد، «فلما تقدم في آية الحجر قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ﴾ (الحجر، 58)، فذكر قوم لوط موصوفين بالإجرام الموجب لهلاكهم، فروعياً هذا التقدم فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، وأما آية هود فلم تتقدم فيها مثل هذا فاكتفى بضمير القرية فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾¹.

فوصف الله عزوجل قوم لوط عليه السلام في سورة الحجر بالمجرمين في قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ﴾ (الحجر، 58)، ونظراً لما يستحق الإجمام من العقاب والعذاب، لحق بهم العذاب كونهم مجرمين، لأنه نسب الإجمام إليهم، لا إلى القرية، فاقترضى غرض الوصف السابق للقوم بالمجرمين إنزال العقاب بهم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

ونظير ذلك ما وقع في سور الأعراف والشعراء والنمل، إذ وصفهم الله عز وجل على لسان نبيه الكريم في سورة الأعراف بالمسرفين في قوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (الأعراف، 81)، وفي سورة الشعراء بالعادين في قوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء 166)، وبالجاهلين في سورة النمل في قوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (النمل 55)، فلما نسبت هذه الأوصاف الذميمة (مسرفون، عادون، تجهلون) إلى قوم لوط، اقتضى ذلك نزول العذاب عليهم نكالا وعقابا لهم على اتصافهم بتلك الصفات القبيحة، ولذلك قال تعالى في سور الأعراف والشعراء والنمل ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾.

ولما لم يتقدم في سورة هود وصف لقوم لوط عليه السلام بأي صفة تلتزم وقوع العقاب عليهم، صرح بنزول العقاب على القرية وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج2، ص667.

وما يعضد هذا التحليل ما ورد في سورة العنكبوت من وصف قوم لوط بالفساد وذلك في قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾¹، فلما تم وصفهم بهذا الوصف الذي يستحقون العقاب عليه، نزل العقاب - العذاب - عليهم، وذلك وارد في قوله تعالى ﴿إِنَّا مُنزلُونَ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾²، فقال: ﴿أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ ولم يقل هذه القرية، لأن الفساد والفسق متعلق بأهل القرية لا بها.

ب- المقطع الثاني: نوعية العذاب (العقاب).

قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ. مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود، 82-83).

قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (الحجر، 74).

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنزلُونَ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (العنكبوت، 34).

قال تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ. مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (الذاريات، 33-34).

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (القمر، 34).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود، الحجر، الذاريات	حجارة	إبدال كلمة بكلمة
العنكبوت	رجزا	
القمر	حاصبا	

¹ - سورة العنكبوت، الآية 30.

² سورة العنكبوت، الآية 34.

اختلف في وصف نوعية العقاب النازل بقوم لوط، فورد تارة (حجارة) في سور هود، الحجر والذاريات، وتارة (رجز) في سورة العنكبوت، وتارة أخرى (حاصبا) في سورة القمر، فما سبب الاختلاف في أوصاف العقاب بين الرجز والحاصب والحجارة؟

التحليل اعتمادا على سياق المقطع (القصة):

1. سورة العنكبوت (الرجز):

وصف العقاب في سورة العنكبوت بأنه رجز، وذلك في قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿إِنَّا مُنَزِّلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وشرح الطبري معنى الرجز الوارد في هذه الآية بقوله: «أي عذابا»¹، فلما تقدم هذه الآية استهزاء قوم لوط به عليه السلام، و الوارد في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾²، فناسب طلبهم العذاب نزول العذاب بهم بلفظ الرجز الذي يعني العذاب، كما كانوا يطلبون ذلك - باستهزاء - في قولهم ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾.

2. سورة القمر (حاصبا):

ذكر نوع العقاب في سورة القمر بلفظ (حاصبا)، وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ﴾، ومعنى قوله «أي ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى (...). وهي الريح الشديدة التي تثير الحصباء»³، فكان العذاب النازل على قوم لوط عبارة عن ريح شديدة ترميهم بالحصباء (الحجارة).

¹ - الطبري، جامع البيان، ج18، ص 396.

² - سورة العنكبوت، الآية 29.

³ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص 99.

فكان العذاب هنا أشد وأعنف وأبلغ، وهذه المبالغة في وصف العقاب اقتضاها ما ذكر من تكذيب قوم لوط بالنذر، وراودتهم لضيوفه عليه السلام، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ. وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي. وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ. فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾¹.

فالشدة في وصف تكذيب قوم لوط بما أنذرهم لوط عليه السلام، والمبالغة في وصف ما حاولوا فعله مع ضيوفه الكرام، والتهويل في وصف العذاب المنزل عليهم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ. فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾، كل هذه العوامل لزمتم ورود الحاصب الدال على شدة العذاب وروعه وهوله، و لملاءمة ما اختتمت بها القصة في قوله تعالى ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾.

3. سورة الذاريات (حجارة من طين):

وصف العذاب (العقاب) بالحجارة في سورة الذاريات، وذلك في قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ (الذاريات، 33).
و الواضح من الآية الكريمة أن وصف العقاب فيها أقل وأخف مما ورد في سورة القمر، وهذا التخفيف في الوصف سببه الإيجاز في السرد؛ إذ لم يرد في هذه السورة ما فعله قوم لوط من منكرات، واكتفى بقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ﴾، ولم تُسرد مرادتهم لضيوف لوط الكرام، وإنما أشير إلى هذه القصة مجملة، وذلك في معرض حكي قصة وقوع البشرى لإبراهيم عليه السلام، وذلك ظاهر في قوله تعالى -على لسان إبراهيم عليه السلام- ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

¹ - سورة القمر، الآيات 36-39.

فلما لم يتقدم- في هذه السورة- ذكر لتكذيب قوم لوط عليه السلام له، ولا نوعية منكراتهم، ولا مراودتهم لضيافته، ناسب هذا الإيجاز والإجمال في الحكيم حلول عقاب أخف وقعا وأقل روعا، وذلك بقوله تعالى ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾، لكونها أقل دلالة وأخف هولاً مما ورد في سورة القمر.

4. سورتا هود والحجر (حجارة من سجيل):

إن العذاب الواقع في سورتي هود والحجر أقوى من كل الأوصاف التي وقعت في سور (العنكبوت، القمر، الذاريات)، فقال تعالى في سورة هود: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ (هود، 82)، وقال في سورة الحجر: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (الحجر، 74)، فقوله ﴿أَمْطَرْنَا﴾ أقوى دلالة من قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ الواردة في سورتي القمر والذاريات، و من قوله ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ الواقعة في سورة العنكبوت؛ ذلك أن الإمطار هنا أشد وأفظع من الإنزال والإرسال، وأضاف إلى الإمطار قوله ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾، فكان الإمطار بالحجارة هو الأعنف والأهول من كل أنواع العذابات المذكورة في سور القمر والذاريات والعنكبوت.

وهذا التهويل اقتضاه ما فصل في سورتي هود والحجر عن حكاية قصة مراودة قوم لوط عليه السلام لضيوفه الكرام، فقال تعالى في سورة هود: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ. قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (هود، 78-79)، وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ. قَالُوا أَوْمٌ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ. قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الحجر، 67-71).

فلزمت فظاعة جرمهم وشناعة فعلهم المتمثل في مراودتهم لضيوف لوط عليه السلام، الواردة في سورتي الحجر وهود نزول العقاب عليهم بتلك الشدة والهول، نظرا لما يستحقونه من عذاب مروع نكالا لهم على محاولتهم إلحاق الضرر بضيوف لوط عليه السلام، ولهذا قال تعالى: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

وما يعضد هذا الرأي هو التفصيل المهول للعقاب المسلط على قوم لوط عليه السلام، وذلك في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ﴾ (هود، 82)، وقوله في سورة الحجر ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (الحجر، 74)، فالتفصيل في المرادة ناسبها التفصيل في وصف العقاب وهوله.

(2) موضع التشابه ب:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود، الحجر	حجارة من	سجيل
الذاريات		طين
		إبدال كلمة بكلمة

وصفت الحجارة المسلطة على قوم لوط عليه السلام بأثما من سجيل في سورتي هود والحجر، وبأثما من طين في سورة الذاريات، فما سبب التغيير في الوصفين؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

وصف الحجارة الممطرة على قوم لوط في سورة الذاريات بكونها ﴿مِنْ طِينٍ﴾، وهي أصل خلقتها، في حين وصفت في سورتي الحجر والذاريات بكونها ﴿مِنْ سِجِّيلٍ﴾، ومعنى سجيل « أي مستخرجة قوية شديدة، وقال بعضهم مستوية»¹.

¹ - ابن كثير، عمدة التفسير، ج2، ص 269.

الفصل الرابع..... دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

وكان وصف الحجارة في سورتي هود و الحجر أقوى وأعنف وأهول ،مما ورد في سورة الذاريات (طين)، وهذه الشدة في الوصف الواردة في سورتي الحجر وهود تطلبها ما ذكر في هاتين السورتين من إقدام قوم لوط عليه السلام على مرادتهم لضيوفه الكرام، ومحاولتهم إلحاق الضرر بهم، فصاحبت شناعة مرتكبهم وإصرارهم عليه شدة في وصف العقاب المسلط عليهم.

ولما لم يرد في سورة الذاريات ما وقع من قوم لوط عليه السلام مع ضيوفه الكرام، اكتفى بوصف الحجارة بأنها (طين) ،والذي هو أخف وقعا وأقل شدة تلاؤما مع طي قصة المرادة في هذه السورة.

3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
هود	حجارة من سجّيل	الزيادة والنقصان
الحجر	منضود	//

زاد في وصف الحجارة في سورة هود بقوله تعالى ﴿مَنْضُودٍ﴾، ولم ترد هذه الزيادة في سورة الحجر، فما سبب ذلك؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

يشرح الزمخشري كلمة منضود المأخوذة من نضد قائلاً: « نضدت المتاع ونضدته، وهو ضم بعضه إلى بعض متسفا أو مركوما»¹، فمعنى (منضود) وضع الأشياء بعضها فوق بعض بشكل متراكم.

¹ - الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص 278(مادة نضد).

وانطلاقاً من الشرح المعجمي لكلمة منضود يتوضح سبب ورودها في سورة هود في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾، إذ كان العقاب النازل في سورة هود مختصاً بالقرية لا بأهلها، و ذلك بتراكم الحجارة على القرية واحدة تلو الأخرى وهذا ما يصرح به ابن كثير في تفسيره لكلمة منضود قائلاً: « أي اتبع بعضها بعضاً في النزول»¹، وهذا النزول المتتابع للحجارة على القرية وتراكمها عليها تناسب مع تقدم التصريح بأن العقاب المنزل على القرية لا على أهلها، و ذلك في قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾.

فلما كان الإمطار بالحجارة على القرية ناسبها وصف الحجارة بالمنضودة لتراكمها على القرية واحدة تلو الأخرى، ولما كان الإمطار في سورة الحجر على أهل القرية في قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾²، لم يحسن وصف الحجارة بالمنضودة، لأنها لا تتراكم على الناس وإنما على المكان (القرية).

(4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه		نوع التشابه اللفظي
هود	مسومة عند	وما هي للظالمين ببعيد	إبدال جملة بجملة
الذاريات	ربك	للمسرفين	

أتبع قوله تعالى ﴿مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ في سورة هود بقوله ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾، وفي سورة الذاريات بقوله ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾، فما سبب الإبدال في الجملتين؟.

¹ - ابن كثير، عمدة التفسير، ج2، ص 269.

² - سورة الحجر، الآية74.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

يرى فاضل صالح السامرائي أن اختصاص آية هود بقوله تعالى ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ بسبب ما تقدم « من كلمة منضود - في سورة هود- للدلالة على الكثرة، فإن ذلك غير مختص بقوم لوط وإنما هي لعموم الظالمين»¹، فجاءت كلمة (الظالمين) لتدل على كل من تعدى حدود الله عز وجل، إذ لم يكن هذا الوصف مختصا بقوم لوط وحدهم - دون غيرهم -، فتناسقت دلالة العموم والشمول في كلمة (ظالمين) مع دلالة الكثرة في كلمة (منضود).

وأما قوله تعالى ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ في سورة الذاريات بسبب ما اقتضاه الوصف المتقدم في قوله تعالى على لسن ملائكته الكرام ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾²؛ ذلك أن الإجماع وجه من أوجه الإسراف ومظهر من مظاهره، فلما تم وصف قوم لوط بالمجرمين في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ وصفتهم الملائكة بالإسراف في قوله تعالى ﴿مُسْوِمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾، لتعلق دلالاتي الإجماع والإسراف ببعضهما بعضا، فالأول مظهر من مظاهر الثاني، والثاني نتيجة حاصلة عن الأول.

ج- المقطع الثالث: (خاتمة القصة).

اختتمت قصة لوط عليه السلام في سور الحجر والشعراء والعنكبوت والذاريات بتراكيب متنوعة ومختلفة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر، 75).

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر، 75).

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء، 174).

¹ - فاضل صالح السامرائي، من أسرار البيان القرآني، ص 108.

² - سورة الذاريات، الآية 32.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت، 35).

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (الذاريات، 37).

1) موضع التشابه أ:

السورة	موضع التشابه		نوع التشابه اللفظي
الحجر 75	إن في ذلك لـ	آيات	الجمع والإفراد
الحجر 77، الشعراء، العنكبوت		آية	

ورد لفظ (آية) بصيغة الجمع في الآية الخامسة و السبعين من سورة الحجر، ومفردة في الآية السابعة و السبعين من سورة الحجر و في سورتي الشعراء و العنكبوت، فما سبب وقوع الإفراد و الجمع في هذا الموضع من التشابه اللفظي؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

جمع (الآيات) في الآية الخامسة والسبعين من سورة الحجر في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، «باعتبار تعدد ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم وتعرض قوم لوط لهم، وما كان من إهلاكهم وقلب المدينة عليهم»¹، فالسرد المفصل للقصة - هنا - وما صاحبه من ذكر وقوع بشارة إبراهيم بإسحاق عليهما السلام وإعلام الملائكة له - لإبراهيم - بقرب هلاك قوم لوط، والمحاورة التي دارت بينهما ومجادلته - عليه السلام - لهم خوفا وإشفاقا ورحمة منه بلوط عليه السلام، وما ورد من تعرض قوم لوط لضيوفه، لزم كل ذلك التعبير عن هذه الأحداث بقوله تعالى ﴿لَآيَاتٍ﴾ يتوسمها الناس ويتعظ بها.

¹ - الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلبس من القرآن، ص 599.

وَوَحَّدَ (آية) في الآية السابعة والسبعين من سورة الحجر في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لتعلقها - كلمة آية- بأمر هلاك قوم لوط « بقلب مدينتهم المشاد أثره مرثيا لمن أتى بعدهم»¹، ومثيل ذلك ما ورد في سور الشعراء والعنكبوت والذاريات، فكان هلاك قوم لوط كونهم قوم مجرمين وفاسقين، وكان دمارهم آية لغيرهم في العظة، وعبرة لمن يعتبر.

(2) موضع التشابه ب:

نوع المتشابه اللفظي	موضع التشابه	السورة
إبدال كلمة بكلمة	المؤمنين	الحجر 75
	المتوسمين	الحجر 77

ورد قوله تعالى ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ في الآية الخامسة والسبعين من سورة الحجر، وقوله ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في الآية السابعة والسبعين من نفس السورة، فماسبب الإبدال بين الكلمتين؟.

التحليل اعتمادا على سياق المقطع:

ذكر في الآية الخامسة والسبعين من سورة الحجر لفظ ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، وفي الآية السابعة والسبعين من نفس السورة لفظ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، بسبب ما تقدم في الأول من سرد «مقدمات عجائب هذه الآيات يجول فيها اعتبار المعبر ويتسع له النظر ويتوسم منها المتفرس بحال الهلاك ومقدمات التلف لأولئك الأشرار»²، ناسب ذكر كل هذه الآيات التي تجعل كل من يراها أو يسمع بها أو بهذه القصة يعتبر ويتعظ قوله ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾، و الدال على الاعتبار والانعاظ.

¹ - الغرناطي، ملاك التأويل، ج2، ص727.

² - الغرناطي، ملاك التأويل، المصدر السابق، ج2، ص728.

وقال في الآية المتأخرة - الآية السابعة والسبعون - ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ «أي المصدقين المشاهدين لآثارهم»¹، فلما كان لفظ (آية) متعلقا بأمر هلاك قوم لوط والأثر الباقي من ذلك الهلاك، أتبعه بقوله ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، والدال على التصديق حين مشاهدة الأثر الباقي من هلاك قوم لوط عليه السلام.

(3) موضع التشابه ج:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
الشعراء	إن في ذلك	إبدال جملة بجملة
الحجر 77	لآية	
	وما كان أكثرهم مؤمنين	
	للمؤمنين	

اختلفت قصة لوط عليه السلام مع قومه الفاسدين في سورة الشعراء بقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وفي سورة الحجر بقوله ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فما سبب هذا التغيير؟.

التحليل اعتمادا على السياق اللغوي:

تقدم - أنفا - أن معنى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الوارد في آية الحجر يتضمن المصدقين لما يروونه من أدلة هلاك قوم لوط، أما ما ورد في سورة الشعراء من قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فيعني «أنه لم يكن مؤمنون إلا بيت لوط وابتناه»²، وهذا يدل على أن قوله ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مختص بقوم لوط عليه السلام، إذ لم يؤمن به من قومه إلا أهله وابتناه.

وتناسقت هذه التتمة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مع فاتحة القصة، التي ابتدئت بقوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ﴾³، إذ تدل هذه الآية الكريمة على تكذيب قوم لوط عليه السلام،

¹ - المصدر نفسه، ج2، الصفحة نفسها.

² - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص 70.

³ - سورة الشعراء، الآية 160.

وعدم الإيمان به وبدعوته، ولهذا صرح الله عز وجل في نهاية القصة بعدم إيمانهم بما دعاهم إليه رسوله الكريم فقال: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فتوافقت خاتمة القصة مع فاتحتها.

4) موضع التشابه د:

السورة	موضع التشابه	نوع المتشابه اللفظي
العنكبوت	لقوم يعقلون	إبدال جملة بجملة
الذاريات	للذين يخافون العذاب الأليم	

اختتمت قصة لوط عليه السلام في سورة العنكبوت بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت، 35) وفي سورة الذاريات بقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، فما سبب التغيير في الخاتمتين؟.

التحليل اعتمادا على سياق النظم:

– زيادة (لقد):

زيدت (لقد) في آية العنكبوت في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾، ولم ترد هذه الزيادة في سورة الذاريات، وسبب ذلك أن ما ورد من زيادة في آية العنكبوت اقتضاها السياق العام للقصة الواردة في هذه السورة؛ إذ افتتحت هذه القصة بتأكيد على فساد قوم لوط، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. أَتِنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ¹﴾، فلزم هذا التوكيد على منكراتهم وتعداد معاصيهم زيادة (لقد) في خاتمة القصة لتؤكد على فظاعة العذاب الواقع عليهم.

¹ – سورة الذاريات، الآيتان 28 – 29.

ولما لم ترد هذه التفاصيل في سورة الذاريات، إذ اقتضت فقط على الإشارة إلى قصة لوط عليه السلام، وذلك في معرض قص حكاية بشاره إبراهيم عليه السلام، فلم يتطلب هذا الإيجاز والإجمال في السرد توكيدا على العقاب النازل بقوم لوط عليه السلام.

- الإبدال بين (فيها ومنها):

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وفي سورة الذاريات: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، فغَيَّرَ بين (منها وفيها) في السورتين، وذلك بسبب ما اقتضاه سياق كل سورة، فقوله ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾ يدل على هول العذاب المسلَّط على أهل القرية ودمارها عن آخرها، أي أنه ترك آية من الدمار الحاصل ليكون أهلها عبرة لمن يعتبر، وهذا التوكيد والتصوير الفظيع للعذاب تطلبه إصرارهم على العنت والكبر والمعاندة والإسراف في ارتكاب المعاصي والمصرِّح به في بداية القصة. الواردة في سورة العنكبوت في قوله تعالى ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأنتهون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . أنتهون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومهم إلا أن قالوا انتنا بعداب الله إن كنت من الصادقين﴾¹

و وردت ﴿فيها﴾ التي هي أخف دلالة - حسب سياق هذه الآية- في سورة الذاريات، بسبب الإجمال والإيجاز في وصف العقاب المنزل عليهم، و الوارد في قوله تعالى على لسان ملائكته الكرام ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾²، فتطلب اختلاف السرد في السورتين اختلافا في ورود الحرف (منها، فيها).

- زيادة بيئة:

¹ -سورة العنكبوت ، الآيتان 28-29.

² -سورة الذاريات ، الآية 33.

زيدت في آية العنكبوت ﴿بَيِّنَةٌ﴾ في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ولم ترد هذه الزيادة في آية الذاريات، بسبب ما حكي في آية العنكبوت عن الدمار الشامل للقرية وأهلها، فحصول ذلك تطلب وجود آية بيّنة ليتعظ بها الناس ويتذكر بها الألباب ولهذا أردف الآية بقوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ولما لم يرد في سورة الذاريات إخبار أن العذاب دمر القرية عن آخرها، اكتفى بقوله ﴿آيَةً﴾ دون زيادة (بيّنة) من باب الإجمال والإيجاز الغالب على الحكي في هذه السورة.

– إبدال جملة بجملة:

اختلفت الآيتان الكريمتان في التذييل، فورد في آية العنكبوت قوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وفي سورة الذاريات ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، فما سبب هذا الإبدال؟.

الجواب :

اختصت آية العنكبوت بقوله ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لمناسبة ما تقدمها من سرد لحال قوم لوط الجاهلين، والذين أنصتوا لشهواتهم مغفلين في ذلك العقل والبصيرة، بالرغم من البراهين التي واجههم بها لوط عليه السلام، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. أَأَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ¹، وجوابهم على لوط عليه السلام بقولهم ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ دليل على عمى بصيرتهم وإغفال عقلهم، ولهذا ختم الله عز وجل القصة بقوله ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ أي لقوم يعملون البصيرة ويتعظون مما سبقهم من قوم لوط الذين أغفلوا عقلهم وأطلقوا العنان لشهواتهم.

¹ - سورة العنكبوت، الآيتان 28-29.

واختتمت آية الذاريات بقوله ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ﴾ ، وذلك في قوله تعالى ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ مناسبة لما تقدمها من إعلام عن نوعية العقاب المسلط على قوم لوط، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾، ولما صرح بإجرام قوم لوط وإسرافهم أتبع ذلك إنزال العقاب والعذاب بهم ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾، وكان هذا العقاب آية للذين يخافون العذاب الأليم، فناسبت خاتمة القصة فاتحتها وما سرد فيها من وصف للعذاب الواقع على قوم لوط المجرمين والمسرفين في ارتكاب المنكرات.

و هكذا تنتهي قصة لوط عليه السلام مع قومه، وما جرى من إسرافهم وتعنتهم، وما وقع عليهم من عذاب مريع نكالا لهم على تجبرهم واستهزائهم بنبي الله لوط عليه السلام، والعاقل من يتعظ من هذه القصة، واللبيب من يستنبط منها العبر والحكم الجلييلة، واضعا في ذلك طاعة الله عز وجل نصب عينيه حتى يفوز بالدارين الدنيا والآخرة وينال التواب والأجر العظيم.

خلاصة الفصل:

انطلاقاً من العمل التطبيقي على قصة لوط عليه السلام، وتحليل مواضع التشابه اللفظي الواردة في هذه القصة، يمكن إستخلاص النتائج الآتية:

1- لقد تعالقت أول سورة - نزولاً - حكت قصة لوط عليه السلام مع آخر سورة - نزولاً - سردت نفس الحكاية في فاتحة القصة ؛ إذ جاءت هذه الأخيرة مؤكدة للسرد الواقع في السورة المتقدمة، ومن ذلك ما وقع بين سورتي الأعراف والعنكبوت، فافتتحت القصة في سورة الأعراف بقوله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف، 80)، و وُكِّدَت سورة العنكبوت - والتي هي آخر سورة حكت قصة لوط عليه السلام - هذا التصريح في قوله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت، 28).

2- لقد أثر الترتيب الزمني لنزول السور على وقوع الإضمار والإظهار في القصة المذكورة في عدة مقاطع.

3- لقد فرض التقابل الدلالي للكلمات في سياق السرد ورود كلمة (الذكران) في سورة الشعراء، ولفظ (الرجال) في السور المتبقية، حسب ما اقتضاه سياق الآيات والمقاطع في هذه السور.

4- إنّ التغيير في الصيغة الاسمية والفعلية عائد إلى التغيير في القصديّة من كل سرد، وذلك في المقاطع التي وردت فيها قصة لوط عليه السلام.

5- لقد أثر السياق النحوي لمقاطع السور على الاختلاف في أدوات العطف بين الفاء والواو.

6- لقد وردت واقعة الإنحاء بصيغتين مختلفتين (أنجى) في سورتي الأعراف و النمل، و (نجى) في بقية السور، حسب ما اقتضاه المراد العام من السرد في كل مقطع أو في كل سورة.

7- لقد فرض معنى سياق لكل مقطع ومقصوده الإبدال في بعض الحروف أو الكلمات أو الجمل.

8- لقد افتضت الفاصلة القرآنية -حسب الإسكافي- التغيير بين الصيغتين الاسمية والفعلية الواردة في سورتي الأعراف و النمل.

9- لقد لعبت المناسبة القرآنية بوصفها عنصرا من عناصر السياق دورا هاما في ورود المتشابه بصيغ معينة، إذ تناسبت فاتحة القصة في عدة مواطن - مقاطع- مع خاتمتها تناسبا دلاليا ولفظيا.

خاتمة

خاتمة

وختاماً لهذا البحث المتواضع يمكن إبراز أهم النتائج المستخلصة من الدراسة النظرية والتطبيقية للمتشابه اللفظي، الوارد في السياقات القرآنية في قصص آدم وإبراهيم ولوط عليهم السلام، والمتمثلة في النقاط الآتية:

- 1- لقد أدى الالتباس في المعنى اللغوي للمتشابه إلى الالتباس في معناه الاصطلاحي، الذي تراوح بين (التمثال، والملتبس، والغامض، والخفي) من آيات القرآن الكريم.
- 2- لقد تصدى قلة قليلة من الدارسين لعلم توجيه متشابه القرآن، إذ اقتصرته جهود معظمهم على جمع الآيات المتشابهات لفظاً وتدوينها وإحصائها.
- 3- لقد تعددت أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم واختلفت بين: الزيادة والنقصان، الحذف والذكر، الفك والإدغام، التوكيد والبسط، التقديم والتأخير، الإجمال والتفصيل، الإيجاز والإسهاب، التعريف والتنكير، الفصل والوصل، الإبدال في الحروف والكلمات والجمل.
- 4- لقد أكد المفسرون والمتخصصون في مجال توجيه المتشابه اللفظي على ضرورة مراعاة السياق بنوعيه (المقامي، المقالي) في فهم الخطاب القرآني عامة، وتحليل المتشابه اللفظي خاصة.
- 5- لقد برهن الجانب التطبيقي من البحث على فاعلية السياق - بنوعيه - وبشئ عناصره، ونجاعته في تحليل مواضع المتشابه اللفظي؛ إذ تضافرت جميع عناصره من (زمن النزول المكّي والمدني، السياق النحوي، الصرفي، الدلالي، المعجمي، المناسبة والفاصلة القرآنية، سياق الآية، المقطع، السورة) في تحديد المعنى المراد، والغرض المقصود من وقوع المتشابه اللفظي في سياقات قرآنية معينة (مواطن، مقاطع، سور).
- 6- إن دلالة المتشابه اللفظي الواقع في القرآن الكريم تتغير وتختلف باختلاف السياقات القرآنية الوارد فيها، وباختلاف الحال المصاحبة لهذا النوع من النصوص القرآنية.

7- لقد اعتمد الخطيب الإسكافي في كثير من توجيهاته للمتشابه اللفظي على الجانب النحوي والمناسبة القرآنية والفاصلة القرآنية، مما جعل توجيهه في بعض الأحيان لفظيا محضا، وأقل عمقا من توجيهات غيره من المتخصصين في هذا المجال.

8- لقد تميزت دراسة الغرناطي لمواضع المتشابه اللفظي بالعمق والدقة في التحليل والتوجيه، مما جعل كتابه "ملاك التأويل" من أشهر الكتب المتخصصة في توجيه المتشابه اللفظي، وأوسعها مادة وأعمقها تحليلا.

9- إنَّ فاضل صالح السامرائي من أكثر الباحثين -على قلتهم- توسعا وتبحرا في مجال توجيه المتشابه اللفظي، وكأنني به قد ورث عن الغرناطي العمق في التحليل والدقة في الملاحظة والقوة في التأمل.

10- إن وقوع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ما هو إلا دليل قاطع وبرهان دامغ على كمال إعجاز القرآن الكريم وبيانه (لغة، أسلوبا، بلاغة، لفظا، معنى)، وقد تبين ذلك بوضوح جلي لدى تحليلي -في القسم التطبيقي- لعدة مواضع ومقاطع من المتشابه اللفظي.

وتبقى عدة مواضع من المتشابه اللفظي الواردة في القرآن الكريم تنتظر الباحثين وتستنطق هماتهم من أجل تحليلها وتوجيهها، خدمة للقرآن الكريم وسعيا لإبطال أكاذيب المشككين والملحددين والغافلين عن حقيقة المعجزة القرآنية.

وأختم بحثي هذا بقوله عز وجل ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء، 88) صدق الله العظيم.

الملاحق

ملحق رقم 01:

ملحق خاص بالسور التي وردت فيها قصص آدم وإبراهيم ولوط عليهم السلام

أ- قصة آدم عليه السلام:

• سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)﴾.

• سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ

الصَّاعِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا
أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ
أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ
مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا
وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ
بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا
الشَّجَرَةَ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
(26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
(27) ﴿﴾

• سورة الحجر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ (28)
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
(30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ
السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ (33) قَالَ

فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوَيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿(42)﴾

• سورة الإسراء:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْرَزَ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)﴾

• سورة الكهف:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسَخِدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)﴾

• سورة طه:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (119) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَؤَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى

(122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿(124)﴾

• سورة ص:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86)﴾

ب- قصة إبراهيم عليه السلام:

• سورة البقرة:

- قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
 (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
 وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَهُ
 نَفْسُهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ
 أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ
 اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿132﴾

- قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
 أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿136﴾

- قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا
 أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿140﴾

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
 رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ
 الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
 ﴿258﴾

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ
 وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ
 مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿260﴾

• سورة آل عمران:

- قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)﴾

- قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164)﴾

• سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ

وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ﴿

• سورة التوبة:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَدَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114)﴾

• سورة هود:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76)﴾

• سورة إبراهيم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

فَجَعَلَ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقَهُمْ مِنَ الشَّمْرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41) ﴿

• سورة الحجر:

قال تعالى: ﴿وَنَسِئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ (54) قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (55) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنجُوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (60) ﴿

• سورة مريم:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) ﴿

• سورة الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَحِثْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآهْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآهْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آهْتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)

• سورة الحج:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)﴾

• سورة الشعراء:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاعْفُرْ لِأبي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

• سورة العنكبوت:

- قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (16) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17)﴾

- قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (24) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَبَلَغُنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (25) فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27)﴾

- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32)﴾

• سورة الصافات:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَتُنْفِكُوا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113)﴾

• سورة الزخرف:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28)﴾

• سورة الذاريات:

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32)﴾

• سورة الممتحنة:

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5)﴾

ج- قصة لوط عليه السلام:

• سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ ذُنُوبِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84)﴾

• سورة هود:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مُنْضُودٍ (82) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ (83)﴾

• سورة الحجر:

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (60) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (64) فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ

(65) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (67) قَالَ إِنَّ هُوْلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (68) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (69) قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (70) قَالَ هُوْلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (71) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (73) فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (74) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (75) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (76) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿77﴾

• سورة الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ (74) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)﴾

• سورة الشعراء:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166) قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْجَرِحِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ (172) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174)﴾

• سورة النمل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا

أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنْ
الْغَابِرِينَ (57) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿(58)﴾

• سورة العنكبوت:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ (27) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ
(28) أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ
(30) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ (32) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا
مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿(35)﴾

• سورة الصافات:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿(135)﴾

• سورة الذاريات:

قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا حَتْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37)﴾

• سورة القمر:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أُرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسِحْرِ (34) نِعْمَةٍ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ شَكَرَ (35) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (36) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ (37) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ (38) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ (39)﴾

ملحق رقم 02:

ملحق خاص بترتيب سور القرآن حسب زمن نزولها

أ- السور المكية:

ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول
96	العلق	1
68	القلم	2
73	المزمل	3
74	المدثر	4
1	الفاتحة	5
111	المسد	6
81	التكوير	7
87	الأعلى	8
92	الليل	9
89	الفجر	10
93	الضحى	11
94	الشرح	12
103	العصر	13
100	العاديات	14
108	الكوثر	15
102	التكاثر	16
107	الماعون	17
109	الكافرون	18
105	الفيل	19
113	الفلق	20

114	الناس	21
112	الإخلاص	22
53	النجم	23
80	عبس	24
97	القدر	25
91	الشمس	26
85	البروج	27
95	التين	28
106	قريش	29
101	القارعة	30
75	القيامة	31
104	الهمزة	32
77	المرسلات	33
50	ق	34
90	البلد	35
86	الطارق	36
54	القمر	37
38	ص	38
7	الأعراف	39
72	الجن	40
36	يس	41
25	الفرقان	42
35	فاطر	43
19	مريم	44

20	طه	45
56	الواقعة	46
26	الشعراء	47
27	النمل	48
28	القصص	49
17	الإسراء	50
10	يونس	51
11	هود	52
12	يوسف	53
15	الحجر	54
6	الأنعام	55
37	الصفات	56
31	لقمان	57
34	سبأ	58
39	الزمر	59
40	غافر	60
41	فصّلت	61
42	الشورى	62
43	الزخرف	62
44	الدخان	64
45	الجاثية	65
46	الأحقاف	66
51	الذاريات	67
88	الغاشية	68

18	الكهف	69
16	النحل	70
71	نوح	71
14	إبراهيم	72
21	الأنبياء	73
23	المؤمنون	74
32	السجدة	75
52	الطور	76
67	الملك	77
69	الحاقة	78
70	المعارج	79
78	النبأ	80
79	النازعات	81
82	الانفطار	82
84	الانشقاق	83
30	الروم	84
29	العنكبوت	85
83	المطففين	86

ب- السور المدنية:

ترتيب المصحف	السورة	ترتيب النزول
2	البقرة	87
8	الأَنْفَال	88
3	آل عمران	89
33	الأحزاب	90
60	المتحنة	91
4	النساء	92
99	الزلزلة	93
57	الحديد	94
47	محمد	95
13	الرعد	96
55	الرحمن	97
76	الإنسان	98
65	الطلاق	99
98	البينة	100
59	الحشر	101
110	النصر	102
24	النور	103
22	الحج	104
63	المنافقون	105
58	المجادلة	106
49	الحجرات	107
66	التحریم	108


62	الجمعة	109
64	التغابن	110
61	الصف	111
48	الفتح	112
5	المائدة	113
9	التوبة	114

ملحق رقم 03:

ملحق خاص بثبت المصطلحات

- 1-أسباب النزول: القصدية من الخطاب (السياق الخارجي / سياق الموقف).
- 2-التنجيم: السياق الخارجي.
- 3- دلالة الألفاظ: السياق الدلالي اللغوي.
- 4- زمن النزول: السياق التاريخي (السياق الخارجي).
- 5- سياق الآية: السياق اللغوي الأصغر الخاص (الداخلي).
- 6- سياق السورة: السياق اللغوي الأصغر العام (الداخلي).
- 7- السياق القرآني: السياق اللغوي الأكبر العام (الداخلي).
- 8- سياق الكلام (السرد، الحديث): السياق اللغوي العام (سياق النص).
- 9- سياق المقطع: السياق اللغوي الأكبر الخاص.
- 10- سياق النظم: السياق اللغوي الأكبر العام (سياق النص).
- 11- الصرف: السياق الصرفي اللغوي.
- 12- الصوتيات: السياق الصوتي اللغوي.
- 13- العادات والتقاليد: السياق الثقافي (الخارجي).
- 14- العلم بشيء آخر: المدلول.
- 15- العلم به: الدال.
- 16- علم المناسبة: السياق اللغوي العام (الداخلي).
- 17- غرض السرد: سياق الموقف
- 18- الفاصلة القرآنية: السياق اللغوي الخاص (الداخلي).
- 19- اللغة: السياق المعجمي اللغوي.

- 20- المتكلم: جمهور المخاطبين (السياق الخارجي - سياق الموقف).
- 21- مراعاة حال المخاطب: سياق التلقي (السياق الخارجي).
- 22- معرفة مراد المتكلم: القصدية من الخطاب (سياق الموقف / السياق الخارجي).
- 23- المقال: السياق اللغوي العام.
- 24- المقام: السياق المقامي (الخارجي).
- 25- المكى والمدني: الظروف المحيطة (سياق الموقف / السياق الاجتماعي)
- 26- الناسخ والمنسوخ: القصدية من الخطاب (السياق الخارجي).
- 27- النحو: السياق النحوي اللغوي.
- 28- النص القرآني: السياق اللغوي الأكبر العام.



مكتبة البحث

مكتبة البحث

- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)
- الحديث النبوي الشريف.
- 1- البخاري، صحيح البخاري، مطبعة طوق الحمامة، د.ط، د.ت.
- 2- مسلم، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

أولاً- المصادر:

- 1- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الضباعي، المكتبة الإسلامية، ط1، 1963.
- 2- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.
- 3- الأنصاري، فتح الرحمان بكشف ما يلتبس من القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
- 4- الباقلائي، الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، ط1، 2001.
- 5- البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تح: عبد السميع، مكتبة المعارف، ط1، د.ت.
- 6- _____، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، ط1، 1995.
- 7- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- 8- الترمذي، تحصيل نظائر القرآن، تح: حسين نصر زيدان، مطبعة السعادة، ط1، 1969.

- 9- التنهاوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996.
- 10- ابن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- 11- _____، الإيمان، تح: محمد نصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط5، 1996.
- 12- _____، الرسالة المدنية، تح: وليد بن عبد الرحمان الغريان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط، د.ت.
- 13- _____، مجموع الفتاوى، دار الأوقاف، السعودية، د.ط، 2004.
- 14- _____، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، بيروت، ط3، 1979.
- 15- الثعالبي، المتشابه، تح: إبراهيم السامرائي، مطبعة الحكومة، بغداد، د.ط، 1967.
- 16- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت.
- 17- ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تح: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- 18- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.
- 19- الجوهرى، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط3، 1984.
- 20- الحارثي، كفاية القارئ، تح: عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007.
- 21- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1980.

- 22- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
- 23- الخطابي، رسالة في إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن (الرماني، الخطابي، الجرجاني)، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976.
- 24- الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى أيدين، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط2001، 1.
- 25- الخطيب البغدادي، تالي تلخيص المتشابه، تح: أبو حنيفة أحمد الشفيرات، دار الصميغي للنشر والتوزيع، ط1، 1997.
- 26- _____، تلخيص المتشابه في الرسم، وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم، تح: سكينه الشهابي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1985.
- 27- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط2004، 1.
- 28- الداوودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، ط1، 1983.
- 29- ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1994.
- 30- الذهبي، ترجمة سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، د.ط، 2007.
- 31- الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1981، 1.
- 32- _____، نهاية الإيجار في دراية الإعجاز، تح: إبراهيم السامرائي ومحمود بركات حمدي، دار الفكر، عمان، د.ط، 1985.

- 33- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، د.ت.
- 34- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988.
- 35- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد رمزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1998.
- 36- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط3، 1980.
- 37- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 38- —، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي محمد معوض وآخران، مكتبة العبيكة، د.ط، د.ت.
- 39- —، المفصل في صنعة الإعراب، تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993.
- 40- السخاوي، هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب، تح: عبد القادر الخطيب الحسني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1993.
- 41- السرخسي، أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، ط1، 1993.
- 42- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تح: محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.
- 43- السمرقندي، بحر العلوم، تح: علي محمد عوض وآخران، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993.

- 44- السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1، 1986.
- 45- سبيويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.
- 46- السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تح: سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1995.
- 47- —، التحبير في علم التفسير، تح: زهير عثمان علي، مطبوعات إدارة الشؤون المالية الإسلامية، قطر، ط1، 1995.
- 48- —، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986.
- 49- —، قطف الأزهار في كشف الأسرار -المسمى أسرار التنزيل-، تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1994.
- 50- —، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، د.ط، 1987.
- 51- —، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
- 52- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: محمد عبد الله دراز، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.
- 53- الشريف الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، د.ت.
- 54- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- 55- الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2001.

- 56- الطوفي، شرح مختصر الروضة، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1987.
- 57- العسقلاني، فتح الباري في فهم صحيح البخاري، تح: محمد الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- 58- العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت.
- 59- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.
- 60- ابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 2006.
- 61- العكبري، النكت الاعتقادية، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1993، 2.
- 62- العياشي، تفسير العياشي، تح: سيد هاشم محلاي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1991، 1.
- 63- العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- 64- الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه متشابه اللفظ من أي التنزيل، تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983.
- 65- الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير، الجامعة الإسلامية، د.ط، د.ت.
- 66- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، د.ط، 1979.
- 67- الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، الهند، ط1، 2008.

- 68- الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- 69- الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983.
- 70- الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، ط3، 1996.
- 71- _____، القاموس المحيط، تح: نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005.
- 72- الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، 1987.
- 73- ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، د.ت.
- 74- _____، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1954.
- 75- القرافي، أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب، د.ط، د.ت.
- 76- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.
- 77- ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، د.ط، 1981.
- 78- _____، زاد الميعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1998.
- 79- ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ط، 1990.
- 80- _____، تفسير القرآن العظيم، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1990.

- 81- —، عمدة التفسير (مختصر تفسير القرآن العظيم)، تح: أحمد شاكر، دار الوفاء، ط2، 2005.
- 82- الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن (المسمى أسرار التكرار في القرآن الكريم)، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، د.ط، د.ت.
- 83- الكسائي، متشابه القرآن، تح: محمد بن محمد بن عيد الشعباني، دار الصحابة للتراث، مصر، د.ط، د.ت.
- 84- الكفوي: الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1998.
- 85- المازندراني، متشابه القرآن ومختلفه، دار البيدار للنشر، ط1، د.ت.
- 86- محمد ابن أنبوجا التشتي، تيسير الوهاب المنان على متشابه القرآن، شرح محمد الأسود الشنقيطي، دار المعارف، ط2، د.ت.
- 87- ابن المنادى، متشابه القرآن العظيم، تح: عبد الله الغنيمان، الجامعة الإسلامية، ط1، 1987.
- 88- المناوي، التوفيق على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1990..
- 89- —، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1972.
- 90- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
- 91- النحاس، الناسخ والمنسوخ، تح: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1987.
- 92- ابن النديم، الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، بيروت، لبنان، ط2، 1997.

93- الواحدي، أسباب نزول القرآن، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1991.

94- اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يشير من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، 1997.

ثانيا- المراجع العربية:

1- أحمد عبد الستار الجوارى، نحو القرآن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.ط، 1974.

2- أحمد عبده عوض، المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط1، 2012.

3- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط5، 1998.

4- _____، لغة القرآن الكريم- دراسة توثيقية فنية-، مكتبة الشريعة، الكويت، ط2، 1997.

5- أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.

6- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1995.

7- تمام حسّان، مقالات في اللغة والآداب، عالم الكتب، ط1، 2006.

8- عبد الجليل منقور، علم الدلالة، أصول ومباحثه في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2010.

9- جمال عبد الرحمن، الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات متشابهة الألفاظ، دار التراث العربي، ط4، 2007.

10- جمال مراد حلمي وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.

- 11- حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، مكتبة أهواء الشرق، ط1، 2009.
- 12- حسين نصار، المتشابه، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 2003.
- 13- حضرة أكاه باشا، العقد الجميل في متشابه التنزيل، مطبعة مدرّة والدّة عباس باشا الأول، مصر، د.ط، 1905.
- 14- خالد بن سليمان المزيني، المحور في أسباب نزول القرآن، دار ابن الجوزي، ط1، 2006.
- 15- خلود الغموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008.
- 16- عبد الرحمن الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم، دمشق، ط1، 1980.
- 17- عبد الرحيم عطية إبراهيم، جواهر البيان في متشابه القرآن، مطبعة الكيلاني، القاهرة، د.ط، 2002.
- 18- ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ط1، 2003.
- 19- رمزي منير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، ط1، 1990.
- 20- سراج صالح ملائكة، دليل الآيات متشابهة الألفاظ في كتاب الله العزيز، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط4، 2006.
- 21- سعدي أبو حسين، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988.

- 22- سليم بن عبد الهلالي وموسى بن موسى آل نصر، الاستيعاب في بيان الأسباب، دار بن الجوزي، د.ط، د.ت.
- 23- السيد أحمد خليل، دراسات في القرآن الكريم، دار المعارف، ط1، 1998.
- 24- الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- 25- صابر أبو سليمان، مورد الظمان، دار السلفية، ط1، 1984.
- 26- صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، عمان، ط1، 2000.
- 27- طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984.
- 28- _____، مقاصد الشريعة الاسلامية، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط1، 2004.
- 29- _____، موجز البلاغة، المطبعة التونسية، تونس، ط1، د.ت.
- 30- عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط7، 1990.
- 31- _____، القرآن والتفسير العصري، دار المعارف، د.ط، د.ت.
- 32- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2008.
- 33- عماد عبده يحيى، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني - دراسة فنية- دار دجلة، عمان، ط1، 2009.
- 34- عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 2007.

- 35- عبد الغفور عبد الكريم البنجاني، التوضيح والبيان في تكرار متشابه آي القرآن، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1994.
- 36- فاضل صالح السامرائي، الأسئلة البيانية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط1، 2008.
- 37- _____، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، الأردن، ط1، 1999.
- 38- _____، التعبير القرآني، دار عمان، الأردن، ط1، 1998.
- 39- _____، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، ط1، 1999.
- 40- _____، من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، ط1، 2009.
- 41- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، دار نينوى، دمشق، د.ط، 2011.
- 42- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار، القاهرة، ط1، 1990.
- 43- عبد القادر منصور، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربي، ط1، 2002.
- 44- عبد الله بن أحمد الطيار، الآيات المتشابهات - التشابه اللفظي للآيات حكم وأسرار فوائد وأحكام -، دار التدمرية، ط1، 2009.
- 45- عبد الله عبد الحميد، إغاثة اللفهان في ضبط متشابهات القرآن - ضوابط وعلامات التمييز المتشابهات من الآيات البينات -، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، ط2، د.ت.
- 46- عبد الله بن الصديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة، د.ط، د.ت.

- 47- محمد جبران صالح، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم- دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي-، دار فاروق للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2010.
- 48- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1997.
- 49- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة -مدخل إلى دراسة المعنى النحوي الدلالي-، دار الشروق، ط1، 2000.
- 50- محمد سليمان الأشقر، أفعال الرسول ودلالاتها على استنباط الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، ط6، 2003.
- 51- محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، د.ط، 2001.
- 52- _____، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1982.
- 53- محمد علي الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دار إشييليا للنشر والتوزيع، ط1، 2001.
- 54- محمد فاروق الزين، بيان النظم في القرآن الكريم، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004.
- 55- محمد فاضل صالح السامرائي، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، دار عمار، الأردن، ط3، 2011.
- 56- محمد بن عبد الله الصغير، دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1997.
- 57- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007.

- 58- محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- 59- محمد هادي معرفة، التمهيد لعلوم القرآن، مؤسسة التمهيد، ط2، 2009.
- 60- محمود محمد عيسى، السياق الأدبي (دراسة نقدية تطبيقية)، جامعة المنصورة، مصر، د.ط، 2004.
- 61- محمود عبد المنعم العيد، حلية الحفاظ (شرح منظومة الدمياطي)، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- 62- محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1999.
- 63- مصطفى ديب البغا ومحي الدين شو، الواضح في علوم القرآن، دار العلوم الإنسانية، ط2، 1998.
- 64- المطعني، خصائص التعبير القرآني، وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1998.
- 65- المطيري، تفسير القرآن بالقرآن، دار التميزية، الرياض، السعودية، ط1، 2013.
- 66- ميشال زكرياء، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986.
- 67- عبد الوهاب الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، مكتبة عمان، ط1، 1988.
- 68- هانم محمد حجازي الشامي، أثر السياق في بنية الآيات المنتهية بأسماء الله الحسنى - دراسة تحليلية- مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013.

69- هانم محمد حجازي الشامي، الدلالة السياقية لاقتزان أسماء الله الحسنى في خواتم الآيات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2013.

ثالثا-المراجع المترجمة:

- 1-بيير جيرو، علم الدلالة، تر/ أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، د.ط، 1986.
- 2-جون لابنز، علم الدلالة (الفصلان التاسع والعاشر من كتاب مقدمة في علم اللغة النظري)، تر/ مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، كلية الآداب، جامعة البصرة، د.ط، 1980.
- 3-ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر/ كمال بشر، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت.
- 4-ف بالمر، علم الدلالة، تر/ مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية، د.ط، 1985.
- 5-يوجين أ.نايدا، دور السياق في الترجمة، تر/محيي الدين حميدي، منشورات الهيئة السورية للكتاب، د.ط، 2009.

رابعا- المخطوطات الجامعية:

أ- الماجستير:

- 1-تهاني بن أحمد باحويرات، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، إشراف عبد العزيز عزت، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2007.
- 2-فهد بن عبد المغيث الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام (دراسة نظرية تطبيقية)، إشراف محمد بن عمر بازمول، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2005.

3- محمد بن راشد البركة، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه -دراسة موضوعية-، إشراف سليمان بن إبراهيم اللاحم، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2005.

4- محمود عوض محمود سالم، قصة ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم (دراسة في علم اللغة النصي)، إشراف صلاح الدين صالح حسنين ومحمد خليل نص الله، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وأدائها، كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر، 2007.

ب- الدكتوراه:

1- محمد أحمد الجبالي، توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي - دراسة مقارنة-، أطروحة دكتوراه، قسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، كوالامبور، 2012.

2- محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، إشراف خليل بنيان الحسون، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة ابن رشد، جامعة بغداد، العراق، 2005.

خامسا- الدوريات:

- عبد الله إبراهيم، السياق الثقافي بين أرسطو وابن رشد، مجلة ثقافات، ع5، كلية الآداب، جامعة البحرين، شتاء 2003.

سادسا- المؤتمرات:

1- منصور محمد أحمد يوسف، علم متشابه القرآن وجهود العلماء القدامى في خدمته، بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس2)، مركز بحوث القرآن، جامعة ملايا كوالامبور، ماليزيا، 2012-02-23/22.

الفهرس

الفهرس

حلمة شكر ومرفان

إهداء

مقدمة.....أ

مدخل: مفاهيم أساسية حول علم الدلالة

- 1- الدلالة لغة واصطلاحاً.....3
- 2- مصطلح الدلالة لدى الغرب والعرب.....5
- 3- ماهية علم الدلالة.....8
- 4- العلاقة بين الدلالة والسياق.....9

الفصل الأول: ماهية المتشابه اللفظي والسياق القرآني.

- تمهيد.....18
- أولاً- مفهوم المتشابه والسياق والعلاقة بينهما.....19
 - أ- مفهوم المتشابه لغة واصطلاحاً.....19
 - ب- مفهوم السياق لغة واصطلاحاً.....27
 - ج- العلاقة بين المتشابه والسياق.....30
- ثانياً- علم متشابه القرآن.....31
 - أ- تعريف المتشابه اللفظي.....32
 - ب- أنواع المتشابه اللفظي.....34
 - ج- أهمية علم متشابه القرآن.....34

- 37..... د- المؤلفات التي جمعت المتشابه اللفظي
- 44..... ثالثا- توجيه المتشابه اللفظي بين القدماء والمحدثين
- 45..... أ- قديما
- 52..... ب- حديثاً
- 57..... رابعا- السياق لدى المفسرين
- 57..... أ- السياق في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
- 58..... ب- السياق لدى الصحابة (رضوان الله عليهم)
- 60..... ج- اعتماد السياق في كتب التفسير
- 64..... د- عناصر السياق المقامي
- 72..... خامسا- ماهية السياق القرآني وأنواعه
- 73..... أ- ماهية السياق القرآني
- 74..... ب- عناصر السياق القرآني
- 82..... ج- أنواع السياق القرآني
- 85..... خلاصة الفصل

الفصل الثاني

دلالة المتشابه اللفظي في قصة آدم عليه السلام

- 89..... تمهيد
- 90..... أولا- خلق آدم عليه السلام وسجود الملائكة له
- 90..... أ- المقطع الأول: بداية الخلق
- 96..... ب- المقطع الثاني: (الأمر بالسجود)

- ج- المقطع الثالث: سجود الملائكة.....101
- ثانيا-سكون آدم عليه السلام الجنة وهبوطه منها.....104
- أ-المقطع الأول: دخول الجنة.....104
- ب- المقطع الثاني (وسوسة الشيطان).....110
- ج-المقطع الثالث (الخروج من الجنة) (الهبوط الأول).....116
- د-المقطع الرابع (الهبوط إلى الأرض) (الهبوط الثاني).....118
- ثالثا-امتناع إبليس اللعين عن السجود.....123
- أ- المقطع الأول: الإعلام بعدم سجود إبليس.....123
- ب- المقطع الثاني: (توبيخ الله عز وجل لإبليس اللعين).....133
- رابعا-خطاب الله عز وجل مع إبليس اللعين.....140
- أ-المقطع الأول: مجادلة إبليس واستكباره.....140
- ب- المقطع الثاني: الطرد.....145
- ج- المقطع الثالث: وقوع اللعنة.....152
- د- المقطع الرابع: طلب الإنظار.....153
- هـ- المقطع الخامس: (توعد إبليس بتضليل آدم وذريته).....157
- خلاصة الفصل.....162

الفصل الثالث

دلالة المتشابه اللفظي في قصة إبراهيم عليه السلام

- تمهيد.....166
- أولا-دعوة إبراهيم عليه السلام.....167

- أ-المقطع الأول.....167
- ب-المقطع الثاني (مناقشة إبراهيم عليه السلام لأبيه).....178
- ج-المقطع الثالث: (المجادلة).....182
- ثانيا- نجات إبراهيم عليه السلام من كيد قومه.....187**
- أ- المقطع الأول: التبرؤ من عبادة الأصنام.....187
- ب-المقطع الثاني: الإلقاء في النار (مكيدة قومه).....197
- ج- المقطع الثالث: (الإنحاء).....203
- د- المقطع الرابع.....206
- ثالثا-وقوع البشرى.....209**
- أ-المقطع الأول: (محيء الرسل).....209
- ب-المقطع الثاني: الإكرام.....216
- ج- المقطع الثالث: امتناع الملائكة عن الأكل.....220
- د- المقطع الرابع: البشارة.....223
- هـ- المقطع الخامس.....226
- رابعا-متفرقات.....231**
- أ- المقطع الأول.....231
- ب- المقطع الثاني.....233
- ج- المقطع الثالث.....239
- د- المقطع الرابع.....242
- هـ- المقطع الخامس.....246

247.....	و- المقطع السادس.....
250.....	ي- المقطع السابع.....
255.....	خلاصة الفصل.....

الفصل الرابع

دلالة المتشابه اللفظي في قصة لوط عليه السلام

592.....	تمهيد.....
260.....	أولا- دعوة لوط عليه السلام.....
260.....	أ- المقطع الأول.....
263.....	ب- المقطع الثاني.....
271.....	ج- المقطع الثالث.....
278.....	ثانيا- نزول الملائكة على لوط عليه السلام.....
278.....	أ- المقطع الأول: مجيء الرسل.....
286.....	ب- المقطع الثاني: (إقبال القوم).....
292.....	ج- المقطع الثالث: (الإعلام بالإنجاء).....
299.....	ثالثا- تنجية لوط عليه السلام.....
299.....	أ- المقطع الأول.....
300.....	ب- المقطع الثاني: حصول التنجية.....
309.....	ج- المقطع الثالث: استثناء امرأة لوط من النجاة.....
317.....	رابعا- وقوع العقاب على قوم لوط.....
317.....	أ- المقطع الأول.....

325.....	ب- المقطع الثاني: نوعية العذاب (العقاب)
332.....	ج- المقطع الثالث: (خاتمة القصة)
340.....	خلاصة الفصل
343.....	خاتمة
346.....	الملاحق
371.....	مكتبة البحث
388.....	الفهرس

ملخص:

يتمركز البحث حول دراسة المتشابه اللفظي في السياقات القرآنية، وذلك برصد الدلالات المتنوعة لمواضع المتشابه اللفظي الواقع في قصص آدم و إبراهيم ولوط عليهم السلام، ومحاولة استكشاف الأسرار الكامنة وراء وقوع المتشابه اللفظي في هذه القصص بصيغ متنوعة وتعابير مختلفة، وذلك بالاستعانة بالسياق اللغوي و المقامي بشتى عناصره وأنواعه، نظرا لنجاعته وفاعليته في توجيهه وتحليل ما تشابه لفظا من الذكر الحكيم.

Résumé :

Cette recherche est basée sur l'étude des semblables verbaux dans les contextes coraniques, en cherchant les différentes significations des semblables mentionnées dans les histoires de " ADAM-IBRAHIM-LOT" que la paix soit sur eux , et essayer de découvrir les secrets derrière ces semblables verbaux dans ces histoires, et ça en ayant une aide des contextes linguistiques et situationnels avec tout ces composants et ces genres; a cause de leur efficacités dans l'orientation et l'analyse de ce qui a été verbalement semblable dans le saint coran .

Summary:

This research is based on the study of the verbal similarities in the Quranic contexts, by looking for the different meanings of these verbal similarities mentioned in the stories of the prophets "ADAM-IBRAHIM-LOT" peace be upon them, and trying to discover the secrets behind these verbal similarities in these stories getting help from the linguistic and situational contexts by all their kinds ; because of their effectiveness in the guidance and analysis of what was verbally similar in the holy Quran.